
قصة الإسلام
من سيرة خير الأنام
صلى الله عليه وسلم
جمعه
الدكتور: أبو فاطمة عصام الدين بن إبراهيم النقيلي
شبكة الألوكة
www.alukah.net



قصة الإسلام

من سيرة خير الأنام



جمعه

الدكتور: أبو فاطمة عصام الدين بن إبراهيم النقيلي

غفر الله له ولوالديه ومشايخه

والمسلمين

آمين






بسم الله الرحمن الرحيم

يا ناظرًا فيمَا عمدتُ لجمعـــــــهِ * عذرًا فإنَّ أخَا البصيرةِ يعـــــــذرُ

واعلمْ بأنَّ المرءَ لوْ بلغَ المــــدَى * في العُمرِ لاقَى الموتَ وهوَ مقصِّرُ

فإذا ظفرتَ بزلَّةٍ فافْتحْ لـــــــهَا * بابَ التَّجاوزِ فالتَّجاوزُ أجــــــدرُ

ومنَ المحالِ بأن نرَى أحدًا حوَى * كُنهَ الكَمالِ وذَا هوَ المتعــــــذِّرُ[1]

(1) عَلَمُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الأَنْدَلُسِيُّ، كتاب "أسنى المقاصد وأعذب الموارد".







﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب: 21].







مقدِّمةٌ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسنَا ومنْ سيِّئاتِ أعمالنَا، منْ يهدهِ اللهُ فلَا مضلَّ لهُ ومنْ يضللْ فلَا هاديَ لهُ، وأشهدُ أنَّ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وحدهُ لَا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدهُ ورسوله ﷺ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَاتَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَّنِسَاءً وَّاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُون بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيبًا}[النساء: 1].

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم وَيَغْفِرْلَكُم ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُّطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب: 70 – 71].

أمَّا بعدُ: "فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالَى، وخيرُ الهديِ هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرّ الأمورِ محدثاتهَا، وكلَّ محدثةٍ بدعةٍ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ، وكلَّ ضلالةٍ فِي النَّارِ"[1].

---

(1) أما بعدُ فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وإنَّ أفضلَ الهديِ هديُ محمدٍ ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ أتتْكم الساعةُ بغتةً – بُعِثتُ أنا والساعةُ هكذا – صبحَتْكم الساعةُ ومستْكم – أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه – من ترك مالًا فلأهلِه – ومن ترك دَيْنا أو ضَياعًا فإليَّ وعليَّ – وأنا وليُّ المؤمنين.

الراوي : جابر بن عبدالله، المصدر : صحيح الجامع، الرقم: 1353.

التخريج : أخرجه النسائي في (المجتبى) (3/ 188)، وأحمد (3/ 310) باختلاف يسير.



وبعد:

فاعلم وفَّقني الله تعالى وإياك لما يحب ويرضى؛ أنَّه لا يكتمل إيمان المسلم يكون النبيُّ ﷺ أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين، والحب لا يُعتبر حبًّا حتى يُعمل بمقتضاه، فحال الحب في العمل بمقتضاه كحال التوحيد؛ فإنَّه لا يكتمل حتَّى يُنطق به باللسان ويُصدَّق بالجنان، ويُعمل بالجوارح، وإن لا فهو ناقص، ومن مقتضيات الحب أن تقتدي بمن تحب، ومن مقتضياته أن تعلم سيرة من تحب، وأن تقتفي أثره، فحب المسلم للنبي ﷺ ليس مجرَّد كلمة تقال باللسان، بل هي كلمة تقال بالسان ويصدقها القلب، وعمل بطريقة من تحب أي: سنَّة النبي ﷺ، ولله درُّ الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في قوله:

لو كان حبك صادقا لأطعته * إن المحبَّ لمن بحبُّ مطيع

وأوَّل هذه المراحل هو معرفة من تحب حقَّ معرفته لقوله تعالى: " أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ"[المؤمنون: 69]، ولقد ضرب لنا أصحاب النبي ﷺ أروع الأمثال في حبهم الصادق للنبي ﷺ فمنهم من فداه بنفسه ومنهم بماله ومنهم بولده، ومنهم من فداه بكل شيء.

ولد نقلوا لنا كل حركاته وسكناته وكلامه وكل سيرته، ولا يكون هذا إلا من حب جم غزير يكنونه له ﷺ.

قفد نقلوا لنا سيرته صافية نقيَّة لا يشوبها التدليس ولا التزوير، وقد تلقى التابعون هذه السيرة العطرة عن الصحابة الكرام خير تلقٍّ، فتعلَّموها وعلَّموها ونشروها في أصقاع المعمورة.

وأمَّا ما زيد في سيرته ﷺ من كذب فهو من فعل المبتدعة، وهم لا يمتُّون إلى رسول الله ﷺ بصلة ولا هم منه ولا هو منهم، وعملهم مردود عليهم، غير مقبول منهم، وقد



توعَّدهم الشارع بالعذاب يوم القيامة، فعند البخاري أنه ﷺ قال: "منْ أحدثَ في أمرنَا هذَا مَا ليسَ منهُ فهوَ ردٌ"(1)، وعند مسلم: " مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمْرُنا فَهو رَدٌّ"(2).

والبدعة من جنس الكذب، ومن كذب عليه ﷺ فإنَّ مثواه النار لقوله ﷺ: لَا تكذُبوا عليَّ؛ فإنَّهُ منْ كذبَ عليَّ فليلجُ النَّارَ(3).

ويُفهم من هذا أنَّ السيرة العطرة لا تُسرد بالأحاديث الضعيفة المنقولة عليه ﷺ، لأنَّها من جنس الكذب عليه ﷺ، ولم يُوفَّق من قال بإباحة رواية السيرة بالأحاديث الضعيفة، لما سبق وتبيَّن لنا من الحديث السابق، بل يجب أن تُروى السيرة بصحيح الأحاديث المنقولة برواية العدل الضابط عن مثله إلى منتها بلا شذوذ وعلَّة.

والكاذب على رسول الله ﷺ ليس بمحب له ﷺ ولا المبتدع كذلك، فانظر في حال الكاذب وحال المبتدع فإذا تأملت رأيتهم واحد؛ فإنَّ المبتدع كاذب، والكاذب مبتدع.

ولكنَّ أهل حبِّه ﷺ لا يكذبون عليه، ولا يبتدعون في دينه، بل هم أهل الاجتماع والاستماع والاتباع، ونبذ الابتداع.

فيجتمعون على دينه وفي حبه، ويستمعون أمره فينفِّذونه، ويتَّبعون هديه ولا يُحرفونه، وينبذون الابتداع ولا يتبعونه.

---

(1) رواه البخاري عن أمنا عائشة رضي الله عنها 2697.

(2) رواه مسلم 1718.

(3) رواه البخاري 106.

ومن أهمِّ طرق اتباع رسول الله ﷺ هو بتعلم سيرته وتذاكرها والعمل بها في سائر أيام الحياة، ومن هذا الباب تهافت الكتاب على كتابة سيرته ﷺ التماسا للأجر العظيم، فمنهم مطوَّل ومنهم مختصر، واختلفت الأقلام، وتفننت الرجال في ذلك، فمنهم من سردها بشكل أحاديث مسندة صحيحة، كي يستدل بها أهل العلم، ومنهم سرد أحاديث وأطال في شرحها، ومنهم غير ذلك...

وإنِّي رأيت الناس تركوا العلم ونبذوه، فلا يهوون الكتب العلمية ككتب السيرة المسندة فتجدهم ينفرون من أسانيدها، ولا يهوون شروحات السيرة، فرأيت أن أكتب كتابا في السيرة العطرة على شكل قصَّة تُسرد مُقتبسة من صحيح الأحاديث والأخبار، وهذا كي لا تملَّها نفوس العامَّة، فجعلتها فصولا على حسب سنوات حياته ﷺ، مقتصرا على السرد فيها، وهي مختصر تصلح أن تكون نقطة بداية لتدارس هذا العلم الجليل، وأرجو من الله تعالى يتقبَّلها مني وأن يجعل فيها القبول وأن ينفعني بها والمسليمن، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

وكتب

الدكتور: أبو فاطمة عصام الدين بن إبراهيم النقيلي



مبادئ علم السيرة

اعلم وفَّقني الله تعالى وإياك لما يحب ويرضى؛ أنَّه ينبغي لمن أراد أن يتعلَّم علما؛ أن يعرف مبادئه العشرة التي تُصوِّر له ذلك العلم قبل الشروع فيه.

وهذه المبادئ جمعها الصبان رحمه الله تعالى في أبيات ثلاث فقال:

إنَّ مبادي كلِّ فنٍّ عشره * الحدُّ والموضوع ثمَّ الثَّمره

نسبة وفضله والواضع * و الاسم الإستمداد حكم الشَّارع

مسائل والبعض بالبعضِ اكتفى * ومن درى الجميع حاز الشَّرفا

المبدأ الأوَّل: حدُّه، والحد هو: التَّعريف:

السيرة لغة: هي الطريقة، يقال: اتبعت سيرته أي: طريقته.

السيرة اصطلاحا: هو علم يُعرف به أحوال رسول الله ﷺ منذ ولادته إلى حين وفاته.

المبدأ الثاني: موضوعه:

موضوع علم السيرة يتناول حياة النبي ﷺ كاملة من مواقفه مع أصحابه رضي الله عنهم، إلى مواقفه مع أعداء الدين.

المبدأ الثالث: ثمرته:

الثمرة المرجوَّة من تعلم علم الشيرة هو التعرُّف على حياة النبي ﷺ والعيش مع مراحلها والتعرُّف على هديه وطريقته والاقتداء به في ذلك.



المبدأ الرابع: فضله:

علم سيرة النبي ﷺ من أفضل العلوم لتعلُّقه برأس العلوم وهو علم الحديث، وكذلك لتعلُّقه بخير خلق الله تعالى.

المبدأ الخامس: نسبته:

ينتسب علم السيرة إلى العلوم الشرعيَّة.

المبدأ السادس: استمداده:

يستمد علم السيرة مادَّته من مصدرين:

المصدر الأوَّل: القرآن الكريم، فقد تحدَّث القرآن عن أحوال رسول الله ﷺ الأخلاقية من باب رأفته بأمَّته وشدَّته على الكفَّار ورحمته وغير ذلك...

المصدر الثاني: علم الحديث، فقد تحدث النبي ﷺ عن أحواله في كثير من الأحاديث، وكذلك تحدَّث عنه أصحابه رضوان الله عليهم.

المبدأ السابع: واضعه:

واضع علم السيرة أصولا، هم الصحابة رضوان الله عليهم، ثم التابعون الذين روو لنا ذلك، ثم علماء الأمَّة الذين بوَّبوا هذا العلم على مراحل ورتبوا السيرة ترتيبا حسنا.

المبدأ الثامن: اسمه:

من أسماء علم السيرة:

1 – علم السيرة.

2 – علم القصص والأخبار النبويَّة.

3 – تاريخ صدر النبوَّة.

المبدأ التاسع: حكم الشارع:

حكم تعلم علم السيرة وتعليمه فرض كفاية بحيث لو قام به من يكفي من الأمَّة سقط الواجب عن البقيَّة، وإن تُرك وهُجر وقع الكل في الإثم.

المبدأ العاشر: مسائله:

مسائل علم السيرة: هو البحث في جزئيَّات حياة النبي ﷺ.




الفصل الأول
من مولد النبي ﷺ إلى حين بعثته




أسماء النبي ﷺ

هو نبينا أبو القاسم محمد بن عبدالله، بن عبد المطَّلب، بن هشام، بن عبد مناف، بن قُصي، بن كلاب، بن مُرَّة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النَّظر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مُضر، بن نزار، بن معدِّ، بن عدنان.

إلى هاهنا فالنَّسب معلوم الصحَّة ومتَّفق عليه عند الناسبين ولا خلاف فيه البتة، وأمَّا ما فوق عدنان فمختلف فيه، ولا خلاف بينهم أنَّ عدنان من ولد إسماعيل عليه وعلى رسول الله الصلاة والسلام.

وأمَّا أبو القاسم فهي كنية رسول الله ﷺ لأنَّ القاسم هو أكبر أبنائه.

وللنبي ﷺ أسماء أخرى، فقد قال صلى الله عليه وسلم: " إنَّ لي أسْماءً، أنا مُحَمَّدٌ، وأنا أحْمَدُ، وأنا الماحِي الذي يَمْحُو اللَّهُ بيَ الكُفْرَ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ النَّاسُ علَى قَدَمِي، وأنا العاقِبُ"(1).

وسبب تسمية النبي ﷺ بـ: محمد؛ أنَّه لمَّا كان اليوم السابع من ولادة النبي ذبح عنه جده عبد المطلب ودعا له قريشا، فلمَّا أكلوا قالوا: يا عبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه ما سمَّيته؟

قال: سمَّته محمَّد.

قالوا: فلمات رغبت عن أسماء أهل بيته؟

قال: أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض.

(1) رواه البخاري عن جبير بن مطعم 4896.



وولد النبي ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشر ليلة خلت من ربيع الأوَّل من عام الفيل، وقد تُوفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب في أثناء رجوعه من تجارته إلى أرض الشام، فنزل عند أخواله بالمدينة فمات عندهم وهو ابن خمس وعشرين سنة وترك رسول الله ﷺ حملا في بطن أمه.

قصَّة الفيل:

وقد وُلد صلى الله عليه وسلم بعد مجيء أبرهة لهدم الكعبة بالفيل بخمسين يوما.

وأمَّا قصَّة الفيل؛ فإنَّ أبرهة والي اليمن قام ببناء كنيسة عظيمة وأراد أن يُغير وجهة حج العرب فيجعلهم يحجون للكنيسة.

فرفض العرب ذلك وأخذتهم الحميَّة على بيت الله تعالى، ورفضوا ذلك رفضا قاطعا، حتَّى أنَّ رجلا من العرب ذهب إلى الكنيسة وقضى حاجته فيها تحقيرا لشأنها.

فحينها عزم أبرهة على هدم الكعبة عقابا للعرب، فدخل بجيشه والفيل في مقدمته إلى أن وصل مكَّة فبرك الفيل في مكانه ولم يرد النهوض، فضربوه ووخزوه فلم يقم، فوجَّهوه إلى ناحية اليمن فقام يهرول، وكذلك إلى سائر الجهات، إلَّا جهة مكة فكان يبرك إذا وجَّهوه إليها.

ثمَّ كان أمر الله تعالى فأرسل على أبرهة وجيشه طيورا، كل طير يحمل ثلاثة أحجار في حجم الحمُّص، واحدة في منقاره، واثنان في رجليه، فلا تصيب أحدا منهم إلا هلك، فتركتهم كأوراق الشجر الجافَّة.

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿1﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿2﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿3﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿4﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿5﴾[سورة الفيل].

وقالت آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ: رأيت حين حملت به؛ أنَّه خرج مني نور أضاء لي قصور بُصرى من أرض الشام، ثمَّ حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخفَّ عليَّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنَّه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء(1).

وأوَّل من أرضعت النبي ﷺ هي ثويبة مولاة أبي لهب، فأرضعته أياما ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وأخذنه معها إلى أرضها فأقام معها في بني سعد نحو أربع سنين ثمَّ ردَّته إلى أمه.

---

(1) رواه ابن هشام وأبو يعلى في مسنده وابن حبان والطبراني.



قصَّة حليمة السعديَّة:

وتحكي حليمة السعدية خبر خروج رسول الله ﷺ معها فتقول:

خرَجْتُ في نسوةٍ مِن بني سعدِ بنِ بكرٍ نلتمِسُ الرُّضَعاءَ بمكَّةَ على أَتانٍ لي قَمراءَ (أتان: أي: أنثى حمار، وقمراء، أي: بيضاء مائلة للحمرة) في سَنةٍ شَهباءَ (أي: جدباء) لم تُبْقِ شيئًا ومعي زوجي ومعنا شارفٌ لنا (أي: ناقة مسنَّة) واللهِ ما إنْ يَبِضُّ علينا بقَطرةٍ مِن لَبَنٍ ومعي صبيٌّ لي إنْ ننامُ ليلتَنا مِن بكائِه ما في ثَدْييَّ ما يُغنيه فلمَّا قدِمْنا مكَّةَ لم تَبْقَ منَّا امرأةٌ إلَّا عُرِض عليها رسولُ اللهِ ﷺ فتأباه وإنَّما كنَّا نرجو كرامةَ الرَّضاعةِ مِن والدِ المولودِ وكان يتيمًا وكنَّا نقولُ : يتيمًا ما عسى أنْ تصنَعَ أمُّه به حتَّى لم يَبْقَ مِن صواحبي امرأةٌ إلَّا أخَذَتْ صبيًّا غيرِي فكرِهْتُ أنْ أرجِعَ ولم أجِدْ شيئًا وقد أخَذ صواحبي فقُلْتُ لزَوجي واللهِ لَأرجِعَنَّ إلى ذلك اليتيمِ فلَآخُذَنَّه فأتَيْتُه فأخَذْتُه ورجَعْتُ إلى رَحلي فقال زوجي: قد أخَذْتِيه؟ فقُلْتُ: نَعم واللهِ وذاك أنِّي لَمْ أجِدْ غيرَه فقال: قد أصَبْتِ فعسى اللهُ أنْ يجعَلَ فيه خيرًا قالت: فواللهِ ما هو إلَّا أنْ جعَلْتُه في حِجْري أقبَل عليه ثَديي بما شاء اللهُ مِن اللَّبَنِ فشرِب حتَّى رَوِيَ وشرِب أخوه (يعني ابنَها) حتَّى رَوِيَ وقام زوجي إلى شارِفِنا مِن اللَّيلِ فإذا بها حافلٌ فحلَبها مِن اللَّبَنِ ما شِئْنا وشرِب حتَّى رَوِيَ وشرِبْتُ حتَّى رَوِيتُ وبِتْنا ليلتَنا تلك شِباعًا رِوَاءً وقد نام صِبيانُنا يقولُ أبوه (يعني زوجَها): واللهِ يا حَليمةُ ما أراكِ إلَّا قد أصَبْتِ نسَمةً مُبارَكةً قد نام صبيُّنا ورَوِيَ قالت: ثمَّ خرَجْنا فواللهِ لَخرَجَتْ أَتَاني أمامَ الرَّكبِ حتَّى إنَّهم لَيَقولونَ: ويحَكِ كُفِّي عنَّا أليسَتْ هذه بأَتَانِكِ الَّتي خرَجْتِ عليها؟ فأقولُ: بلى واللهِ وهي قُدَّامَنا حتَّى قدِمْنا منازِلَنا مِن حاضرِ بني سعدِ بنِ بكرٍ فقدِمْنا على أجدَبِ أرضِ اللهِ فوالَّذي نفسُ حَليمةَ بيدِه إنْ كانوا لَيسرَحونَ أغنامَهم إذا أصبَحوا ويسرَحُ راعي غنَمِي

فتروحُ بِطانًا لُبَّنًا حُفَّلًا وترُوحُ أغنامُهم جياعًا هالكةً ما لها مِن لَبَنٍ قالت: فنشرَبُ ما شِئْنا مِن اللَّبَنِ وما مِن الحاضرِ أحَدٌ يحلُبُ قطرةً ولا يجِدُها فيقولونَ لرِعائِهم: وَيْلَكم ألَا تسرَحونَ حيثُ يسرَحُ راعي حَليمةَ فيسرَحونَ في الشِّعبِ الَّذي تسرَحُ فيه فترُوحُ أغنامُهم جياعًا ما بها مِن لَبَنٍ وترُوحُ غنَمي لُبَّنًا حُفَّلًا، وكان صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يشِبُّ في اليومِ شبابَ الصَّبيِّ في شهرٍ ويشِبُّ في الشَّهرِ شبابَ الصَّبيِّ في سَنةٍ فبلَغ سنةً وهو غلامٌ جَفْرٌ، (أي: ممتلئ قويٌّ) قالت: فقدِمْنا على أمِّه فقُلْتُ لها وقال لها أبوه: رُدِّي علينا ابني فلْنرجِعْ به فإنَّا نخشى عليه وباءَ مكَّةَ قالت: ونحنُ أضَنُّ شيءٍ به ممَّا رأَيْنا مِن بركتِه قالت: فلَمْ نزَلْ حتَّى قالت: ارجِعا به فرجَعْنا به فمكَث عندَنا شهرَيْنِ[1].

---

(1) حسن لغيره أخرجه ابن حبان في صحيحه 6335، وقال الأرناؤوط: في سنده انقطاع بين عبد الله وبين حليمة. وجهم بن أبي جهم ذكره ابن حبان في (الثقات)، وذكره البخاري وابن أبي حاتم، فلم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلا، ومسروق بن المرزبان، وإن قال فيه أبو حاتم، ليس بالقوي، قد توبع، وابن إسحاق قد صرح بالتحديث، وباقي رجاله ثقات، وأخرجه أبو داود 251، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوّة 139/1، وأخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام 46/1، وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية 254/2، وقال: روي من طرق أخر وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي.





قصة جبريل عليه السلام وشق صد رسول الله ﷺ:

وبعدما رجعت حليمة برسول الله ﷺ من عند أمه آمنة بنت وهب، أتى جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشقَّ عن قَلْبِهِ، فاسْتَخْرَجَ القَلْبَ، فاسْتَخْرَجَ منه عَلَقَةً، فقالَ: هذا حَظُّ الشَّيْطانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ في طَسْتٍ مِن ذَهَبٍ بماءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ، ثُمَّ أعادَهُ في مَكانِهِ، وجاءَ الغِلْمانُ يَسْعَوْنَ إلى أُمِّهِ، يَعْنِي ظِئْرَهُ (أي: مرضعته)، فقالوا: إنَّ مُحَمَّدًا قدْ قُتِلَ، فاسْتَقْبَلُوهُ وهو مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ(1).

قالت حليمة: فخَرَجْنا نحوَه نَشتَدُّ فانْتَهَينا إليه، وهو قائِمٌ مُنتَقِعٌ لَوْنُه، فاعْتَنَقَه أبوه، واعتَنَقتُه، ثم قُلنا: ما لك أيْ بُنَيَّ؟

قال: أتاني رَجُلانِ عليهما ثيابٌ بياضٌ، فأضْجَعاني، ثم شقَّا بَطْني، فواللهِ ما أدْري ما صَنَعا.

قالت: فاحتَمَلْناه فرَجَعْنا به، قالت: يقولُ أبوه: واللهِ يا حَليمةُ، ما أرى هذا الغُلامَ إلَّا قد أُصِيبَ، فانْطَلِقي فلْنَرُدَّه إلى أهْلِه قبلَ أنْ يَظهَرَ به ما نتخوَّفُ عليه، فقُلتُ: لا واللهِ، إنَّا كَفَلْناه وأَدَّيْنا الحَقَّ الذي يَجِبُ علينا فيه، ثم تخوَّفتُ الأحداثَ عليه، فقُلتُ: يكونُ في أهْلِه.

---

(1) رواه مسلم عن أنس بن مالك 162.





قالت: فقالت أُمُّه: واللهِ ما ذاك بكما، فأخْبِراني خَبَرَكما وخَبَرَه، قالت: فواللهِ ما زالت بِنا حتى أخْبَرْناها خَبَرَه.

قالت: فتخوَّفْتُما عليه؟ كلَّا واللهِ إنَّ لابْني هذا لَشأنًا، ألَا أُخبِرُكما عنه؟ إنِّي حَمَلتُ به، فلم أرَ حَمْلًا قَطُّ كان أخفَّ ولا أعظَمَ بَرَكةً منه، ثم رأيتُ نورًا كأنَّه شِهابٌ خَرَجَ مِنِّي حينَ وَضَعتُه أضاءتْ لي أعناقُ الإبِلِ ببُصْرَى، ثم وَضَعتُه فما وَقَعَ كما تَقَعُ الصِّبيانُ، وَقَعَ واضِعًا يَدَه بالأرضِ رافِعًا رأسَه إلى السَّماءِ، دَعاه والْحَقا بشَأْنِكُما(1).

فكانت تلك الحادثة سبب إعادة رسول الله ﷺ إلى أمه.

ولمَّا بلغ صلى الله عليه وسلم ست سنوات أرادت أمه أن تُزيره أخواله من بني عديٍّ بن النجَّار، فماتت وهي راجعة به إلى مكَّة بالأبواء بين مكَّة والمدينة(2)، ثم احتضنته أمُّ أيمن وقد كانت ملكا لأبيه، وورثها صلى الله عليه وسلم عنه.

ثمَّ كفله جده عبد المطَّلب وكان يؤثره على أبنائه ويُجلسه على الفراش ويمسح ظهره بيده ويقول لأبنائه: والله إنَّ له لشأنا(3).

ولمَّا بلغ النبي ﷺ ثماني سنوات توفي جده عبد المطلِّب فكفله عمُّه أبو طالب(4) وقام بحق ابن أخيه على أكمل وجه وضمَّه إلى أولاده وقدَّمه عليهم وظل فوق أربعين سنة يبسط عليه حمايته ويُصادق ويُخاصم من أجله(5).

---

(1) حسن رواه الهيثمي في مجمع الزوائد 8/223 وقال: رجاله ثقات، وأبو داود 251، وابن حبان في صحيحه 6335، والذهبي في تاريخ الإسلام 1/46، وابن كثير في البداية والنهاية 2/254، وقال: روي من طرق أخر وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي.

(2) يُنظر الطبقات الكبرى لابن سعد 1/116، وسيرة ابن هشام 1/168.

(3) يُنظر سيرة ابن هشام 1/168، والبداية والنهاسة 3/406.

(4) صحيح سيرة ابن هشام 64، الطبقات لابن سعد 1/96، البداية والنهاية لابن كثير 2/312.

(5) الرحيق المختوم للمباركفوري 64.





قصة بحيراء الراهب(1):

ولمَّا بلغ ﷺ الثانية عشر من عمره، خرج به عمُّه أبو طالب في أشياخ من قريش إلى الشام، فلمَّا أشرفوا على الراهب (أي: بحيراء) هبطوا فحلوا فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم، ولا يلتفت.

فبينما هم يحلون رحالهم، جعل الراهب يتخلَّلهم حتَّى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعامين.

فقال له أشياخٌ من قريش: وما علمك؟

فقال: إنّكم حين أشرفتم حين أشرفتم من العقبة لم يبقى شجر ولا حجر إلا خرَّ ساجدا ولا يسجدن إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوَّة أعلى كتفه اليسرى مثل التفاحة.

ثمَّ رجع فصنع لهم طعاما، فلمَّا أتاهم به كان رسول الله ﷺ في رعية الإبل.

قال الراهب: أرسلوا إليه.

فأقبل رسول الله وعليه سحابة ﷺ تظله، فلمَّا دنى من القوم وجدهم قد سبقوه إلى ظل الشجرة، فلمَّا جلس، مال ظل الشجرة إليه، فقال: انظروا إلى ظل الشجرة مال عليه.

وبينما هو قائم عليهم وهو يحلف عليهم أن لا يذهبوا به إلى بلاد الروم؛ لأنَّ الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلوه، فالتفت فإذا بسبعةٍ قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟

قالوا:






جئنا إنَّ هذا النبيَّ خارِج في هذا الشهر، فلم يبقى طريق إلَّا بُعث إليه بأُناس وإنَّا قد أُخبرنا خبره فبُعثنا إلى طريقك هذا.

فقال: هل خلَّفتم أحدا هو خير منكم؟

قالوا: إنَّما أُخبرنا خبره بطريقك هذا.

قال: أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس ردَّه؟

قالوا: لا، فبايعوه وأقاموا معه.

قال أُنشدكم بالله أيكم وليُّه؟

قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتَّى ردَّه أبو طالب، وزوَّده الراهب من الكعك والزيت.

---

(1) يُنظر: الطبقات 1/122، وصحيح سيرة ابن هشام 64، وسنن الترمذي 3/191.





حرب الفجار(1):

ولمَّا النبي الخامسة عشرة من عمره هاجت حرب الفجار(2) بين قريش ومن معهم من كنانة (وهي فرع من قريش) **وبين قيس عيلان ومن معهم من هوازن** (وهم فرع من بني قيس عيلان).

وسببها: أنَّ عروة الرحَّال من بني هوازن أجار تجارة للنعمان بن المنذر (وهو ملك الحيرة يبعث بسوق عكاظ في كل عام في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له حتى تباع هناك) **فقال له رجل من بني كنانة اسمه البرَّاض بن قيس: أتجيرها على كنانة؟**

قال: نعم، وعلى الخلق كلهم.

فقتله البراض في الشهر الحرام.

فأتى آت قريشا، فقال: إنَّ البراض قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بعكاظ.

فارتحلت كنانة ومعهم قريش، ولم تشعر بهم هوازن، ثمَّ بلغهم الخبر فأتْبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتَّى جاء الليل، فدخلت قريش الحرم، فأمسكت عنهم هوازن فلم تقاتلهم؛ لأجل حرمة البيت الحرام، ثمَّ التقوا بعد هذا اليوم أياما.

وأخرج أعمام رسول الله ﷺ النبي ﷺ فشهد بعض أيام هذه الحرب، وكان يرد عليهم نبل عدوِّهم إذا رموهم بها.

وسمِّي هذا اليوم بيوم الفجار؛ لأنَّهم استحلوا المحارم في الشهر الحرام.

وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيرا ما تشبه حروب العرب، فتبدأ صغيرة وتنتهي كبيرة.

---

(1) سيرة ابن هشام 1/184/186، ونور اليقين في سيرة خير المرسلين للخضري ص 14.

(2) الفِجار بكسر الفاء، بمعنى المفاجرة، كالقتال والمقاتلة، وذلك لأنَّهم فجروا في الشهر الحرام باستحلالهم القتل فيه.




حلف الفضول لنصرة المظلوم(1):

وشهد رسول الله ﷺ حلف الفضول، وذلك بعد حرب الفجار، فقد تداعت قبائل من قريش إلى الحلف(2)، فاجتمع بنوا هاشم، وبنوا المطلب، وغيرهم، في دار عبد الله بن جُدعان؛ لشرفه وسنِّه، وتعاهدوا على أن لا يجدوا مظلوما بمكَّة من أهلها أو ممن دخلها من سائر النَّاس إلَّا نصروه، وكانوا على من ظلمه حتَّى تُرد عليه مظلمته، فسمَّت قريش ذلك الحلف بحلف الفضول(3).

وكان سببه: أنَّ رجلا من زُبيدٍ قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل، وكان العاص ذا قدر بمكة وشرف، فلم يُعطه حقه، فاستدعى عليه الزُّبيديُّ الأحلاف: عبد الدار، ومخزوما، وجُمَحَ، وعديّ بن كعب، فأبوا أن يُعينوه على العاص بن وائل، وانتهروه.

فلمَّا رأَى الزُّبَيدِيُّ الشرَّ عَلا على جبلَ أبي قُبَيسٍ(4)، فصاح بأعلى صوتِه بأشعار يصفُ مَظلمَتَه، فقال:

يا آل فهر لمظلوم بضاعتـــــه *** ببطن مكة نائي الدار والنفـــــر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته *** يا للرجال وبين الحِجر والحَجَر
إن الحرام لم تمت كرامتـــــه *** ولا حرم لثوب الفاجر الغُـــدر

فقامَ في ذلك الزُّبيرُ بنُ عبدِ المُطَّلب، وقال مَا لِهَذا مَتْرَكٌ؟(5).

فاجتمعتْ هاشمٌ، وزُهْرَةُ، وتيْمُ بنُ مُرَّةَ، وعَقَدوا هذا الحِلفَ في دار عبد الله

---

(1) البداية (321/2)، السيرة في ضوء المصادر الأصلية (129).

(2) حلف: أي عهد.

(3) انظر: سيرة ابن هشام (133/1-134).

(4) جبل أبي قبيس: جبل بمكة.

(5) ما لهذا مترك: أي لا يصح أن يُترك.

(6) انظر: الروض الأنف، للسهيلي (45/2-47).



بن جدعان(6) فصنع لهم طعاما وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ...

فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه.

وسُمِّي حلفَ الفُضولِ؛ لأجلِ أن مَن قامَ به كان في أسمائِه الفَضلُ، كالفضلِ بن وَدَاعة، والفضلِ بن قُضَاعةَ، والفضلِ بن شُرَاعة، والفضلِ بن فَضَالَة.

وكان أكرمَ حلفٍ سُمِعَ به، وأشرفَه في العربِ(1).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ" تَحَالَفُوا أَنْ يَرُدُّوا الْفُضُولَ عَلَى أَهْلِهَا، وَأَلَّا يَغْلِبَ ظَالِمٌ مَظْلُومًا(2).

وَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيِّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، وَأَنِّي أَنْكُثُهُ(3).

وفي هذا الحلف قال الزبير بن عبد المطلب:

إنَّ الفضول تعاقدوا وتحالفوا * ألَّا يُقيمَ ببطن مكَّة ظالـمُ

أمر عليه تعاقدوا وتواثقـــوا * فالجار والمعترُّ فيهم سالمُ(4)

---

(1) انظر: السابق (2/45-46).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (1/134)، والبداية والنهاية (3/456).

(3) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد (567)، وأحمد (1655)، عن عبد الرحمن بن عوفٍ، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(4) البداية والنهاية – ابن كثير – ج ٢ – الصفحة ٣٥٦.





زواج النبي ﷺ من خديجة رضي الله عنها:

ولمَّا النبي ﷺ الخَامِسةَ والعِشْرِينَ تَزوَّجَ خَدِيجةَ رضيَ اللهُ عنْها(1) وكانت خديجةُ بنتُ خُوَيلِدٍ مِن أزكى قريش نسبًا، وأعظمِهم شرفًا، وأكثرِهم مالا، وكانتْ تستأجرُ الرجالَ في مالها، فعمل لها رسولُ اللهِ ﷺ في تجارتِها، وخرجَ لها ذاتَ مرةٍ إلى الشامِ في تجارةٍ ومعه غلامُها مَيْسَرةُ حَتى أتى بُصرَى فرآه الرَّاهِبُ، وبشَّرَ بنبوته مَيسَرةَ، ورأى مَيْسرةُ مِن شأنِه ما بَهَره، فأخبرَ سيدتَه خديجةَ بما شاهدَ، وبكلامِ الراهبِ، فرغِبتْ خديجةُ رضي الله عنها إليه أن يتزوجَها لمَا رَجتْ في ذلك من الخيرِ.

فأخبرتْ خديجةُ رضي الله عنها نَفِيسَةَ بنتَ منبِّهٍ بأنها تريدُ الزواجَ من محمدٍ ﷺ فذهبت نَفِيسَةُ إلى محمدٍ ﷺ وكلَّمته في شأنِ خديجةَ، فوافقَها على ذلك فتزوجَ بخديجةَ بعد ذلك بشهرينِ(2) وأصدقَها رسولُ اللهِ ﷺ عشرينَ بَكْرةً، فولدتْ لرسولِ اللهِ ﷺ ولدَه كلَّهمْ إلَّا إبراهيمَ(3).

---

(1) تاريخ الطبري (521/1)، صحيح سيرة ابن هشام (67).

(2) انظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، للمقريزي (17/1–18).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (643/2).

الاختلاف في وضع الحجر الأسود:

ولما بَلغَ النبي الخَامسَةَ والثلَاثينَ اختَلفتْ قريشٌ فيمَنْ يَضعُ الحَجرَ الأَسودَ مَكانَه فحكَّمَ بينهُم(1).

وذلك حين أصابَ مكةَ سيلٌ جارفٌ، فأوشكت الكعبةُ عَلى التَّصدعِ؛ فأرادتْ قريشٌ هدمَ الكعبةِ، وبناءَها.

فلمَّا أجمعوا أمرهُم عَلَى هدْمها وبنائها، قامَ أبو وهْبِ بنُ عمرٍو المَخزوميُّ، فقال: يا معشرَ قريشٍ، لا تدخلوا في بنائِها من كسبِكم إلا طيِّبا، لا يدخل فيها مهرُ بَغيٍّ، ولا بيعُ ربا، ولا مظلمةُ أحدٍ من الناس.

فَجزَّأت قريشٌ الكعبةَ، فكان لكلِّ قبيلةٍ جزءٌ تضعُه، ثم إن الناس هَابُوا هدْمها، فقال الوليدُ بن المُغيرةِ: أنا أبدؤكم في هدْمِها، فأخذَ المِعوَل، ثمَّ قامَ عليها، وهو يقول: اللهم إنَّا لا نريدُ إلا الخيرَ، ثم هَدَم من ناحية الرُّكْنينِ، فتربَّصَ الناسُ تلك الليلةَ، وقالوا: ننظرُ، فإن أصيبَ لم نهدِم منها شيئا وردَدناها كمَا كانتْ، وإن لم يُصبْه شيء، فقد رضي الله صُنعَنا، فهَدَمْنا.

فأصبح الوليدُ لم يمسَّه مكروهٌ، فهدمَ وهدمَ الناس معه، حتَّى انتهى الهَدمُ بهم إلى أساسِ إبراهيمَ عليه السلام.

---

(1) مصنف عبد الرزاق (102/5) بسند صحيح، وصحيح سيرة ابن هشام (69)، البداية (328/2).

ثم إن القبائلَ من قريشٍ جمعتِ الحجارةَ لبنائِها، كل قبيلة تجمعُ على حدةٍ، ثم بَنَوهَا، حتى بلغَ البنيانُ موضعَ الركنِ، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى همُّوا بأن يقتتلوا، فقال أبو أمية بنُ المغيرةِ المخزوميُّ: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أولَ من يدخلُ من بابِ هذا المسجد يقضي بينكم فيه.

فَفَعلوا، فكان أولَ دَاخلٍ عليهم رسولُ اللهِ ﷺ فلمَّا رَأوه قَالوا: هَذا الأمينُ، رَضينَا، هذا محمدٌ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال ﷺ: «هَلُمَّ إليَّ ثوبًا» فأُتِيَ به، فأخذَ الرُّكن فوضَعه فيه بيده، ثم قال: «لِتَأخُذْ كلُّ قَبيلةٍ بناحيةِ من الثَّوبِ»، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا: حتى إذا بلغوا به موضِعه، وَضَعه هو بيدِه، ثم بَنَى عليه(1)

وقد قصُرت بقريشٍ النفقةُ الطيبةُ فلم يَبنوا الكعبةَ على قواعدِ إبراهيمَ عليه السلام، فأخرجوا من الجهةِ الشماليةِ نحوا من ستةِ أَذْرُع، وهي التي تسمَّى بالحِجْرِ والحَطِيمِ(2) ورَفعوا بابَها من الأرضِ؛ لئلَّا يدخلَها إلا مَن أرادوا(3).

---

(1) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (1/145-146)، وسيرة ابن هشام (1/192-197).

(2) الحطيم: قيل: سمي حطيما؛ لأن الناس يزدحمون فيه حتى يحطمَ بعضهم بعضا، وقيل: لأن الثياب كانت تجرد فيه عند الطوافِ.

(3) انظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص (68).



ترادف علامات النبوَّة:

ولما بَلغَ النبي ﷺ الثَّامنةَ والثلاثين تَرادَفتْ عليهِ عَلاماتُ نُبوَّتِهِ، وَتحدَّث بهَا الرُّهْبانُ والكهَّانُ(1).

فقد كانت الأحبارُ من يهود، والرهبانُ من النصارى، والكهانُ من العربِ، قد تحدثوا بأمرِ رسولِ الله ﷺ قبلَ مبعثِه، لما تقاربَ مِن زمانِه.

فأما أحبارُ يهود، ورهبانُ النصارى، فعمَّا وجدوا في كتبهم من صفتِه وصفةِ زمانِه، وما كان من عهدِ أنبيائِهم إليهم فيه.

وأما كهانُ العربِ فأتتهم به الشياطينُ من الجنِّ فيما تَسترقُ من السَّمع من السماءِ قبل أنْ تُحجبَ عن ذلك بالقَذْف بالنجوم.

فلما اقتربَ زمان مبعثِ رسول الله ﷺ حُجبتِ الشياطينُ عن السَّمعِ، وحيلَ بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فَرُمُوا بالنجومِ، فعَرفتِ الجنُّ أن ذلك لأمرٍ حدثَ من أمرِ اللهِ في العبادِ.

يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ حين بعثَه، وهو يقصُّ عليه خبرَ الجنِّ إذ حُجبوا عن السمعِ، فعرَفوا ما عرَفوا، وما أنكروا من ذلك حيَن رأوَا ما رأوَا:

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا * وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا[سورة الجن 10/9].

---

(1) حدائق الأنوار (158/1)، صحيح سيرة ابن هشام (74).



ومن ذلك قصةِ سَلْمَانَ الفَارِسيِّ المشهورةِ في بحثِه عن الدينِ الحقِّ، قَالَ لهُ الراهبُ حين حضرته الوفاةُ: "أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ"(1) بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ(2).

وهذا يدل على أنَّ الرهبان كانوا على علم بمبعث رسول الله ﷺ.

(1) حرتين: مثنى حَرة، وهي أرض ذات حجارة سوداء، والمدينة بين حرتين.

(2) حسن: رواه أحمد (23737)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (2/560).



حببت الخلوة إلى رسول الله ﷺ وكان وحيه مناما:

ولما بَلَغَ ﷺ التَّاسِعةَ والثلاثينَ، حُبِّبَ إليهِ الخَلوةُ، فكانَ يخلو بغارِ حِراءَ شهرَ رمضانَ يَتحنَّفُ فِيهِ(1)(2).

وأَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ(3) فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا تحقَّقتْ ووقعَتْ في يقظتِهِ كمَا رآهَا، وكان هذا قبل مبعثه بستة أشهر(4).

---

(1) يتحنف: من الحنيفيَّة: أي يتعبد على ملة إبراهيم عليه السلام.

(2) حدائق الأنوار (1/159).

(3) الصالحة: أي الصادقة، وهي التي يجري في اليقظة ما يوافقها.

(4) ينظر: حدائق الأنوار (1/159).



الفصل الثاني
من البعثة إلى الهجرة





جبريل عليه السلام وأوَّل الوحي:

ولمَّا بَلغَ النبي ﷺ أَرْبَعين سَنَةً جاءَهُ جِبرِيلُ عليه السلام، بالوحْي مِنْ رَبِّهِ وهُوَ في غارِ حِراءَ(1).

ولمَّا بلغ ﷺ الأربعين من عمره حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلْوَةُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغارِ حِرَاءَ، فيَتعبَّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَة فيَتزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الوَحيُ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فقَالَ: اقْرَأْ.

قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» (أي: لا أعرف القراءة).

قَالَ: «فَأَخَذَنِي فغَطَّنِي (أي: ضمني حتى حبس نفسي) حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ (مبلغ طاقة احتمالي) ثُمَّ أَرْسَلَنِي (أي: أطلقني وتركني)

فقَالَ: اقْرَأْ.

قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي. فَقَالَ: اقْرَأْ.

فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ[العلق: 1/ 2].

---

(1) تاريخ الطبري (528/1)، البداية (7/3).

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ.

فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي".

فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ.

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ.

فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ.

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟

فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ خَبَرَ مَا رَأَى.

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ(1) الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟».

قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا(2).

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَانْقَطَعَ نُزُولُ الوَحْيِ مُدَّةً(3).

---

(1) الناموس: هو جبريل عليه السلام، ومعناه: صاحب السر.

(2) انظر: تفسير الطبري (152/17).

(3) متفق عليه: رواه البخاري (3)، ومسلم (160)، عن عائشة رضي الله عنها.

الدعوة السريَّة:

ثمَّ أمر الله تعالى بعد ذلك نبيَّه ﷺ أن يدعوَ قومه إلى الإسلام فقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ"[المدثر: 1 – 7].

فشمَّر النبي ﷺ على ساعد الجد وانتهض بالعزم يَدعُو إِلى اللهِ تعالى سِرًّا ثلاثَ سَنَواتٍ(1).

فأخذَ يَدعُو إلى عِبادةِ الله وحدَه ونَبذِ الأصنامِ، ولكنه كانَ يدعو إلى ذلك سرًّا حَذَرًا من وَقْعِ المُفاجَأةِ على قُريشٍ التي كانتْ مُتَعصِّبةً لشرْكِها ووثنيَّتِها، فلمْ يَكنْ يُظْهِرُ الدَّعوةَ في المَجالسِ العُمُوميةِ لقُريشٍ، ولم يَكنْ يدعُو إلا مَن كانتْ لهُ قرابةٌ قَوِيَّةٌ، أو مَعرفةٌ سَابقةٌ(2).

السابقون الأوَّلون:

كانت نتيجةُ الدَّعوةِ السِّرِّيةِ إسلامَ الرَّعيلِ الأولِ مِنَ الصحابةِ فأولُ من أسلمَ من الرجالِ الأحرارِ: أبو بكرٍ، ومن النساءِ: خديجةُ، ومن العبيدِ: زيدُ بنُ حارثةَ، ومنَ الغِلمانِ: عليُّ بنُ أبي طالبٍ(3).

وهؤلاءِ همْ أقربُ الناسِ إلى رَسولِ اللهِ، لذلكَ كانوا أَوْلى بدعْوَته وأسرعَ في إجابتِه.

ثمَّ دخلَ الناسُ في الإسلامِ جماعاتٍ مِنَ الرِّجالِ والنساءِ، حتَّى انْتشرَ ذكرُ الإسلامِ بمكة، وتحدَّثَ النَّاسُ بِه(4).

---

(1) سيرة ابن هشام (325/1) وصحيح مسلم (832).

(2) يُنظر: فقه السيرة، للبوطي، صـ (68).

(3) البداية (29/3).

(4) يُنظر: سيرة ابن هشام (262/1).

الدعوة الجهريَّة:

وظلَّ رسول الله ﷺ يدعو حتى نزل عليه قوله تعالى: "فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ"[الحجر: 94]، فخرج هو وأصحابه(1)، وجهر بما جاءه مِن الحقِّ، وأظهر للناسِ دعوتَه، وكان بينَ دعوتِهِ السرِّيةِ، ودعوتِهِ الجَهْرِيَّةِ ثلاثُ سنينَ.

ولمَّا نزل عليه ﷺ قوله تعالى: "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"[الشعراء: 114]، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ حَتَّى صَعِدَ جَبَلَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهْ»، وهي كلمة يقولها المستغيثُ؛ لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح فكأن المستغيث يقول: قد غَشينا العدو.

فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ؟

فَقَالُوا: قَالُوا: مُحَمَّدٌ.

فَقَالَ رسول الله ﷺ: "يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ".

فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟"

قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا.

فَقَالَ: "يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

---

(1) يُنظر: تفسير الطبري 152/17.



يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.
يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.
يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ.
فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، وَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا".
فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟
فنزل قوله تعالى: " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ"[المسد: 1 – 2](1).

تعذيب كفار قريش للمسلمين:

وكان من نتيجةِ الجَهر بالدعوةِ أن كلَّ قَبيلةٍ وَثبتْ على مَن فيها مِن المُسلمينَ، فجَعَلوا يحبسونَهم ويعذِّبُونَهم بالضربِ والجوعِ والعطشِ، وبرمضاءِ مكةَ (والرمضاء: هي الرمال الحارَّة من شدة حرارة الشمس) إذا اشتدَّ الحرُّ، من استضعِفوا منهم، يفتنونَهم عن دينِهم، فمنهُم من يفتنُ من شدَّةِ البلاءِ الذي يُصيبُه، ومنهُم من يَثبتُ، ويعصمُه اللهُ منهم(2).

فكان أَبو جهلٍ إذا سمِع برجلٍ قد أسلمَ، وَله شَرفٌ ومَنَعَةٌ في قَومِهِ، وَبَّخَهُ وأَخْزَاهُ، ويَقُولُ لهُ: تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ مِنك، لنُسَفِّهنَّ حِلْمَك، وَلَنُفَيِّلَنَّ رأيَك (أي: لنقبِّحنَّ رأيك ونخطئنَّك)، ولنضَعَنَّ شرفَكَ، وإنْ كانَ تاجرًا قالَ: واللهِ لَنُكَسِّدَنَّ تجارتك، ولنُهلكَنَّ مالكَ، وإن كانَ ضعيفًا ضَربَه وأغْرَى به(3).

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (3527، 4770، 4971)، ومسلم (204، 208)، عن أبي هريرة، وابن عباس.
(2) انظر: سيرة ابن هشام (1/78).
(3) انظر: سيرة ابن هشام (1/320)، والكامل في التاريخ، لابن الأثير (1/667).



وكانت بنُو مخزومٍ يخرجون بعمَّارِ بن ياسرٍ، وبأبيهِ، إذا حُمِيتِ الظَّهيرةُ، يعذِّبونهم برمضاء مكة، فيَمُرُّ بهِم رسولُ اللهِ ﷺ فيقولُ: «أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ»(1)، فأما أمُّه فقتلوهَا، وهيَ لا تُريدُ إلا الإسلامَ(2).

وكان أُميَّةُ بن خَلَفٍ الجُمَحيُّ يعذِّب بلالَ بنَ رَبَاحٍ، ويطرحُه على ظهرِه في نصفِ الظَّهيرة، ويضعُ صخرةً عظيمةً على صدرِه، ويقولُ: لا تزالُ هكذا حتى تموتَ أو تَكفرَ بمحمدٍ وربِّه، وهو يقولُ: أَحدٌ أَحدٌ، فمرَّ بِه أبو بَكرٍ يومًا، فقال: إلى متى تعذِّبُ هذا المسكينَ؟

قال أُميَّةُ بنُ خَلَفٍ: أنتَ أفسدتَه، فأنْقِذْهُ.

قال أَبو بكرٍ: نَعمْ عِندِي غُلامٌ على دِينكَ أَجْلدُ منهُ، وأقوَى فَخُذْه مَكانَه فأخذ أبو بكرٍ بلالًا فأعتَقَه(3).

وأخذ الكفَّارُ خبَّابَ بْنَ الْأَرَتِّ، وعذَّبوه عذابا شديدا، فكانوا يُعرُّونَه ويُلصِقون ظَهرَه بالأَرض في شدةِ الحرِّ، ثم بِالحجارةِ المحَمَّاةِ بالنار، ولوَوا رأسَه، فلم يُجبْهم إلى شيء مما أرادوا منه.

وكان صهيبُ بنُ سِنانٍ الرُّوميُّ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ يعذَّبانِ في الله عذابا شديدا.

وكان أبو فُكَيهَةَ عبدًا لصفوانَ بنِ أميَّةَ بن خلفٍ الجُمحيِّ، فأخذَه أميةُ بنُ خلفٍ وربطَ في رِجلِهِ حَبلًا، وأَمَرَ بهِ فَجُرَّ، ثم ألقاهُ في الرَّمضاءِ، ومرَّ بِهِ جُعْلٌ (أي: دابة سوداء من دواب الأرض) فقالَ له أُميةُ: أليس هذا ربك؟

فَقالَ أبو فُكَيهَةَ: اللهُ ربي وربُّكَ، وربُّ هذا.

---

(1) صحيح: رواه ابن سعد في الطبقات (249/3)، والحاكم في المستدرك (5666)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «على شرط مسلم»، والبيهقي في الدلائل (282/2)، وصححه الألباني في صحيح السيرة، صـ (154).

(2) انظر: البدء والتاريخ، للمطهر المقدسي (100/5)، وسيرة ابن هشام (319/1-320).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (623/1)، والبدء والتاريخ، للمطهر المقدسي (101/5)، والكامل في التاريخ، لابن الأثير (663/1-664).





فخنَقَه خنقًا شديدا، ومعه أخوه أُبيُّ بنُ خَلفٍ يقولُ: زِدهُ عذابًا حتى يأتيَ محمدٌ، فيخلِّصَهُ بسحرِه.

ولم يَزل أبو فُكَيهَةَ على تلك الحالِ حتى ظَنُّوا أنه قد ماتَ، ثُمَّ أفاقَ، فَمرَّ به أبو بكرٍ فاشتراه، وأعتَقَه(1).

اجتماعات دار الأرقم:

وكان من نتيجةِ الاعتداءاتِ، والانتهاكاتِ التي تعرَّضَ لها المسلمونَ في بدايةِ الدعوة أن يجتمعَ النبيُّ بأصحابِه سرًّا في دارِ الأرقمِ؛ ليعلِّمَهم مَبَادِئَ الإسلام؛ لئلَّا يَصطدمَ بكفارِ قريشٍ، فَيعمَلوا فيهم بشتَّى أنواعِ التعذيبِ.

وكان أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ إذا صَلَّوا، ذهبُوا في الشِّعابِ، فاستَخفَوا بصلاتِهم من قومِهم، فبينا سَعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ في نفرٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ في شِعبٍ من شِعابِ مَكةَ (وهو الوادي الذي يكون ما بين الجبلين) إذ ظَهَرَ عليهم نفرٌ مِن المشركينَ وهم يصلُّونَ، فأَنكروا عليهم، وعابوا ما يصنعونَ حتى قاتلوهم، فضَربَ سَعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ يومئذٍ رجلا منَ المشركينَ، فشجَّ رأْسَهُ، فكانَ أولَ دمٍ أُريقَ في الإسلامِ(2).

---

(1) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (1/665-666).

(2) انظر: سيرة ابن إسحاق (1/147)، وسيرة ابن هشام (1/263).



الهجرة الأولى إلى الحبشة:

ولمَّا كثُر المُسلمونَ خافَ منهم الكفارُ فَاشتدَّ أذاهُم وتعذيبُهُم لهم، فأذِن رسول الله ﷺ للمسلمين في الهجرة إلى الحبشةِ وقالَ لهمْ: «إنَّ بها مَلِكا لا يُظْلَمُ النَّاسُ عنْدَه»، فهاجرَ من المسلمينَ اثنا عشرَ رجلًا وأربعُ نِسْوة، منهم عثمان بن عفان، وهو أول من خرج ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف وجعفر بن أبي طالب فأقاموا في الحبشة في أحسن جوار، فبلغهم أن قريشا أسلمتْ، وكان هذا الخبرُ كذِبًا فرجعُوا إلى مكةَ، فلمَّا بلغَهم أنَّ الأمرَ أشدُّ مما كان رجعَ منهم مَن رجعَ ودخلَ جماعةٌ منهم مكَّةَ، فَلَقُوا مِن قريشٍ أذىً شديدًا(1).

الهجرة الثانية إلى الحبشة:

ثم أَذِنَ النبيُّ لهم في الهجرةِ ثانيًا إلى الحبشةِ، فهاجرَ من الرجالِ ثلاثةٌ وثمانونَ رجُلًا، ومن النساءِ ثَمانِ عشرةَ امرأةً، فأقاموا عند النَّجَاشيِّ على أحسنِ حالٍ، فبلغَ ذلك قريشًا، فأرسلُوا عمرَو بنَ العاصِ رضي الله عنه، وعبدَ اللهِ بنَ أبي رَبِيعةَ في جماعةٍ، ليَكِيدُوهُم عِندَ النَّجاشيِّ، فردَّ اللهُ كيدَهُم في نُحورِهِم(2).

---

(1) زاد المعاد 59 /1، السير والمغازي (123)، البداية (72/3).

(2) زاد المعاد 59 /1.



إسلام أسد الله حمزة بن عبد المطلب، والفاروق عمر بن الخطاب:

لقد منَّ اللهُ تعالى بإسلام حمزة بن عبد المطلِّب وهو فارس فرسان مكَّة وأشدِّهم قوَّة، وبإسلام عمر بن الخطاب رضب الله عنهما اللذَينِ جعَلا أصحابَ رسولِ الله ﷺ في عزَّة ومنعة.

أما حمزةُ فكان سببُ إسلامِه بعد قدر الله تعالى؛ أن أبا جهلٍ مرَّ برسولِ الله ﷺ عند جبلِ الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه، فلم يكلِّمْه رسولُ الله ﷺ وسمِعتْه مولاةٌ لعبدِ اللهِ بن جُدعان، ثم انصرف عنه فعمِد أبو جهلٍ إلى نادٍ من قريشٍ عند الكعبةِ، فجلس معهم، فلم يلبث حمزةُ بنُ عبدِ المطلب أن أقبل متوشِّحًا قوسَه، راجعا من صيدٍ له، وكان إذا رجعَ من صيدِهِ لم يصلْ إلى أهلِه حتى يطوفَ بالكعبةِ، وكان أعزَّ فتى في قريش، وأشدَّ شَكيمَةً (أشد شكيمة: أي كان عزيز النفس أبيًّا قويا، وأصله من شكيمة اللجام، فإن قوتها تدل على قوة الفرس)، فأخبرته المولاة بما حدث مع ابن أخيه محمد ﷺ فخرجَ حمزةُ يَسعى، مُعِدًّا لأبي جهلٍ إذا لقيَه أن يُوقِع به، فلما دخلَ المسجد نظر إليه جالسا في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجَّه شجَّةً مُنْكَرة، ثم قال: أتشتُمُه وأنا على دينه أقولُ ما يقولُ؟ فَرُدَّ ذلك عليَّ إنِ استطعتَ.

فقامتْ رجالٌ مِن بني مخزومٍ إلى حمزةَ؛ لينصروا أبا جَهلٍ، فقالَ أبو جَهلٍ: دعوا أبا عُمَارةَ، فإني والله قد سَببتُ ابنَ أخيه سبًّا قبيحا.

وثبتَ حمزةُ على إسلامِه، فعرَفتْ قريشٌ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قدْ عَزَّ وامْتنَعَ، وأنَّ حمزةَ سيمنَعُه، فكفُّوا عنْ بعضِ ما كانوا ينالونَ منه(1).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/290-291).

وأما عُمرُ فكانَ رَجلا أَبِيَّ النفْسِ، قويًّا، عزيزًا، رقِيقًا.

وقيل: إنَّ سببَ إسلامِه أنَّه خرجَ ذاتَ ليلةٍ إلى الكعبةِ يريدُ الطوافَ بها، فإذا رسول الله ﷺ قائمٌ يصلي، فسمِعَه يَقرأُ القرآنَ، فرَقَّ له قلبُه، وبكى، ودخلَ الإسلامُ قلبَه، فلما انصرفَ رسولُ الله إلى بيته، تبعَه.

فقالَ له النبيُّ ﷺ ما جاءَ بكَ يا ابنَ الخطابِ هذه الساعةَ؟

قالَ عُمرُ: جئتُ لأُومِنَ باللهِ وبرسولهِ ﷺ.

فحمِد رسولُ اللهِ ﷺ ربَّه، ثم قالَ: «قَدْ هَدَاكَ اللهُ يَا عُمَرُ!»، ثم مسحَ صدْرَهُ، ودعا له بالثَّباتِ(1).

وقيل: إنَّ سببَ إسلامِه أَنَّ أُخْتَهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطَّابِ، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ وَأَسْلَمَ زَوْجُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بن عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وَهُمَا مُسْتَخْفِيَانِ بِإِسْلَامِهِمَا مِنْ عُمَرَ، وَكَانَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ يَذْهَبُ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ يُقْرِئُهَا الْقُرْآنَ.

فَخَرَجَ عُمَرُ يَوْمًا مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ يُرِيدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَرَهْطًا مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ ذُكِرُوا لَهُ أَنَّهُمْ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مَا بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، وَمَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَمُّهُ حَمْزَةُ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَلَقِيَهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ؟

فَقَالَ: أُرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الصَّابِئَ (أي: الَّذي خرَج من دِينه إلى دِين آخر)، الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ، وَسَفَّهُ أَحْلَامَهَا (أي ينسب عقولهم إلى الجهل، والمعنى: أنه يزعم أنهم قليلو العقل)، وَعَابَ دِينَهَا، وَسَبَّ آلِهَتَهَا، فَأَقْتُلُهُ.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/346-349).

فَقَالَ لَهُ نُعَيْمٌ: وَاللهِ لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ يَا عُمَرُ، أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيكَ تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا! أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ؟

قَالَ: وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي؟

قَالَ: خَتَنُكَ (أي زوج أختك) وَابْنُ عَمِّكَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو، وَأُخْتُكَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ، فَقَدْ وَاللهِ أَسْلَمَا، وَتَابَعَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ، فَعَلَيْكَ بِهِمَا.

فَرَجَعَ عُمَرُ عَامِدًا إِلَى أُخْتِهِ وَخَتَنِهِ، وَعِنْدَهُمَا خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ مَعَهُ صَحِيفَةٌ، فِيهَا: (**طه**)[طه: 1] يُقْرِئُهُمَا إِيَّاهَا، فَلَمَّا سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ، دَخَلَ خَبَّابٌ فِي حُجْرَةٍ صَغِيرَةٍ لَهُمْ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخِذِهَا، وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إِلَى الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبَّابٍ عَلَيْهِمَا، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: مَا هَذِهِ الْهَيْنَمَةُ (أي: التمتمة والصوت غير المفهوم) الَّتِي سَمِعْتُ؟.

قَالَا لَهُ: مَا سَمِعْتَ شَيْئًا.

قَالَ: بَلَى وَاللهِ، لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ، وَبَطَشَ بِخَتَنِهِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ لِتَكُفَّهُ عَنْ زَوْجِهَا، فَضَرَبَهَا فَشَجَّهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَخَتَنُهُ: نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا، وَآمَنَّا باللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ.

فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنَ الدَّمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ، ثُمَّ رَجَعَ، وَقَالَ لِأُخْتِهِ: أَعْطِينِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَءُونَ آنِفًا، أَنْظُرْ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وَكَانَ عُمَرُ كَاتِبًا.

فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ: إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا، قَالَ: لَا تَخَافِي، وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَتِهِ لَيَرُدَّنَّهَا إِذَا قَرَأَهَا إِلَيْهَا، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، طَمِعَتْ فِي إِسْلَامِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَخِي، إِنَّكَ نَجِسٌ عَلَى شِرْكِكَ، وَإِنَّهُ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الطَّاهِرُ.

فَقَامَ عُمَرُ فَاغْتَسَلَ، فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ، وَفِيهَا: "طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ"[1 – 2]، إلى قوله تعالى: "قالَ أَلْقِها يا مُوسى * فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى"[طه: 19 – 20]، فَلَمَّا قَرَأَ مِنْهَا صَدْرًا، قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ!

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَّابٌ خَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عُمَرُ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ أَمْسِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، فاللهَ اللهَ يَا عُمَرُ.





فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عُمَرُ: فَدُلَّنِي يَا خَبَّابُ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى آتِيَهُ فَأُسْلِمَ.

فَقَالَ لَهُ خَبَّابٌ: هُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، مَعَهُ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ.

فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشَّحَهُ، ثُمَّ عَمَدَ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ الْبَابَ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ مِنْ خَلَلِ الْبَابِ فَرَآهُ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فَرَجَعَ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فَزِعٌ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ.

فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: فَأْذَنْ لَهُ، فَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ خَيْرًا بَذَلْنَاهُ لَهُ، وَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ شَرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ. (وهو دليل على قوّة حمزة وأنَّه لا ندَّ له بقوله: قتلناه بسيفه، أي سأخرج له بغير سلاح وأقاتله حتى أقتله بسلاحه).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ائْذَنْ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ الرَّجُلُ، وَنَهَضَ إلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى لَقِيَهُ فِي الْحُجْرَةِ، فَأَخَذَ بِمِجْمَعِ رِدَائِهِ، ثُمَّ جَبَذَهُ بِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: "مَا جَاءَ بِكَ يَا بنَ الخَطَّابِ؟ فَو اللهِ مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى يُنْزِلَ اللهُ بِكَ قَارِعَةً".

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، جِئْتُكَ لِأُومِنَ باللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

قَالَ: فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَكْبِيرَةً عَرَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ. فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَانِهِمْ، وَقَدْ عَزُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ أَسْلَمَ عُمَرُ مَعَ إسْلَامِ حَمْزَةَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمَا سَيَمْنَعَانِ رَسُولَ اللهِ وَيَنْتَصِفُونَ بِهِمَا مِنْ عَدُوِّهِمْ(1).

وكان إسلامُه رضي الله عنه بسببِ بركةِ دعاءِ رسولِ اللهِ ﷺ لمَّا قال: «اللهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ»، وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللهِ عُمَرُ(2).

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/343-346).

(2) صحيح: رواه الترمذي (3681)، وأحمد (5696)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.





ومن هنا بادر عمر بن الخطاب بشجاعته وقام وقال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله: ألسنا على الحق؟

قال رسول الله ﷺ: نعم.

قال عمر: أليسوا على الباطل؟

قال رسول الله ﷺ: نعم.

فقال عمر بن الخطاب ففيما الاختفاء؟

فقال رسول الله ﷺ: فما ترى يا عمر؟

قال: نخرج فنطوف بالكعبة.

فقال رسول الله ﷺ: نعم يا عمر.

فخرج المسلمون لأوَّل مرَّة يكبرون ويهللون في صفين، صف على رأسه عمر بن الخطاب، وصف على رأسه حمزة بن عبد المطلب، وبينهما رسول الله ﷺ يقولون: الله أكبر ولله الحمد، حتى طافوا بالكعبة، فخافت قريش ودخلت بيوتها خوفا من إسلام عمر وحمزة ومن رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم(1).

---

(1) هذا الخبر مذكور في كتب السير ولم أجد له أصلا.



تعاهد قريش على قطيعة بني هاشم، وموت خديجة وأبو طالب:

لما أسلم حمزةُ عمُّ النبيِّ وجماعةٌ كثيرون، وانتشرَ الإسلامُ رأتْ قريشٌ أمر رسولِ الله ﷺ يعلو، أجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب وبني عبد منافٍ، أن لا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة، ودعا النبي ﷺ على مَن كتبها، فشُلَّت يده(1).

واشتدَّ أذى الكفارِ لرسول الله ﷺ فحصروه وأهل بيته في شِعب أبي طالبٍ، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم لرسول الله ﷺ إلا أبا لهب، فإنه نصرَ قريشًا على رسولِ اللهِ ﷺ، وبقي رسولُ الله ﷺ ومن معه في شِعْب أبي طالبٍ، محصورين مُضيَّقًا عليهم جدا مقطوعًا عنهم الطعامُ والشرابُ نحو ثلاث سنين، حتى بلَغَهم الجَهْدُ وسُمِعَ أصواتُ صبيانِهم بالبكاءِ من وراءِ الشِّعْبِ.

وكانت قريشٌ في ذلك بين راضٍ وكارهٍ، فسعى في نقض الصحيفة من كان كارها لها، وكان القائم بذلك هشام بن عمرو، مشى في ذلك إلى المُطْعِم بن عَديٍّ، وَزَمْعَةَ بْنِ الأسودِ، وجماعة من قريش فأجابوه إلى ذلك، ثم أَطْلَعَ اللهُ تعالى رسولَهُ ﷺ على أمرِ صَحِيفتهم، وأنه سبحانه أرسلَ عليهَا الأَرَضَةَ (وهي: دُويبة تأكل الخشب) فأكلتْ جميعَ ما فيها من جَورٍ وقطيعةٍ وظُلمٍ إلا ذكرَ اللهِ تعالى فأخبرَ بذلك عمَّه، فخرجَ إلى قريشٍ فأخبرهم أن ابنَ أخيه قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذبا خلَّيْنا بينكم وبينَهُ، وإن كان صادقًا رجعتُم عن قطيعتِنا وظُلمِنا.

---

(1) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (1/208-209)، وصحيح البخاري (3139)، وصحيح مسلم (1314)، وزاد المعاد (3/26-27).

قالوا: قد أنْصفتَ، فأنْزَلُوا الصَّحيفةَ، فلمَّا رأوَا الأمرَ كمَّا أخبرَ بِه رسولُ اللهِ ﷺ ازْدَادُوا كُفرًا إلى كُفْرِهِم، وخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ ومَن معَه مِنَ الشِّعْبِ(1).

وفي الشِّعبِ وُلِد عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضي الله عنهما(2).

عام الحزن:

ولما نُقِضَتِ الصَّحيفةُ تَتابعت على رسولِ الله ﷺ المصائبُ بموتِ زوجِه خديجةَ رضي الله عنها، وعمِّهِ أبي طالبٍ، وكان بينهما زمنٌ يسيرٌ.

فقد كانت خديجةُ رضي الله عنها له وزيرَ صدقٍ على الإسلامِ، يشكو إليها، وكان عمُّه أبو طالبٍ له مسانِدًا، وناصرًا على قومِه.

فنالتْ قريشٌ من رسولِ الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالبٍ، حتى اعترضَه سفيهٌ من سفهاءِ قريش، فنثر على رأسه ترابًا، فدخل رسولُ الله ﷺ بيته والترابُ على رأسِه، فقامتْ إليه إحدَى بناتِه، فجعلتْ تَغسل عنه الترابَ وهي تَبكي، ورسولُ الله ﷺ يقولُ لها: «لَا تَبْكِي يَا بُنَيَّةِ، فَإِنَّ اللهَ مَانِعٌ أَبَاكَ، فَمَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ، حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ»(3).

وسُمِّيَ هذا العام بعام الحُزن.

وقد كان النبيُّ ﷺ حريصا على إسلامِ عمِّه أبي طالبٍ إلا أنه ماتَ على الكُفرِ.

فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «أَيْ عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ، حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

---

(1) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (1/209-210)، وزاد المعاد (1/95، 3/27-28).

(2) انظر: زاد المعاد (1/95).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (1/416)، وزاد المعاد (1/95).



فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ»، فَنَزَلَتْ: " مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ"[التوبة: 113]، ونزلت: " إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"[القصص: 56](1).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، وَيَقُولُ: «مَا أَبْدَلَنِي اللهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»(2).

عقد رسول الله ﷺ على عائشة رضي الله عنها:

ولَمَّا مَاتَتْ خَدِيجَةُ، جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَتَزَوَّجُ؟

قَالَ: مَنْ؟

قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا، وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا؟

قَالَ: فَمَنِ الْبِكْرُ؟

قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ.

قَالَ: «وَمَنِ الثَّيِّبُ؟».

قَالَتْ: سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، آمَنَتْ بِكَ، وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ.

قَالَ: «فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ»، فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ.

فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ تعالى عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟

قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (3884)، ومسلم (24)، عن المسيَّب.

(2) صحيح: رواه أحمد (24864)، وصححه شعيب الأرنؤوط.



قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ.

قَالَتْ: انْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى يَأْتِيَ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟

قَالَ: وَمَا ذَاكِ؟

قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ.

قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ؟ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ، فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ.

قَالَ: «ارْجِعِي إِلَيْهِ، فَقُولِي لَهُ: أَنَا أَخُوكَ، وَأَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْلَامِ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي»، فَرَجَعَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ.

قَالَ: انْتَظِرِي، وَخَرَجَ.

قَالَتْ أُمُّ رُومَانَ: إِنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ، فَوَاللهِ مَا وَعَدَ وَعْدًا قَطُّ، فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَى.

فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ لَعَلَّكَ مُصْبِئٌ صَاحِبَنَا مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ إِنْ تَزَوَّجَ ابْنُهُ ابْنَتَكَ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ: أَقَوْلُ هَذِهِ تَقُولُ؟

قَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ.

فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ فَرَجَعَ، فَقَالَ لِخَوْلَةَ: ادْعِي لِي رَسُولَ اللهِ.

فَدَعَتْهُ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ(1).

وبنى بها وهي بنت تسع سنين(2)، ولم يتزوَّج بكرا غير عائشة رضي الله عنها.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/644).

(2) يُنظر: البخاري (3894)، ومسلم (1422، 1423).

زواج النبي من سودة بنت زمعة:

بَعْدَ أَنْ فرغَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنْ تَزْوِيجِ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ عائشةَ رضي الله عنها دَخَلَتْ عَلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، فَقَالَتْ: مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟

قَالَتْ: مَا ذَاكَ؟

قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُكِ عَلَيْهِ.

قَالَتْ: وَدِدْتُ، ادْخُلِي إِلَى أَبِي فَاذْكُرِي ذَاكَ لَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَدْ أَدْرَكَتْهُ السِّنُّ، قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَحَيَّتْهُ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ.

فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟

فَقَالَتْ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ.

قَالَ: فَمَا شَأْنُكِ؟

قَالَتْ: أَرْسَلَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَخْطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ.

قَالَ: كُفْءٌ كَرِيمٌ، مَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكِ؟

قَالَتْ: تُحِبُّ ذَاكَ.

قَالَ: ادْعُهَا لِي.

فَدَعَتْهَا، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ إِنَّ هَذِهِ تَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَرْسَلَ يَخْطُبُكِ، وَهُوَ كُفْءٌ كَرِيمٌ، أَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَكِ بِهِ؟

قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ: ادْعِيهِ لِي، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، فَجَاءَهَا أَخُوهَا عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ مِنَ الْحَجِّ، فَجَعَلَ يَحْثِي عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ (وحينها كان على الكفر).

فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ: لَعَمْرُكَ إِنِّي لَسَفِيهٌ يَوْمَ أَحْثِي فِي رَأْسِي التُّرَابَ أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ(1). وأصدَقَها رسولُ اللهِ أَربعَ مائةِ درهمٍ(2).

---

(1) حسن: رواه أحمد (25769) في مسند عائشة رضي الله عنها، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(2) انظر: سيرة ابن هشام (644/2).



خروج رسول الله إلى الطائف، وقصَّة ملك الجبال، وإسلام نفر من الجن:

لمَّا اشتدَّ البلاءُ على رسولِ الله ﷺ من سفهاءِ قومِه، وتجرؤوا عليه بالأذى، خرجَ إلى الطائفِ رجاءَ أن يُؤْوُوه ويَنْصُرُوه على قومِه ويَمْنَعُوه مِنهُم، ودَعَاهم إلى الله تعالى فلم يرَ مَن يؤوي، ولم يَر ناصرا، وآذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومُه، وكان معه زيدُ بن حارثة مولاهُ، فأقام بينهم عشرةَ أيام لا يدعُ أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلَّمه، فقالوا: اخرُج من بلدنا، وأغْرُوا به سفهاءَهم، فوقفوا له صفَّين، وجعلوا يرمُونَه بالحجارة حتى دَمِيَت قدمَاه وزيدُ بن حَارثةَ يقِيه بنفسِه حتى أصابَه شجَاجٌ في رأسِه، فانصرف راجعا من الطائفِ إلى مكةَ محزونا، وَفِي مَرْجِعِهِ ذَلِكَ دَعَا بِالدُّعَاءِ الْمَشْهُورِ دُعَاءِ الطَّائِفِ: «اللهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَوْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ أَوْ أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

فأرسل ربُّه تباركَ وتعالى إليه مَلَك الجبالِ يستأمِرُه أن يَطبِقَ جَبَلي مكةَ على أهلِ مكةَ، فأبى النبيُّ ﷺ رجاءَ أنْ يُخرجَ الله تعالى من أصْلابِهم من يَعبُدُه لا يُشركُ بِه شَيئًا(1).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/419-420)، وزاد المعاد (1/95، 3/28-29).



وقد ذكر لنا النَّبي ﷺ ما لقيَ في الطائفِ، وكانَ أشدَّ عليه ممَّا لَقي بأُحدٍ.

فَقدْ سَأَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا النَّبِيَّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ (وهو مكان مخصوص في الطائف)، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ (اسم موضع بقرب مكة) فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ.

فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(1).

فلما نزلَ النبي بنخْلةَ (مكان بين مكة والطائف)، قامَ يصلي من الليلِ، فصُرفَ إليه نفرٌ مِنَ الجنِّ فاستمعوا قراءَته، ولم يَشعرْ بهم رسولُ الله ﷺ حتى نزلَ عليه:

{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[الأحقاف: 29 – 32].

---

(1)متفق عليه رواه البخاري (3231)، ومسلم (1795).





وَأَقَامَ النبيّ ﷺ بِنَخْلَةَ أَيَّامًا، فَقَالَ لَهُ زَيْدُ بْنُ حارِثَةَ: كَيْفَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ أَخْرَجُوك؟ يَعْنِي قُرَيْشًا.

فَقَالَ: «يَا زيد إِنَّ اللهَ جاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وَإِنَّ اللهَ نَاصِرٌ دِينَهُ وَمُظْهِرٌ نَبِيَّهُ».

ثُمَّ رَجَعَ النبي ﷺ إِلَى مَكَّةَ، فَأَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ خُزَاعَةَ إِلَى مُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ: أَدْخُلُ فِي جِوَارِكَ؟ (أي في حمايتك)

فَقَالَ: نَعَمْ، وَدَعَا بَنِيهِ وَقَوْمَهُ فَقَالَ: الْبِسُوا السِّلَاحَ، وَكُونُوا عِنْدَ أَرْكَانِ الْبَيْتِ فَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُ مُحَمَّدًا.

فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْحِرَامِ، فَقَامَ المطعم بن عدي عَلَى رَاحِلَتِهِ فَنَادَى: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ مُحَمَّدًا، فَلَا يَهِجْهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ.

فَانْتَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَانْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ، والمُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ وَوَلَدُهُ مُلْتَفُّونَ حَوْلَهُ بِالسِّلَاحِ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ(1).

---

(1) انظر: مسند أحمد (1435)، وسيرة ابن هشام (1/421-422)، وزاد المعاد (1/95، 3/28-30).



أوَّل من أسلم من الأنصار:

ظلَّ رسولُ الله ﷺ بمكةَ يتَّبعُ الحُجَّاجَ كل عامٍ في منازِلهم، وفي المواسمِ بعكُاظٍ (موضع بقرب مكَّة)، **ومَجَنَّةَ** (موضع بأسفل مكة، وكان يقام بها سوق للحرب)، **وذي المَجَازِ** (موضع عند عرفات كان يقام به سوق من أسواق العرب في الجاهلية)، **يدعوهم إلى أنَّ ينصرُوه حتى يُبلغَ رسالاتِ ربِّه ولهم الجنةُ، فلا يجد أحدًا ينصرُه ولا يجيبُه، حتى إنه ليَسألُ عنِ القبائلِ ومنازِلهَا قبيلةً قبيلةً، ويقول: «يا أيُّها النَّاسُ قُولُوا: لا إله إلَّا اللهُ تُفلحُوا، وتَمْلِكُوا بها العَربَ، وتَذِلُّ لَكُمْ بها العَجمُ، فَإِذَا آمَنْتُم، كُنْتُم مُلُوكًا في الجَنَّةِ»، وأبو لهبٍ يمشي وراءه يقول: لا تُطيعوه، فإنه صابئٌ كذابٌ، فيردُّون على رسولِ اللهِ ﷺ أقبحَ الردِّ، ويُؤذُونه، ويَقولونَ: أُسْرَتُكُ وعَشِيرتُكَ أعلمُ بكَ حيثُ لم يتَّبِعُوك، والنبيُّ ﷺ يدعُوهم إلى الله، ويقول: «اللهُمَّ لَوْ شِئْتَ لَمْ يَكُونُوا هَكَذَا»، فعرضَ نفسه على عدة قبائلَ، فلم يستجبْ منهم أحدٌ.**

إلى أن لَقيَ عندَ العقبةِ في المَوسِمِ ستةَ نفرٍ من الأنصارِ كلهم من الخزرجِ، وهم: أبو أُمَامةَ أسعدُ بنُ زُرَارة، وعوفُ بنُ الحارث، ورافعُ بنُ مالكٍ، وقُطبةُ بنُ عَامر، وعقبةُ بنُ عامرٍ، وجابرُ بنُ عبد اللهِ بن رِئابٍ، فدعاهم رسولُ الله ﷺ إلى الإسلامِ فأسلمُوا.

ثم رجعُوا إلى المدينةِ، فدَعَوهم إلى الإسلام، فَفَشا الإسلامُ فيها حتى لم يَبقَ دارٌ من دورِ الأنصارِ إلا وقد دخلَها الإسلامُ(1).

وهذا كان في السنَّة الحادية عشرة من البعثة.

---

(1) انظر: مسند أحمد (16023)، وسيرة ابن هشام (1/428–430)، وزاد المعاد (3/39–40).





الإسراء والمعراج:

وَفي السَّنَةِ الثانيةَ عَشْرةَ مِنَ البَعثَةِ: أُسْرِي بِرسولِ اللهِ ﷺ مِنَ المسْجِدِ الحرامِ إلى المسْجدِ الأَقْصَى، ثُمَّ عُرِجَ بهِ إلى سِدْرةِ المنْتَهَى فَفرضَ اللهُ عَليهِ، وَعَلى أمَّتِهِ الصَّلواتِ الخَمْسَ(1).

فقد أسرى الله تعالى بنبيِّهِ ﷺ بجَسدِه في اليقظةِ ليلًا مِن المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى راكبًا على البُراقِ بصحبةِ جبريلَ عليه السلام حتى وصلَ بيتَ المقدسِ، فربطَ البُراقَ بحلْقةِ بابِ المسجدِ، ثم دخلَ المسجدَ وصلَّى فيه بالأنبياءِ إمامًا، ثم جاءَه جبريلُ عليه السلام بإناءٍ من خمرٍ وإناءٍ من لبنٍ فاختارَ اللبنَ على الخمرِ، فقال له جبريلُ عليه السلام: هُدِيتَ للفِطرةِ(2).

وقد اتفقتْ كلِمةُ علماءِ المسلمينَ سلفًا وخَلفًا وانعقدَ إجماعُهم على صحةِ الإسراءِ برسولِ اللهِ ﷺ، وأنه حقٌّ(3).

قال تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"[الإسراء: 1].

ويحكي لنا رَسُولُ اللهِ ﷺ قصةَ الإسراءِ به، فيقولُ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ».

قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ»، قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ».

قَالَ: «ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ.

---

(1) البداية (3/115 – 125).

(2) متفق عليه: رواه البخاري (3437)، ومسلم (168)، عن أبي هريرة، وانظر: زاد المعاد (3/30-31).

(3) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (1/344).

فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ عليه السلام، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّد، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسف عليه السلام، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ عليه السلام، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عليه السلام، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عليه السلام، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا



بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ المَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ المُنْتَهَى(1)، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ».

قَالَ: «فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ».

قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ».

قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، قَالَ: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»(2).

وقدْ رأَى النبيُّ ﷺ في السَّماواتِ جِبريلَ عليه السلام على صُورتِهِ الحَقيقيةِ التي خَلقَه اللهُ عَليها، وصعَدَ به إلى سدرةِ المنتهى، وكلَّمهُ اللهُ تعالى، وقرَّبَهُ.

---

(1) سميت سدرة المنتهى؛ لأن علم الملائكة ينتهي إليها.

(2) صحيح: رواه مسلم (162).

فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي قَوْمِهِ أَخْبَرَهُمْ بِمَا أَرَاهُ اللهُ تعالى مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى، فَاشْتَدَّ تَكْذِيبُهُمْ، وَأَذَاهُمْ لَهُ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَصِفَ لَهُمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَجَلَّاهُ اللهُ لَهُ حَتَّى عَايَنَهُ، فَطَفِقَ يُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ شَيْئًا.

وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ عِيرِهِمْ فِي مَسْرَاهُ وَرُجُوعِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ وَقْتِ قُدُومِهَا، وَأَخْبَرَهُمْ عَنِ الْبَعِيرِ الَّذِي يَقْدُمُهَا، وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا نُفُورًا، وَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا(1).

---

(1) انظر: زاد المعاد (3/35-36).





بيعة العقبة الأولى والثانية، والهجرة إلى المدينة، واجتماع قريش في دار الندوة:

وفي مَوْسمِ الحَجِّ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ الثانية عشرة من البعثة: وَافَاهُ اثْنَا عَشرَ رَجلًا مِنَ الأنصارِ بعضُهُم ممَّنْ لقِي النَّبيَّ ﷺ في الموَسِمِ السابقِ، فبايعُوه عندَ العقبةِ فَسُمِّيتْ بِبَيْعَةِ العقبةِ الأُولى، وأَرْسَلَ مَعَهُم مُصْعَبَ بنَ عُمَيرٍ يُقْرِئهُمُ القُرآنَ فَأسلمَ على يديْهِ كثيرٌ مِنْ أهلِ المَدِينةِ»(1).

فقد جاءَ السِّتَّة الأُوَّلُ الذين أسلمُوا في الموسِمِ السابقِ إلا جابرَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ رِئابٍ، ومعهم معاذُ بنُ الحارثِ، وذَكوانُ بنُ عبدِ القيسِ، وعُبادةُ بنُ الصامتِ، ويزيدُ بنُ ثعلبةَ، وأبو الهيثمِ بنُ التيِّهانِ، والعباسُ بن عُبادةَ، وعُويمُ بنُ ساعدةَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فبايعهم رسولُ اللهِ ﷺ على؛ أن لا يُشرِكوا باللهِ شيئًا، ولا يَسرِقوا، ولا يزنُوا، ولا يقتلوا أولادَهم، ولا يأتوا ببهتانٍ (بهتان: أي كذب فظيع يدهش سامعه) يفترونَهُ من بين أيديهِم وأرجلِهِم (أي: يختلقونه مكن عند انفسهم)، ولا يَعصونَه في معروفٍ، فمَن وَفَى بذلك فلَهُ الجنةُ، ومَنْ أصابَ مِن ذلك شيئًا، فعُوقِبَ به في الدُّنيا فهو له كفارةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، فبايعوه على ذلك(2).

وبعثَ رَسولُ اللهِ ﷺ معهم مُصعَبَ بنَ عُمَيرٍ، وأمَره أن يُقرئَهم القرآنَ، ويعلِّمهم الإسلام، ويفقههم في الدينِ(3)، فأسلم على يديه خلق كثير.

---

(1) صحيح البخاري (3893، 1873) ومسلم (1709)، البداية (3/158 - 164).

(2) انظر: صحيح البخاري (3892)، وسيرة ابن هشام (1/431-434).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (1/431-434).



«وفي السَّنَةِ الثَّالثةَ عَشْرةَ مِنَ البَعثَةِ في مَوْسِمِ الحجِّ: وافَاه سَبعونَ رَجُلًا مِنَ الأنصارِ فبَايعُوه عندَ العقبةِ أيضًا عَلى أن يمنعُوه إنْ هاجَرَ إليهِمْ مما يمنعونَ منْه أنفسَهُم ونساءَهم وأبناءَهم، فأخْرجُوا له اثنَى عشَرَ نقيبًا، فقَال ﷺ للنُّقَباء: أنتمْ عَلى قومِكُم كُفَلاءُ، فسمِّيتْ ببيعَةِ العقَبةِ الثَّانيةِ»(1).

ويحْكي لنَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قِصةَ البيعةِ، فيقولُ: خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ، وَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْعَقَبَةِ (أي جمرة العقبة بمنى، والعقبة من الشيء الموضع المرتفع منه) مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ.

فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ لَهَا، وَمَعَنَا أَبُو جَابِرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حرَامٍ، وَكَانَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِنَا، وَشَرِيفًا مِنْ أَشْرَافِنَا، أَخَذْنَاهُ مَعَنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْنَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْنَاهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِيَّانَا الْعَقَبَةَ.

فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيبًا (أي مسؤولا عن بعض القوم).

فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمَعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ الْقَطَا مُسْتَخْفِينَ (القطا: طائر معروف يشبه الحمام، سميَ بذلك لثقل مشيه)، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا.

---

(1) صحيح البخاري (3890) ومسند أحمد (322/3)، البداية (169/3 – 177).



فَاجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ.

فَلَمَّا جلَس كَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ (وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِنَّمَا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ، خَزْرَجَهَا وَأَوْسَهَا): إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا، مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الِانْحِيَازَ إِلَيْكُمْ، وَاللُّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَمِنَ الْآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ.

فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ.

فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَلَا الْقُرْآنَ، وَدَعَا إِلَى اللهِ، وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ قَالَ: «أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ».

فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا (أزرنا: أي نساءنا، والمرأة قد يكنى عنها بالإزار)، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَحْنُ وَاللهِ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ (الحلقة: أي السلاح)، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

وَبينَمَا الْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا (يَعْنِي الْيَهُودَ) فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «بَلْ الدَّمُ الدَّمُ، وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ (أي ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم)، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ».

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَهُمْ: «أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا؛ لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ»، فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، تِسْعَةً مِنَ الْخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ(1).

فلمَّا عَلِمَتْ قريشٌ بالبَيعةِ، فذهبوا للأنصارِ في بيوتِهم يسألونهم، ولكنَّ الأنصار لم يُخبروهم بحقيقة الأمر، فانصرفوا عنهم، فأكثرت قريش البحث حتى استيقنت بالبيعة، فتتبعوا الأنصار، وكانوا قد نَفَرُوا من منىً، فخرجوا في طلبهم، فأدركوا سعدَ بنَ عُبادةَ، والمنذِرَ بنَ عمرٍو، فأما المنذرُ فأعجزَهم، ولم يلحقُوا به، وأما سعدٌ فأخذُوه، فربَطوا يديه إلى عُنقِه بنِسْعِ رَحْلِه (النسع: أي الشِّراك الذي يشد به الرحل)، ثم أقبلُوا به حتى أَدخلُوه مكَّةَ يَضربونَه، ويجذِبُونه بجُمَّتِه (الجمة هي مجتمع شعر الرأس)، وكان ذَا شَعْرٍ كثيرٍ(2).

ولمَّا نزل قول الله تعالى: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ"[الحج: 40].

أمر النبي ﷺ حينئذ أصحابه بالهجرة إلى المدينة بعد أن بايعه الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتَّبعه وقَالَ: «إِنَّ اللهَ تعالى قَدْ جَعَلَ لكم إِخْوانًا ودارًا تأمَنُونَ بِهَا»، فخرجُوا جماعةً في إِثْرِ جماعةٍ.

وأقام رسولُ اللهِ ﷺ بمكةَ بعد أصحابِه من المهاجرينَ ينتظرُ أن يُؤذَنَ له في الهجرةِ، ولم يتخلَّفْ معه بمكةَ أحدٌ من المهاجرينَ إلا مَن حُبسَ أو فُتِنَ، إلا عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو بكرٍ الصدِّيقُ رضي الله عنهما، وكان أبو بكرٍ كثيرا ما يستأذنُ رسولَ اللهِ ﷺ في الهجرةِ، فيقولُ له رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تعْجَلْ لَعلَّ اللهَ يجعلُ لكَ صَاحِبًا»، فيطمَع أبو بكرٍ أن يكونَ هذا الصاحبَ(3).

(1) صحيح: رواه ابن هشام في السيرة (1/440-443)، والطبري في التاريخ (2/363).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (1/448-449).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (1/468، 480).

اجتماع دار الندوة:

لمَّا رأى كفارُ قريشٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قد صارتْ له شِيعةٌ وأصحابٌ مِن غيرِهم بغيرِ بلدِهم، ورَأوا خروجَ أصحابِه من المهاجرينَ إليهم، عرَفوا أنَّهُم قد نَزلوا دارًا، وصاروا في مَنَعَةٍ وحمايةٍ، فَحذِروا خروجَ رسولِ اللهِ ﷺ إليهم، وعرَفُوا أنَّه قدْ عزَمَ أنْ يُهاجرَ إلى المَدِينَةِ لحربِ قريشٍ.

فبَدا للمشركينَ أن يجتمِعوا في دارِ النَّدوةِ (وهي دارُ قُصَي بنِ كِلَابٍ التي كانت قريشٌ لا تَقضي أمرًا إلا فيها) يتَشاورونَ فيها ما يَصنعونَ في أمرِ رسولِ اللهِ ﷺ، حين خَافُوه(1).

إبليسُ يُشاركُ في اتخاذِ القَرارِ:

ولمَّا أجمعَ كفارُ قريشٍ على الاجتماعِ في دار النَّدوَةِ، غَدَوا في اليومِ الذي تواعُدوا عليه، فاعتَرضهم إبليسُ في هيئةِ شيخٍ حَسنِ الصورةِ، فوقف على بابِ الدار، فلما رَأَوه واقفًا على بابِها، قالوا: مَنِ الشيخُ؟

قال: شيخٌ مِن أهلِ نجدٍ سمِعَ بالذي تواعدتُم عليه، فحضرَ معكم؛ ليسمعَ ما تقولون، وعسى أنْ لا يعدِمَكم منه رأيًا ونُصحًا، قالوا: أجلْ.

فدخلَ معهم، وقد اجتمعَ فيها أشرافُ قريشٍ.

فقال بعضُهم لبعضٍ: إنَّ هذا الرجلَ قد كان من أمرِه ما قد رأيتم، فإنا واللهِ ما نأمَنُه على الهجومِ علينا فيمن قد اتَّبعه من غيرِنا، فأَجمِعُوا فيه رأيًا.

فتَشاورُوا ثمَّ قالَ قائلٌ منهم: احبِسُوه في الحديدِ، وأغْلِقوا عليه بابًا، ثُم تربَّصُوا به حتى يُصيبهُ ما أصابَ أشباهَه من الشعراءِ الذين كانوا قبلَهُ، فيموتَ.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/480)، وتاريخ الطبري (2/369-370).

فقال الشيخُ النَّجدِيُّ: لا واللهِ، مَا هذا لكم برأيٍ، واللهِ لَئِنْ حبستُمُوه كما تقولونَ لَيَخْرُجَنَّ أمرُه من وراءِ البابِ الذي أغْلَقتُم دونَه إلى أصحابِه، فلأَوشَكوا أن يَهجموا عليكم، فينزِعُوه من أيديكم، ثم يَغْلِبوكم على أمرِكم، مَا هذا لكم برأيٍ، فانظروا في غيرِه.

فتشاوروا، ثم قالَ قائلٌ منهم: نخرِجُه من بين أظهُرِنا، فَنَنفِيه من بلادِنا، فإذا أُخْرِجَ عنَّا فو اللهِ ما نُبالي أينَ ذهبَ، ولا حيثُ وقعَ، إذا غابَ عنَّا وفَرغْنا منْه، فأصْلحْنا أمرَنا.

فقالَ الشيخُ النَّجديُّ: لا واللهِ، ما هذا لكم برأيٍ، ألم تَرَوا حُسنَ حَديثِه، وحلاوةَ مَنطِقِه، وغَلَبَتَه على قلوبِ الرجالِ بما يأتي بِه، واللهِ لو فَعلتُم ذلك ما أَمِنْتم أن يحلَّ على حيٍّ من العربِ، فَيغلبَ عليهم بذلكَ مِن قولِه وحديثِه حتى يتابعوه عليه، ثم يسيرُ بهم إليكم، فيأخذ أمْرَكُم مِن أيديكُم، ثم يفعل بكم ما أرادَ، دبِّروا فيه رأيًا غيرَ هَذَا.

فقالَ أبو جهلٍ: واللهِ إنْ لي فيهِ لرأيًا ما أراكم وقعتُم عليه بعدُ.

قالوا: وما هو يا أبا الحكمِ؟

قال: أرَى أنْ نأخذَ مِن كلِّ قبيلةٍ فتى شابًا جليدًا نَسيبًا وَسيطًا (جليدا: أي قويًّا في نفسه وجسمه. نسيبا: أي ذا حَسَبٍ ونسبٍ. وسيطا: أي شريفا حسيبا في قومه) فِينَا، ثُمَّ نُعطي كلَّ فتىً مِنهم سيفًا صَارِمًا، ثم يَذهبوا إليه، فيضرِبُوه بها ضَربَةَ رَجلٍ واحدٍ، فيقتُلوه، فنَستريحَ منه، فإنهم إذا فعلُوا ذلك تفرَّقَ دمُهُ في القبائلِ كلِّها، فلم يقدِرْ بنو عَبدِ مَنافٍ على حَربِ قومِهم جميعًا، فيَرْضُوا منَّا بالدِّيَةِ، فأَعْطيناهَا لهُم.

فقال الشيخ النَّجدِيُّ: القولُ ما قالَ الرجلُ، هذا الرأيُ الذِي لا رأيَ غيرُه.

فتفرَّقَ كفارُ قريشٍ على ذلكَ وهم مجْمِعُون لَه(1).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/481-482).



فَأتى جِبريلُ عليه السلام رسولَ الله ﷺ ليُخبِرهُ بما أجمعَ عليه كفارُ قريشٍ، فقالَ لهُ: «لا تَبِتْ هذِه الليلةَ على فراشِك الَّذي كُنتَ تَبيتُ عَليهِ»(1).

فلمَّا ذَهبَ أَولُ الليلِ اجتَمعَ كفارُ قريشٍ على بابِ بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ يرصدُونَه متى ينامُ، فيهجمونَ عليه، فَيَقتلونَه، فلما رأى رسولُ الله ﷺ مكانَهم، قال لعليِّ بنِ أَبي طالبٍ «نَمْ عَلى فِرَاشِي وتَسَجَّ ببُردِي هَذَا، فَنَمْ فِيهِ، فَإنَّه لنْ يَخلُصَ إلَيْكَ شيءٌ تَكْرَهُه مِنْهُمْ»، وكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذا نَامَ ينامُ في بُردِه ذلكَ(2).

بينما كفارُ قريشٍ على بابِ بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ وفيهم أبو جهلٍ، وهو يقول لمن مَعهُ: إنَّ محمدًا يزعمُ أنَّكم إنْ تَابعتُموه على أمرِه، كنتُم مُلوكَ العربِ والعَجمِ، ثمَّ بُعِثتم من بعدِ موتِكم، فجُعِلتْ لكم جِنانٌ كجِنَانِ الأُرْدُنِّ، وإن لم تفْعلوا كان له فيكم ذبحٌ، ثمَّ بُعِثْتُم من بعد مَوتِكم، ثم جُعِلَت لكم نارٌ تُحْرَقُونَ فيها(3)، فخرج رسولُ الله ﷺ عليهم، فأخذ حَفْنَةً من ترابٍ في يدِه، ثم قالَ: «نَعَمْ أنَا أَقُولُ ذَلِك، أَنْتَ أَحَدُهُمْ»، وأخذَ اللهُ تعالى على أبصارِهم عنه، فلمْ يَروهُ، فجعلَ ينثرُ الترابَ على رءُوسِهم وهو يَتلو هؤلاءِ الآياتِ: "يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ"[يس: 1 – 9].

حتى فرَغَ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآياتِ، ولم يَبقَ منهم رجلٌ إلا وَقد وضعَ على رأسِه تُرابًا، ثم انصرفَ ﷺ إلى حيثُ أراد أن يذهبَ.

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/482).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (1/482–483).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (1/483).



وبينما الكفارُ على تلكَ الحالِ أتَاهم رجلٌ ممَّن لم يكنْ معهم، فقالَ: ما تنتظرونَ هَاهُنا؟

قالوا: محمدًا.

قال: خيَّبَكم اللهُ! واللهِ قَد خرجَ عليكم محمدٌ، ثم ما تركَ منكم رجلا إلا وقد وضعَ على رأسِه ترابًا، وانطلق لحاجَتِه، أفمَا تَرونَ ما بِكم؟.

فوضعَ كلُّ رجلٍ منهمْ يدَه على رأسِه، فإذا عليه ترابٌ، ثم جعَلوا يتطلَّعونَ فيرونَ عليًّا على الفراشِ مُتَسَجِّيًا بِبُردِ رسولِ اللهِ ﷺ فقالوا: واللهِ إنَّ هذا لمحمدٌ نائمًا، عليه بُردُه، فلمْ يتركوا أماكِنَهم حَتى أصبَحُوا فقامَ عليٌّ عنِ الفراشِ فقالوا: واللهِ لقدْ كان صَدَقَنا الذي حدَّثَنَا(1).

وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ليُهَاجِرَ إلى المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي، وَلَعَلَّ اللهَ يَجِدُ لك صَاحِبًا».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟

قَالَ: «نَعَمْ».

فَطَمِعَ أَبُو بكْرٍرضي الله عنه أَنْ يَصْحَبَ رسولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ يُهاجِرْ، وَظَلَّ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في مَكَّةَ؛ لِيَصْحَبَهُ في الهِجْرَةِ، واشْتَرَى رَاحلتينِ، وَظَلَّ يَعلِفُهُمَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ في دَارِهِ إِعْدَادًا لذَلِكَ(2).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/483).

(2) انظر: صحيح البخاري (5/58)، وسيرة ابن هشام (1/484).


شبكة
الألوكة


الفصل الثالث
السنة الأولى من الهجرة

هجرة رسول الله ﷺ ونزوله بقباء، وبناء المسجد، وأوَّل صلاة جمعة في الإسلام، ونزول النبي ﷺ في دار أبي أيُّوب الأنصاري، وبناء مسجد المدينة، وإسلام حبر اليهود عبد الله بن سلام:

لقد كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْتِي بَيْتَ أَبِي بَكْرٍرضي الله عنه كُلَّ يَوْمٍ إمَّا بُكْرَةً، وَإِمَّا عَشِيَّةً، حَتَّى إذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي أُذِنَ فِيهِ لَهُ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ، وَالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ إلَى المَدِينَةِ، أَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه في نِصْفِ النَّهَارِ عِنْدَ اشْتِدادِ الحَرِّ، فِي سَاعَةٍ كَانَ لَا يَأْتِي فِيهَا.

فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: مَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ السَّاعَةَ إلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ.

فَلَمَّا دَخَلَ، تَأَخَّرَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ عَنْ سَرِيرِهِ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ إلَّا ابْنَتَاهُ عائِشَةُ، وَأَسْمَاءُ رضي الله عنهما.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ: عائِشَةُ، وَأَسْمَاءُ، وَمَا ذَاكَ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي.

فَقَالَ: «إنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ وَالْهِجْرَةِ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: الصُّحْبَةَ.

تَقُولُ عَائِشَةُ: فو الله مَا شَعُرْتُ قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمئِذٍ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ – بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ – إحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بِالثَّمَنِ».

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا سَرِيعًا، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ(1).

وكان هذا في ربيع الأوَّل من السنة الأولى من الهجرة.

---

(1) يُنظر: تاريخ الطبري (5/2)، البداية (220/3).

وَلمْ يَعلمُ بخروجِ رسولِ اللهِ ﷺ للهجْرةِ أَحدٌ إلَّا عليُّ بنُ أبي طَالبٍ، وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وآلهُ.

أمَّا عليٌّ رضي الله عنه؛ فإنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أخبرَه بخروجِهِ، وأمرَه أنْ يتخلَّفَ بعدَه بمكَّةَ، حتى يُؤدِيَ عن رسولِ اللهِ ﷺ الودَائعَ، التي كانتْ عنْدَه للناسِ، فقدْ كَانَ أهلُ مكةَ ليس عندَ أحدهِم شيءٌ يخْشَى عليه إلا وضعَهُ عندَ رسولِ الله ﷺ؛ لأَجلِ مَا اشْتُهِرَ عنهُ مِنْ صدْقِهِ، وأمَانَتِهِ(1).

ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ(2)، فَانتهيَا إِليهِ ليْلًا(3)، فَقَالَ أَبُو بكرٍ رضي الله عنه: وَاللهِ لَا تَدْخُلُهُ حَتَّى أَدْخُلَ قَبْلَكَ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ أَصَابَنِي دُونَكَ، فَدَخَلَ فَكَنَسَهُ، وَوَجَدَ فِي جَانِبِهِ ثُقَبًا، فَشَقَّ إزَارَهُ وسدَّهَا بِهِ، وَبَقِي مِنْهَا اثْنَانِ فَأَلْقَمَهَا رِجْلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: ادْخُلْ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَوُضِعَ رَأسه فِي حِجْرِهِ، وَنَامَ، فَلُدِغَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِجلِهِ مِنَ الْجُحْرِ، فَلَمْ يَتَحَرَّكْ مَخَافَةَ أَنْ يَنْتَبِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَقَطَتْ دُمُوعُهُ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟».

قَالَ: لُدِغْتُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي.

فَتَفِلَ رَسُولُ الله ﷺ فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ(4).

فَمَكَثَا مُتَخَفِّيينِ فِي الغَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ (أي: حاذق فطن لما يسمعه ويعلمه) لَقِنٌ (أي: سريع الفهم حسن التلقي)، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ (الدلجة: من الدلجة أي: الظلمة أي يسير في ظلمة السحر)، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ (من الكيد الذي تكيد قريش لهما) بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/485).

(2) صحيح: رواه البخاري (3905).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (1/485).

(4) رواه الخطيب التبريزي في المشكاة (6034).

وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ يَرْعَى عَلَيْهِمَا مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ (مِنحة: أي شاة يعطى لبنها)، **فَيُرِيحُهَا** (من الرواح وهو السير في العشي) **عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا** (رضيفهما: أي اللبن الذي جعل فيه الرَّضْفَة، وهي الحجارة المحْمَاة، وقيل: الرَّضِيفُ الناقة المحلوبة)، **حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ** (أي: يصيح بغنمه) **بِغَلَسٍ** (وهو ظلام آخر الليل)، **يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ(1).**

وَكَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ تَأْتِيهِمَا مِنَ الطَّعَامِ إِذَا أَمْسَتْ بِمَا يُصْلِحُهُمَا(2).

وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُرَيْقِطٍ وَكَانَ مُشْرِكًا عَارِفًا بالطَّرِيقِ، فَأَمِنَاهُ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ(3).

وبينما النَّبيُّ ﷺ وأبُو بَكرٍ في الغَارِ إذ رأى أبو بكْر أَقدامَ المشركينَ على بابِ الغارِ، فقالَ لرسولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تحت قَدَمَيْه. فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»(4).

فانْصرفَ الكُفارُ خَزَايَا دُونَ أنْ يَظْفَرُوا برسولِ اللهِ ﷺ وأَبي بَكرٍ.

فَلمَّا مضتِ الثَّلاثُ، أتاهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ بِبَعيريْهِما وبَعيرٍ لهُ، وأَتَتْهُمَا أسماءُ بنتُ أَبي بكرٍ رضى الله عنهما بسُفْرَتِهِمَا.

فَقدَّمَ أبو بَكرٍ أَفضَلَ الراحِلتينِ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ وقالَ: اركبْ، فِدَاكَ أَبي وأمِّي.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «إِني لا أركبُ بعيرًا ليسَ لي».

قَالَ: فهي لكَ يا رَسولَ الله، بأَبي أنتَ وأمي.

---

(1) صحيح: رواه البخاري (3905).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (1/485).

(3) صحيح: رواه البخاري (3905).

(4) متفق عليه: رواه البخاري (4663)، ومسلم (2381)، عن أبي بكر.



قَالَ: «لَا، وَلكِنْ مَا الثَّمنُ الذِي ابتُعتُها بِهِ؟».

قالَ: كَذا وكَذا.

قال: «قَدْ أَخذتُها بِه».

قال: هي لكَ يا رَسولَ اللهِ.

فرَكِبَا وانطلَقا، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وعَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ(1).

واشتدَّ البحث عن رسول الله ﷺ وصاحبه، وكانَ الحَافزُ الأكبرُ وراءَ شِدَّةِ البحثِ عنْ رسولِ الله ﷺ أنَّ قُريشًا جَعَلتْ لمَنْ ردَّ رسولَ الله ﷺ عَلَيْهم مائةَ نَاقةٍ.

فبينمَا الكفارُ جلوسًا في نادِيهم إذْ جاءَهم آتٍ، فقالَ: واللهِ لقدْ رأيتُ ثلاثةً مرُّوا عليَّ آنفًا، إنِّي لأَرَاهُم محمَّدًا وأَصْحابَهُ.

فأَومَأَ إِليهِ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ بِعَينِه: أنِ اسْكُتْ، ثمَّ قالَ: إنَّما همْ بَنُو فُلانٍ، يَبتغونَ ضالةً لهُمْ.

فقال الرَّجلُ: لعلَّهُ كمَا يَقولُ سُرَاقَةُ، ثم سَكتَ.

وَمَكثَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ قليلًا، ثُم قامَ فدخلَ بيتَه، فأخَذَ فرسَهُ، وسلاحَهُ، والأزلامَ التي يَستَقْسِمُ بِها (الأزلام: سهام لا ريش لها، ولا نصل مكتوب عليها «لا»، «نعم» فكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمرا ضربوا بها فإن خرج «لا» تركوا، وإن خرج «نعم» فعلوا)، ثم انْطلقَ، فلَبِسَ دِرْعَهُ، ثم أَخرجَ الأزلامَ فاسْتقْسمَ بها، فخرجَ السهمُ الذي يَكْرَهُ، وَهُوَ الّذِي كَانَ فِيهِ مَكْتُوبًا «لَا تَضُرَّهُ».

فأبى إلا أن يتَّبعَ رسولَ اللهِ ﷺ فركِبَ في أَثَرِه، فبينَما هو راكبٌ فرسَه إذْ عَثرَ بِه، فَسَقطَ عَنهُ.

---

(1) انظر: صحيح البخاري (58/5)، وسيرة ابن هشام (487/1).



ثم أَخرجَ الأَزْلامَ فاسْتَقْسَمَ بِها، فخرَجَ السَّهمُ الذي يَكْرَهُ، وَهُوَ الّذِي كَانَ فِيهِ مَكْتُوبًا «لَا تَضُرَّهُ».

فأبى إلا أن يَتَّبعَ رسولَ اللهِ ﷺ فركبَ في أَثَرِه، فلمَّا رأَى النبيَّ ﷺ وأَصحابَهُ، قالَ أبو بَكرٍ: أُتِينا يا رَسُولَ اللهِ.

فَقالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا»، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا(1) (أي غاصت قوائمها في تلك الأرض الصلبة)، وتَبِعَهُمَا دُخَانٌ كالإِعْصَارِ.

فَقَالَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ: فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي (لم يرزآني: أي: لم يأخذا مني شيئا، ولم ينقصا مالي)، وَلَمْ يَسْأَلَانِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا».

فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ(2).

ولمَّا خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بَكرٍ رضي الله عنه للهجرةِ أتى نَفرٌ من قريشٍ، فيهم أبو جَهلٍ، فوقَفوا على بابِ أبي بكرٍ، فخرجتْ إليهم أسماءُ رضي الله عنها، فقالوا: أينَ أبوكِ يا بِنتَ أبي بكرٍ؟

قالتْ: لا أدري واللهِ أينَ أَبي؟

فرفعَ أبو جهلٍ يدَه، وكانَ فاحشًا، فَلطَم خدَّها لَطمةً طَرحَ مِنهَا قُرْطَهَا(3).

وكانَ أبو بكر عند خروجه قد أخذ مالَه كلَّه، فدخلَ أبو قُحَافةَ (أبو أبي بكر) وهوَ أعمَى على أسماءَ رضي الله عنها، فقالَ: واللهِ إنِّي لا أَراه قَد أخذَ مالَهُ كلَّهُ.

---

(1) صحيح: رواه البخاري (3615)، وابن هشام في السيرة (1/489-490).

(2) صحيح: رواه البخاري (3906)، وابن هشام في السيرة (1/489-490).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (1/487).





قالتْ أسماءُ: كلَّا يَا أبتِ! إنَّه قدْ تركَ لنا خيرًا كثيرًا.

فأخذتْ أحجارًا فوضعتْها في المكانِ الذي كانَ يضعُ فيه أبو بَكرٍ مَالَهُ، ثُمَّ وضعتْ عليه ثَوبًا، ثم أَخذتْ بيدِه، فَقالتْ: يا أبتِ، ضَعْ يدَك على هَذا المَالِ، فوَضعَ يدَهُ عليهِ، فقالَ: لَا بَأسَ، إذَا كانَ تركَ لكم هذَا فَقدْ أحْسَنَ(1).

وفي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ سَمِعَ المُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَرَجَعُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ، صَعِدَ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى حِصْنٍ مِنْ حُصُونِهِمْ، لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ العَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمُ(جدكم: أي حظكم، وصاحب دولتكم الذي تتوقعون مجيئه) الَّذِي تَنْتَظِرُونَ.

فَثَارَ المُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ، وَسُمِعَتِ الرَّجَّةُ وَالتَّكْبِيرُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ فَرَحًا بِقُدُومِهِ، وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ، فَتَلَقَّوْهُ وَحَيَّوْهُ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ، فالْتَفُّوا حَوْلَهُ وَالسَّكِينَةُ تَغْشَاهُ، وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ: "فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ"[التحريم: 4]، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِقُبَاءٍ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَنَزَلَ عَلَى كُلْثُومِ بْنِ الْهِدْمِ(2).

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ يَتَلَقَّاهُمْ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ – مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ – يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ(3).

وَأَقَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِمَكَّةَ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَأَيَّامِهَا، حَتَّى أَدَّى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهَا، لَحِقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَزَلَ مَعَهُ عَلَى كُلْثُومِ بْنِ الهِدْمِ(4).

---

(1) البداية والنهاية (3/248)، الكامل (2/9).

(2) انظر: صحيح البخاري (3906)، وزاد المعاد (3/52).

(3) صحيح: رواه البخاري (3906)، عن عروة بن الزبير.

(4) انظر: سيرة ابن هشام (1/493).



فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بقُباءٍ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ(1)، وَأَسَّسَ مَسْجِدَهُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى (وهو مسجد قباء)، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِ(2).

ثُمَّ خرجَ رَسولُ اللهِ ﷺ مِنْ بينِ بَني عَمرٍو بنِ عوفٍ يومَ الجُمُعةِ، فَأدْركتْ رسولَ اللهِ ﷺ الجُمُعةُ في بني سالمِ بنِ عوفٍ، فَصلَّاهَا في بَني سالِمٍ، فكانتْ أولَ جُمعةٍ صَلَّاهَا بالمَدِينةِ(3).

ولما خرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَني سَالمِ بنِ عَوفٍ رَاكبًا رَاحِلَتَهُ كانَ كلمَّا مرَّ بدارٍ من دُورِ الأنصارِ قالوا لهُ: أَقِمْ عِندَنا يَا رسولَ اللهِ.

فكانَ ﷺ يقولُ: «خَلُّوا سَبِيلَهَا، فإِنَّهَا مَأمُورَةٌ»، لنَاقتِهِ، فَيُخَلُّوا سَبيلَهَا، فَتنطلقُ، حتى إذا مرَّت بدارِ بَني عَدِيِّ بنِ النَّجارِ، وَهمْ أخوالُ رسولِ اللهِ ﷺ فقالوا: يا رسولَ اللهِ، هَلُمَّ إلى أخوالِك، فَقالَ: خَلُّوا سَبيلَها فإِنَّهَا مَأمُورَةٌ، فَخلُّوا سبيلَها، فانْطَلَقتْ.

حتَّى إذا أَتتْ دارَ بني مالكِ بنِ النَّجارِ، بَركتْ على بابِ مسجِدِهِ ﷺ وهُو يَومئذٍ مَرْبدٌ (مربد: أي موضع يجفف فيه التمر) لغُلامَينِ يَتيمينِ مِنْ بَني النَّجَّارِ، فلمَّا بَركتْ، ورسولُ اللهِ ﷺ عَليهَا لم ينزلْ، وثبتْ فسارتْ غيرَ بعيدٍ، ورسولُ اللهِ ﷺ واضعٌ لها زِمَامَهَا لا يَثْنِيها بهِ، ثمُّ التَفتَتْ إلى خلْفِها، فَرجعتْ إِلى مَبرَكِهَا أَوَّلَ مرةٍ، فَبَركتْ فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ المَنْزِلُ»، فنزلَ عَنْها رسولُ اللهِ ﷺ فاحْتَملَ أَبُو أيوب رَحْلَه، فوضَعَه في بَيتِه، ونزلَ عَليهِ رسولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ دَعَا الغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالَا: لَا، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا(4).

---

(1) انظر: السابق (1/494).

(2) صحيح: رواه البخاري (3906)، عن عروة بن الزبير.

(3) انظر: سيرة ابن هشام (1/494).

(4) صحيح: رواه البخاري (3906)، عن عروة بن الزبير ، وسيرة ابن هشام (1/494-496).

وأَمرَ رَسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه رضي الله عنهم بِبناءِ المَسْجدِ، وَطَفِقَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ، وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ: «هَذَا الحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرْ، هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ» (لا حمال خيبر: أي لا ما يُحمل من خيبر من التمر ونحوه).

وَيَقُولُ: «اللهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ، فَارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَالمُهَاجِرَهْ»(1)، وكانَ المُهَاجرونَ والأَنْصَارُ يَقُولونَ:

لَا عَيْشَ إِلَّا عَيشُ الآخِرَهْ * اللهم ارْحِمِ الأَنْصَارَ والمُهَاجِرَهْ(2)

ولمَّا أتمَّ النَّبيُّ ﷺ هُوَ وأَصْحابُهُ بِناءَ مَسجدِهِ بَالجريدِ واللَّبِنِ، بَنى مَسْكَنهُ ومَسَاكنَ أَزواجَهُ إلى جَنْبِهِ، وأَقْرَبُها إليهِ مَسْكَنُ عَائشةَ رضي الله عنها.

ثُمَّ انتَقلَ ﷺ مِن دَارِ أبي أيوبَ رضي الله عنه إلى مَسَاكِنِه(3).

وكان: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ ذهَبَ إِلَيْهِ النَّاسُ مُسْرِعِينَ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَاء عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ فِي النَّاسِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَانَ وَجْه رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفَ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ(4).

فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَتَحقَّقُ مِنْ شأْنِهِ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ:

فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟

وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟

وَمَا يَنْزِعُ (أي: ينجذب بالشبه) الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟

قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا».

---

(1) صحيح: رواه البخاري (3906)، عن عروة بن الزبير.

(2) انظر: سيرة ابن هشام (1/496).

(3) انظر: زاد المعاد (1/99).

(4) صحيح: رواه الترمذي (2485)، وأحمد (23784)، عن عبد الله بن سلام ، وصححه الألباني.

قَالَ: جِبْرِيلُ؟

قَالَ: "نَعَمْ".

قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلَائِكَةِ.

فقرأ النبيُّ ﷺ هذه الآية: "قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ"[البقرة: 97].

ثم قال ﷺ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ (فزيادة كبد الحوت: هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد، وهي أطيبها وألذها)، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ المَرْأَةِ نَزَعَتْ.

فقال عبد الله بن سلام: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ (بهت: جمع بَهوت وهو كثير البهتان، وهو أسوأ الكذب أي كذابون ومماروون لا يرجعون إلى الحق) وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي، فَجَاءَتِ اليَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ؟

قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا.

قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ؟

فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ.

فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَانْتَقَصُوهُ.

قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ(1).

(1) صحيح: رواه الترمذي (2485)، وأحمد (23784)، عن عبد الله بن سلام.

هجرة آل بيت رسول الله ﷺ، وآل بيت أبي رضي الله عنه، والزيادة في الصلاة، وأوَّل مولود من المهاجرين في الإسلام، وأوَّل مولود من الأنصار بعد الهجرة،، ووفاة أم كلثوم بنت هدم وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما، وتشريع الأذان، ومعاهدة النبي ﷺ مع يهود المدينة، وسرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر، وسرية عبيد بن الحارث بن عبد المطلب إلى بطن رابغ، ودخول النبي ﷺ بأمِّنا عائشة رضي الله عنها، وسرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

لمَّا هَاجرَ النبيُّ ﷺ إلى المدينةِ خلَّفَ بناتِهِ وزَوجتَهُ سَودةَ بنتَ زَمْعةَ بِمكَّة، فلمَّا قدِمَ المدينةَ أَرْسلَ ﷺ وهو في مَنزلِ أَبي أَيوبَ زَيدَ بنَ حَارثةَ وَأبَا رافعٍ، وأعطَاهُمَا بَعيرينِ وخَمْسَمَائةِ دِرهمٍ إلى مَكةَ، فَقَدِمَا عليه بِابنتيهِ فَاطِمَةَ، وأمِّ كُلثومٍ، وزَوجتِهِ سَودةَ بِنتِ زَمْعَةَ، وَأُسَامةَ بنِ زيدٍ، وأمِّهِ أمِّ أَيمنَ(1)، وكانتْ رُقيةُ قدْ هَاجرتْ مَعَ زَوجِها عُثْمانَ، وأمَّا زَينبُ فَلمْ يُمكِّنْها زَوجُها أبُو العَاصِ بنُ الرَّبيعِ مِنَ الخروجِ.

فقدِموا على رَسولِ اللهِ ﷺ وهو يَبني المَسْجدَ، ومَسَاكِنَهُ(2).

وأرسل أبو بكر رضي الله عنه أيضا عبدَ اللهِ بنَ أُرَيقِطٍ مع زيدِ بن حارثةَ، وأبي رافعٍ، فَخرجُوا بآلِ أبي بكرٍ، ومنهم عائشةُ رضي الله عنها، مُصْطَحِبينَ آلَ بيتِ النبيِّ فقدِموا معَهُمْ على رسول الله ﷺ وهُوَ يبني المسجِدَ(3).

وفي طريقِهم إلى المَدينةِ شردَ البعيرُ الذي كانتْ تركبُ عليه عائشةُ رضي الله عنها، فجعلتْ أمُّها أمُّ رُومَان تُنادي: وَابُنَيَّتَاهْ، وَاعَرُوسَاهْ، فَسَمِعَتْ عائشةُ رضي الله عنها قائلًا يقولُ: أَلْقي خِطَامَهُ، فَأَلْقَتْهُ مِن يَدِهَا، فقامَ البعيرُ يستديرُ بِهِ كأنَّ إنسانًا تحتَه يُمْسِكُهُ، فَسَلَّمَ اللهُ(4).

(1) انظر: تاريخ الطبري (10/2)، البداية والنهاية (268/3)، الكامل (10/2).
(2) انظر: الروض الأنف، للسهيلي (129/4-130)، وزاد المعاد (55/3)، والبداية والنهاية (499/4-500).
(3) انظر: الروض الأنف، للسهيلي (129/4-130)، وزاد المعاد (55/3)، والبداية والنهاية (499/4-500).
(4) انظر: الروض الأنف، للسهيلي (130/4).



وقد فَرَضَ اللهُ تعالى الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ بِمَكَّةَ فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الحَضَرِ مَعَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ إِلَّا الْمَغْرِبَ، فَإِنَّهَا وِتْرُ النَّهَارِ، وَصَلَاةَ الْفَجْرِ؛ لِطُولِ قِرَاءَتِهَا(1).

ولمَّا أتت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما نزلت بقباء فولدت عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ثُمَّ أَتَتْ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَوَضَعَتْهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ فِي فَمِهِ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ (حنكه: أي مضغ تمرة، ثم دلك بها حنكه) ثُمَّ دَعَا لَهُ، وَبَرَّكَ عَلَيْهِ

وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الإِسْلَامِ(2)، فَفَرِحُوا بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا؛ لِأَنَّهُمْ قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ اليَهُودَ قَدْ سَحَرَتْكُمْ فَلَا يُولَدُ لَكُمْ(3).

وولد أيضا النعمان بن بشير وَهُو أَوَّلُ مَوْلُودٍ لِلأَنْصَارِ بَعْدَ الهِجْرَةِ(4).

وحمَلَتْهُ أمُّه عَمْرَةُ بنتُ رَوَاحةَ رضي الله عنها إلى رسولِ اللهِ ﷺ فَحَنَّكَهُ وَهُو أولُ مَولودٍ مِنَ الأَنْصَارِ وُلِد بعد قدومِ النبيِّ المدينةَ(5).

وكان أولَ من تُوفِّي بعدَ مَقدمِ النبيِّ ﷺ المدينةَ منَ المسلمينَ كُلْثُومُ بنُ الهِدْمِ، لمْ يمكثْ بعدَ مَقْدَمِه إلا يسيرًا حتى مَاتَ.

ثم تُوفِّي بعدَهُ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ، وكانتْ وفاتُه قبلَ أن يَفْرُغَ رسولُ اللهِ ﷺ منْ بناءِ مسجدِه، وقَدْ مَاتَ بالذَّبْحةِ والشَّهْقَةِ(6) (الذبحة: وجع في الحلق يخنق فيقتل، والشهقة: أي الصيحة).

---

(1) تاريخ الطبري (10/2)، البداية (269/3).

(2) متفق عليه: رواه البخاري (3909)، ومسلم (2146)، عن أسماء رضي الله عنها.

(3) متفق عليه: رواه البخاري (5469)، ومسلم (2146)، عن أسماء رضي الله عنها.

(4) تاريخ الطبري (10/2)، البداية (268/3).

(5) انظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان (154/1)، والبداية والنهاية (580/4).

(6) انظر: تاريخ الطبري (397/2).

وفي نفس السنة شرع الأذان:

فقد اهْتَمَّ النَّبِيُّ ﷺ لِلصَّلَاةِ كَيْفَ يَجْمَعُ النَّاسَ لَهَا، وكَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى.

فَلَمْ يُعْجِبِ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَ: "هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى".

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ.

فَلَمْ يُعْجِبِ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَ: "هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُودِ".

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: انْصِبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَاةِ فَإِذَا رَأَوْهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

فَلَمْ يُعْجِبِ النَّبِيَّ ﷺ ذَلِكَ.

فَانْصَرَفَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَهُوَ مُهْتَمٌّ لِهَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأُرِيَ الْأَذَانَ فِي مَنَامِهِ، فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَبَيْنَ نَائِمٍ وَيَقْظَانَ، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَأَرَانِي الْأَذَانَ.

وكان عمر بن الخطاب قَدْ رَآهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَكَتَمَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ النبي ﷺ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي؟

فَقَالَ: سَبَقَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ، فَاسْتَحْيَيْتُ وفي رواية: فجاء عمر رضي الله عنه قال: والله لقد أريت مثلما رأى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "يَا بِلَالُ، قُمْ فَانْظُرْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ، فَافْعَلْهُ" فَأَذَّنَ بِلَالٌ(1).

---

(1) صحيح: رواه البخاري (604)، ومسلم (377)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه أبو داود (498)، عن أبي عمير بن أنس، عن عمومة له من الأنصار، والترمذي (189).

وبعد مقدم النبي ﷺ المدينة عقد معَ اليهودِ عهدًا، وأقرَّهُم على دِينِهم وأموالِهِم، وشرَطَ لهُم، واشتَرطَ عَليهِم ما يلي(1):

1 – مَنْ تَبِعَنا مَنْ يَهُودَ، فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسْوَةَ؛ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرٍ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ.

2 – اليَهودُ يُنفِقُونَ معَ المؤمنينَ ما دامُوا مُحَارِبِينَ.

3 – يهودُ بني عوفٍ أمَّةٌ معَ المؤمنينَ، وكذلكَ جميعُ يَهُودِ المَدينةِ، لليَهودِ دِينُهُم، وللمُسلِمينَ دينُهم، موالِيهم وأنْفُسِهِم، إلا مَن ظَلَم وأَثِم، فإنَّه لا يُهْلِكَ إلا نفْسَه، وأهلَ بَيتِهِ.

4 – على اليَهودِ نَفقَتُهم، وعلى المسلمينَ نَفقتُهم.

5 – النَّصرُ بَينَهُم على مَن حاربَ أهلَ هذِه الصَّحيفةِ.

6 – النَّصحُ والنصيحةُ، والبِرُّ بينَهم دونَ الإِثمِ.

7 – لا يَأثُم امرؤٌ بحليفِهِ.

8 – النصرُ للمَظلومِ.

9 – يثربُ حرامٌ جوفُها لأهلِ هذِه الصحيفةِ.

10 – الجارُ كالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍّ وَلَا آثِمٍ.

11 – لا تُجَارُ حرمةٌ إلا بإذنِ أهلِها.

12 – ما كانَ بين أهلِ هذه الصحيفةِ مِن حدَثٍ أو اشتجارٍ يُخافُ فسادُه، فإنَّ مردَّهُ إلى اللهِ وإلى محمدٍ رسولِ اللهِ.

13 – إنَّ اللهَ على أَتْقى ما في هذِه الصحيفةِ وأَبَرِّهِ.

14 – لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا.

15 – النَّصْرُ بَيْنَهُمْ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِب.

16 – إِذَا دَعَوْا إِلَى صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ فَإِنَّهُمْ يُصَالِحُونَهُ، وَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى مَثْلِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ؛ عَلَى كُلِّ أُنَاسٍ حِصَّتُهُمْ مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قِبَلَهُمْ.

17 – لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ أَوْ آثِمٍ.

18 – مَنْ خَرَجَ آمِنٌ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ.

19 – إِنَّ اللهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ، وَاتَّقَى.

وفي رَمضانَ مِنْ هَذهِ السَّنَةِ: كانَت سَرِيَّةُ حَمزةَ بن عبدِ المطَّلبِ إلى سِيفِ البَحْرِ:

بعثَ النبيُّ ﷺ حمزةَ بنَ عبدِ المُطَّلبِ إلى سِيفِ البحرِ (أي ساحل البحر)، في ثَلاثين راكبًا مِن المهَاجرينَ، –ليسَ فيهم أحدٌ مِن الأنصارِ–؛ ليعترضَ عِيرًا لقُرَيشٍ، وحمَلَ اللواءَ أبُو مَرْثَدٍ الغَنَوِيُّ، وكانَ لِوَاءً أبيضَ.

فلقي أبَا جَهلٍ بنَ هشامٍ بذلكَ الساحلِ في ثلاثِ مائةِ راكبٍ من أهلِ مكةَ، فحجَزَ بينهم مجدِي بنُ عمرٍو الجهنيُّ، وكان حليفًا للفريقينِ، فانصرفُوا ولم يكنْ بينَهم قتالٌ(2).

وفي شوَّالٍ مِنْ هَذهِ السَّنَةِ: كانتْ سَرِيَّةُ عُبَيدةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطَّلبِ إلى بطنِ رَابغٍ(3):

بعثَ النبيُّ ﷺ عُبيدةَ بنَ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ إلى بَطْنِ رَابغٍ (رابغ: موضع قريب من الجحفة)، في ستينَ مِنَ المُهاجِرينَ، –ليسَ فيهمْ أحدٌ مِن الأنصارِ– وحمَلَ اللواءَ مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وكَانَ لِوَاءً أبيضَ.

فالتَقَوا معَ أَبي سُفيانَ بنِ حربٍ في مائتينِ مِن المشركينَ، فَلمْ يَكنْ بَينهُم إلا الرَّمي، وَلَمْ يَسُلُّوا السُّيُوفَ، وَلَمْ يَصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مُنَاوَشَةً، ثُمَّ انْصرَفُوا.

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِيهِمْ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ(3).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/501–504) والبداية (3/262).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (1/595)، والسيرة النبوية، لابن حبان (1/150–151)، وعيون الأثر، لليعمري (1/260).

(3) انظر: الطبقات الكبرى (2/7)، والسيرة النبوية، لابن حبان (1/150)، وعيون الأثر، لليعمري (1/261).

وفي شوال مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: بَنَى النَّبيُّ ﷺ بأُمِّ المؤمنينَ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا(1):

كان قد تقدَّمَ أنَّ النبيَّ ﷺ عَقدَ على عَائشةَ رضي الله عنها وهيَ بنتُ ستٍّ سنينَ، ودخلَ بها وهي بنتُ تسعِ سِنينَ.

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ (أي عقد عليَّ دون دخول) **وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكْتُ** (أي أصابني الوعك وهو الحمى) **فَتَمَرَّقَ شَعَرِي** (أي: تقطع، وانتتف)، **فَوَفَى جُمَيْمَةً** (أي: كثر حتى كاد يبلغ الجمجة)، **فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ، وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ، وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، لاَ أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْهِجُ** (أتنفس بشدة) **حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي البَيْتِ، فَقُلْنَ عَلَى الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ** (أي قدمت على خير، وقيل: على خير حظ ونصيب)، **فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي** (أي مشطنها، وزينها، وألصحن ما بها من أذى)، **فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ ضُحًى، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ"(2).**

وَفي ذِي القَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كانتْ سَرِيَّةُ سَعدِ بنِ أَبِي وقَّاصٍ إِلى الخرَّارِ(3):

بعثَ النبيُّ ﷺ سعدَ بنَ أبي وقَّاصٍ في عِشرينَ رَجلًا على أقدامِهم إلى الخرَّارِ (الخَرَّار: مكان قريب من الجحفة)؛ **لأنَّ عيرًا لقريشٍ سَتَمرُّ به، وحمَلَ اللواءَ المقدادُ ابنُ الأسودِ، وكانَ لواءً أبيضَ، فكانوا يَستريحونَ النهارَ، ويَسيرونَ الليلَ، فلمَّا أصبحُوا اليومَ الخامسَ، وجدوا العيرَ قد مرَّتْ بالأمسِ، ولَولا أنَّ النبيَّ عهِدَ إليهمْ ألا يجاوزُوا الخرَّارَ، لَتَبِعُوهُم(4).**

---

(1) تاريخ الطبري (9/2)، الكامل (9/2)، البداية (268/3).

(2) متفق عليه: رواه البخاري (3894)، ومسلم (1422).

(3) تاريخ الطبري (11/2)، البداية (272/3).

(4) انظر: المغازي، للواقدي (11/1)، والبداية والنهاية (579/4).

وآخى رَسولُ اللهِ ﷺ بين المُهاجرينَ والأنصارِ حينَ نَزلوا المدينةَ؛ ليُذْهبَ عَنهُم وَحشةَ الغربةِ، ويُؤْنِسَهُم مِن مُفارقةِ الأهلِ والعشيرةِ، ويشدَّ أَزْرَ بَعضِهِم ببعضٍ(1).

وقَدْ آخى النبي ﷺ بينهُم في دارِ أنسِ بنِ مالكٍ وكانوا تسعينَ رجلًا نِصفُهم من المهاجرينَ، ونصفُهم مِن الأنصارِ، آخى بينهم على المُواسَاة، وعلى أنهم يتوارثونَ بعدَ الموتِ دون ذوي الأرحامِ بحيثُ يكونُ أثرُ الأُخوةِ الإسلاميةِ في ذلكَ أقوى من أثرِ قرابةِ الرَّحمِ.

وظلَّتْ حقوقُ هذا الإخاءِ مقدَّمةً على حقوقِ القرابةِ إلى غزوةِ بدرٍ الكُبرَى، لمَّا عزَّ وقَويَ الإسلامُ، واجتمعَ الشَّمْلُ وذهبتِ الوحشةُ، فَأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[الأحزاب: 6]، فردَّ التوارثَ إلى الرَّحمِ دونَ عَقْدِ الأُخُوَّةِ.

ثمَّ جَعلَ المؤمنينَ كلَّهم إخوةً، فقَالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الحجرات: 10]، يعني التوادِّ(2)، أي: الود.

وقد ضَرَبَ الأنصارَ أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي تَقديمِ المُهَاجرينَ عَلى أنفسِهم في أَموالِهم، فَقدْ كانُوا يَتسابقونَ في مؤاخاتِهم، حتّى يؤولَ الأمرُ إلى الاقتراعِ، وكانُوا يحكِّمُونهم في بُيوتِهم وأثاثِهم وأموالِهم وأرضِهم، ويؤثِرُونَهُم على أنفُسِهِم(3).

ومِنْ صورِ ذلِكَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا آخَى بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا.

---

(1) انظر: الروض الأنف، للسهيلي (4/177-178).

(2) انظر: صحيح البخاري (2292)، وسيرة ابن هشام (1/504)، وزاد المعاد (3/56-57)، والروض الأنف، للسهيلي (4/178)، وفقه السيرة، للبوطي، ص (147).

(3) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، ص (281).

فقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟

فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَمَا رَجَعَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ (أقط: أي جبن مجفف) **وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ** (أثر صفرة: أي أثر الطيب الذي استعمله عند الزفاف)، **فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ "مَهْيَمْ"** (مهيم: أي كيف حالك؟، وما خبرك؟ أو ما هذا الذي عليك).

قَالَ: تَزَوَّجْتُ.

قَالَ: "كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟" (أي كم أعطيتها مهرا؟).

قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ(1) (نواة: اسم لقدر معروف عندهم، فسرها أكثر العلماء بخمسة دراهم من ذهب، ولعلَّه وزن نواة حقيقية من تمرة).

وَقَالَتِ الأَنْصَارُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ اقْسِمْ بَيْنَنَا، وَبَيْنَ المُهَاجِرِيْنَ النَّخْلَ.

قَالَ: "لَا".

قَالَتِ الأَنْصَارُ: يَكْفُونَنَا المَئُونَةَ (أي المهاجرون يكفوننا المؤونة في النخل بتعهده بالسقي والتربية)، **وَيُشْرِكُونَنَا فِي التَّمْرِ.**

قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا(2).

---

(1) صحيح: رواه البخاري (3780)، عن عبد الرحمن بن عوف.

(2) صحيح: رواه البخاري (3782)، عن أبي هريرة.




الفصل الرابع
السنة الثانية من الهجرة




وفي صَفرٍ مِنَ السَّنَةِ الثانية من الهجرة: غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ غزوةَ الأَبْواءِ حتَّى بَلَغَ ودَّانَ، وهيَ أوَّلُ غَزوةٍ غزاهَا بنفسِهِ الشَّريفَةِ، فِداهُ أَبي وأُمِّي(1):

غَزا رَسولُ اللهِ ﷺ بنَفْسِهِ غَزوةَ الأبْواءِ، ويُقالُ لها: وَدَّانُ، وهي أوَّلُ غَزوةٍ غَزاهَا بنفْسِهِ، وحمَلَ لواءَهُ حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ، وكانَ لواءً أبيضَ، واستخلفَ على المدينةِ سعدَ بنَ عُبادةَ، وخرجَ في المُهاجِرينَ خاصةً؛ لِيعْترضَ عِيرًا لِقُريشٍ، فَلَمْ يَلقَ حَرْبًا، ورجعَ إلى المَدينةِ.

وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ وَادَعَ النبي ﷺ (أي: عاهد) سَيِّدَ بَنِي ضَمْرَةَ فِي زَمَانِهِ عَلَى أَلَّا يَغْزُو بَنِي ضَمْرَةَ، وَلَا يَغْزُوهُ، وَلَا أَنْ يُكَثِّرُوا عَلَيْهِ جَمْعًا، وَلَا يُعِينُوا عَلَيْهِ عَدُوًّا، وَكَتَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ صلى الله عليه وسلم خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً(2).

وفي رَبيعٍ الأوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: غَزَا رسولُ اللهِ ﷺ غزوةَ بُوَاطٍ(3):

غَزا رسُولُ اللهِ ﷺ غَزوَةَ بُواطٍ، وحملَ لواءَهُ سعدُ بنُ أَبي وقَّاصٍ وكان لواءً أبيضَ، واستخلَفَ على المَدينةِ سَعدَ بنَ مُعاذٍ وخَرَجَ في مائتينِ مِن أَصحَابِه؛ لِيعترضَ عِيرًا لقريشٍ، فِيهَا أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ الجُمَحِيُّ، ومائةُ رجلٍ مِن قُريشٍ، وألفانِ وخَمْسِمائةُ بعيرٍ، فبلغَ بُواطًا، فلم يَلْقَ حَرْبًا، فرَجَعَ(4).

وفي ربيعٍ الأوَّلِ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: غزَا رسولُ اللهِ ﷺ غزوةَ بَدرٍ الأُولى حتَّى بَلَغَ وادِيَ سَفَوانَ(5):

خَرجَ رسُولُ اللهِ ﷺ يَطلبُ كُرْزَ بنَ جَابرٍ الفِهريَّ، وحملَ لواءَه عليُّ بنُ أبي طالبٍ وكانَ لواءً أبيضَ، واستخلفَ على المَدينةِ زَيدَ بنَ حَارثةَ.

---

(1) طبقات ابن سعد (6/2)، البداية (280/3).
(2) انظر: سيرة ابن هشام (591/1)، وزاد المعاد (148/3).
(3) طبقات ابن سعد (7/2)، تاريخ الطبري (14/2).
(4) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (2/8-9)، وزاد المعاد (148/3-149).
(5) طبقات ابن سعد (8/2)، تاريخ الطبري (14/2).



وكانَ كُرْزٌ قدْ أَغَارَ على سَرْحِ المَدينةِ، فاستَاقه، وَكَانَ يَرْعَى بِالْحِمَى، فَطَلَبَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ: سَفَوَانُ مِنْ نَاحِيَةِ بَدْرٍ، وَفَاتَهُ كُرْزٌ وَلَمْ يَلْحَقْهُ، فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وهذِهِ الغزوةُ تُسَمَّى غَزْوَةَ بَدرٍ الأُولى(1).

وَفي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كانتْ سَرِيَّةُ جُهَينَةَ، وفِيهِمْ سَعدُ بنُ أَبي وقَّاصٍ إلى حَيٍّ مِنْ كِنانَةَ(2):

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ جَاءَتْهُ جُهَيْنَةُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ قَدْ نَزَلْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَأَوْثِقْ لَنَا حَتَّى نَأْتِيَكَ وَتُؤْمِنَّا، فَأَوْثَقَ لَهُمْ فَأَسْلَمُوا.

قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَبَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي رَجَبٍ، في أَقَلَّ مِنْ مائَةِ رَجُلٍ، وَأَمَرَنَا أَنْ نُغِيرَ عَلَى حَيٍّ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ إِلَى جَنْبِ جُهَيْنَةَ، فَأَغَرْنَا عَلَيْهِمْ وَكَانُوا كَثِيرًا، فَلَجَأْنَا إِلَى جُهَيْنَةَ فَمَنَعُونَا، وَقَالُوا: لِمَ تُقَاتِلُونَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ.

فَقُلْنَا: إِنَّمَا نُقَاتِلُ مَنْ أَخْرَجَنَا مِنَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ.

فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: مَا تَرَوْنَ؟

فَقَالَ بَعْضُنَا: نَأْتِي نَبِيَّ اللهِ ﷺ فَنُخْبِرُهُ.

وَقَالَ قَوْمٌ: لَا بَلْ نُقِيمُ هَاهُنَا.

وَقُلْتُ أَنَا فِي أُنَاسٍ مَعِي: لَا بَلْ نَأْتِي عِيرَ قُرَيْشٍ فَنَقْتَطِعُهَا، فَانْطَلَقْنَا إِلَى الْعِيرِ وَكَانَ الْفَيْءُ إِذْ ذَاكَ: مَنْ أَخَذَ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ، فَانْطَلَقْنَا إِلَى الْعِيرِ، وَانْطَلَقَ أَصْحَابُنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَامَ غَضْبَانَ مُحْمَرَّ الْوَجْهِ فَقَالَ: «أَذَهَبْتُمْ مِنْ عِنْدِي جَمِيعًا وَجِئْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمِ الْفُرْقَةُ، لأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُمْ رَجُلًا لَيْسَ بِخَيْرِكُمْ، أَصْبَرُكُمْ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطَشِ»، فَبَعَثَ عَلَيْنَا عَبْدَ اللهِ بْنَ جَحْشٍ الْأَسَدِيَّ(3).

---

(1) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (9/2)، وسيرة ابن هشام (601/1)، وزاد المعاد (149/3).

(2) مسند أحمد: مسند سعد بن أبي وقاص (1457)، سبل الهدى (27/6).

(3) ضعيف: رواه أحمد (1539)، وضعفه أحمد شاكر، وشعيب الأرنؤوط.

فبعثَ رسولُ الله ﷺ عبدَ اللهِ بنَ جَحشٍ الأسديَّ إلى نَخلةَ في اثني عَشرَ رَجُلا مِنَ المهاجرينَ، كلُّ اثنينِ يَعتقبانِ على بَعيرٍ، فوَصَلُوا إلى نَخلةَ يَرْصُدونَ عيرًا لقريشٍ، وفي هذِه السرية سُمِّي عبدُ الله بنُ جحشٍ أميرَ المؤمنينَ، وكان رسولُ اللهِ ﷺ كتبَ له كتابًا، وأمرَه أنْ لا يَنظرَ فيه حتى يَسيرَ يَومينِ، ثُمَّ يَنظرَ فيه، فيَمضِي لِمَا أمَرَه بِه، ولا يَسْتَكْرِهُ مِن أصْحَابِه أحدًا، ولمَّا فَتحَ الكِتابَ وَجدَ فِيهِ: "إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا، فَامْضِ حَتَّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَتَرْصُدَ بِهَا قُرَيْشًا، وَتَعْلَمَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ".

فقال: سَمْعًا وطاعةً.

ثمَّ قالَ لأصْحابِهِ: قَد أَمَرَني رَسولُ اللهِ ﷺ أنْ أَمْضي إِلى نخلةَ، أَرْصدَ بها قريشا، حتى آتِيه مِنهمْ بخبرٍ، وقدْ نَهاني أنْ أَستَكْرِهَ أحدًا مِنكم.

فمَن كانَ مِنكُم يُريدُ الشهادةَ ويَرغبُ فيها فَلْيَنْطَلِقْ، ومَن كَرِه ذلكَ فليرجِعْ، فأمَّا أنَا فَمَاضٍ لأمرِ رَسولِ اللهِ ﷺ فَمَضَى وَمَضَى مَعَه أصحابُه، لَم يتخلفْ عَنهُ منهُم أَحدٌ.

فلمَّا كانَ في أثناءِ الطَّرِيقِ ضلَّ بَعيرٌ كانَ سَعدُ بنُ أَبي وقَّاصٍ، وعُتبةُ بنُ غَزْوَانَ يَعْتَقِبَانِهِ، فتخلَّفَا في طَلَبِه، وبَعُدَ عبدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ حتَّى نَزلَ بِنَخْلَةَ.

فمَرَّتْ به عيرٌ لقريشٍ تحمِلُ زَبيبًا، وأُدْمًا، وتجارةً فيها عَمرُو بنُ الحُضْرَميُّ، وعُثمانُ ونَوفلُ ابنا عَبدِ اللهِ بن المُغِيرةِ، والحكمُ بنُ كَيْسَانَ مَولى بني المُغيرةِ، فتشاورَ المسلمونَ، وقالوا: نحنُ في آخرِ يومٍ مِن رَجبٍ، فإنْ قاتَلنَاهُم، انْتهَكْنا حُرْمَةَ الشَّهرِ الحَرامِ، وإنْ تركناهُم الليلةَ دَخَلوا الحرمَ.

ثمُّ أجمعَ المُسلِمُونَ على ملاقَاتِهم، فرمَى أحدُ المُسلِمينَ عَمرَو بن الحَضرميَّ فقتَلَه، وأسرُوا عُثمانَ والحَكَمَ، وهَرَبَ نَوفَلٌ.

ثمَّ قَدِمُوا بالعيرِ والأَسيرينِ على رَسولِ اللهِ ﷺ المدينةَ، وقَد عَزلُوا مِن ذلكَ خُمسَ العيرِ لرسولِ اللهِ ﷺ وقُسِّمَ الباقي على أصحابِ السَّريَّةِ.

وهَذَا أوَّلُ خُمُسٍ في الإسلامِ، وأولُ قتيلٍ في الإسلامِ، وأولُ أسيرينِ في الإسلامِ.

فَأنكرَ رسولُ اللهِ ﷺ عَليهم ما فَعَلوه، وأَبى أنْ يأخذَ مِنْ ذلكَ شيئًا، واشْتدَّ تَعَنُّتُ قريشٍ وإنكارُهم ذلك، وقالتْ: قدِ اسْتَحَلَّ محمَّدٌ وأصحَابُه الشهرَ الحرامَ، وسَفَكُوا فيه الدَّمَ، وأخَذُوا فيه الأموالَ، وأسرُوا فيه الرِّجالَ، واشتدَّ عَلى المسلمينَ ذلكَ، حتَّى أَنزلَ اللهُ تَعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ"[البقرة: 217](1).

أي هَذا الذِي أنكرتُمُوهُ عَليهِم، وإنْ كانَ كبيرًا، فمَا ارْتَكبتُمُوه أنتُم مِنَ الكُفرِ باللهِ والصدِّ عن سَبيلِه، وعن بيتِه وإخراجِ المسلمينَ الذينَ هُم أهلُه مِنه، والشركِ الذِي أنتُم عَليه، والفتنةِ التي حَصلَتْ مِنْكم به أكبرُ عندَ اللهِ مِنْ قتالِهم في الشَّهرِ الحَرامِ(2).

فلمَّا نزلَ القرآنُ بهذا قَبضَ رسولُ اللهِ ﷺ العِيرَ والأسيرينِ، وبَعثتْ إليهِ قريشٌ في فِدَاءِ عثمانَ بنِ عبدِ اللهِ، والحكمِ بنِ كَيْسانَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا نُفْدِيكُمُوهَا حَتَّى يَقْدَمَ صَاحِبَانَا- يَعْنِي سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ- فَإِنَّا نَخْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا، فَإِنْ تَقْتُلُوهُمَا، نَقْتُلْ صَاحِبَيْكُمْ»، فَقَدِمَ سعدٌ وعُتبةُ، فأفْدَاهُما رسولُ اللهِ ﷺ مِنهُم.

فأمَّا الحكمُ بنُ كَيْسَانَ فأسلمَ فحسُنَ إسلامُه، وأقامَ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ حتى قُتلَ يومَ بئرِ مَعُونَةَ.

وأما عُثمانُ بنُ عبدِ اللهِ فَلَحِق بمكةَ، فماتَ بها كافِرًا.

فلمَّا ذهبَ عن عبدِ اللهِ بن جَحشٍ وأصحابِه ما كانوا فيه من الخوفِ حينَ نزلَ

---

(1) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (2/10-11) سيرة ابن هشام (1/601-604) زاد المعاد (3/150-151).

(2) انظر: زاد المعاد (3/151).



القرآنُ، طمِعُوا في الأجرِ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ ﷺ أنطمَعُ، أنْ تكونَ لنا غزوةٌ نُعْطَى فيها أجرُ المُجاهِدينَ؟

فأنزلَ اللهُ تعالى فيهم: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"(1).

وَفي رَجَبٍ وشَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: نزلَ الأَمرُ الإلهيُّ بتَحويلِ القِبلةِ مِنْ بيتِ المَقْدسِ إلى الكَعبةِ المشرَّفةِ، وهو أولُ نَسخٍ وَقعَ في الإِسلامِ(2).

فقد كان رَسولُ اللهِ ﷺ يصلي إلى قِبلةِ بيتِ المَقدسِ، وَكَانَ يُحبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الكَعْبَةِ، وَقالَ لجِبريلَ: "وَدِدْتُ أَنْ يَصْرِفَ اللهُ وَجْهِي عَنْ قِبْلَةِ الْيَهُودِ".

فقال جبريل عليه السلام: إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَادْعُ رَبَّكَ وَاسْأَلْهُ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُ وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ يَرْجُو ذَلِكَ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: " قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ"[البقرة: 144]، وذَلك بعدَ سِتَّةَ عَشَرَ شهرًا من مَقْدِمِه المَدينة قبلَ وَقعةِ بدرٍ بشهرينِ(3).

وكانَ للهِ في جعلِ القبلةِ إلى بيتِ المقدسِ ثم تحويلِها إلى الكَعبةِ حِكمٌ عَظيمةٌ، ومِحْنةٌ للمسلمينَ والمشركينَ واليهودِ والمنافقينَ.

فأما المُسلمونَ فقَالُوا: سَمِعنا وأطَعْنا.

وأما المُشركونَ فقَالُوا: كمَا رجَع إلى قبلتِنا، يُوشِكُ أنْ يرجعَ إلى دينِنا، ومَا رجعَ إليها إلا أنَّها الحقُّ.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/604-605).

(2) تاريخ الطبري (2/17)، الكامل (2/13)، البداية (3/288).

(3) انظر: صحيح البخاري 399، وصحيح مسلم 527، والطبقات الكبرى، لابن سعد 1/243، وزاد المعاد 3/59.



وأما اليَهودُ فقَالُوا: خَالفَ قِبلةَ الأنبياءِ قَبلَه، ولو كانَ نبيًّا لكانَ يُصلي إِلى قبلةِ الأنبياءِ.

وأما المُنافِقُون فَقَالُوا: ما يَدري محمدٌ أينَ يتوجَّهُ، إن كانتِ الأُولى حقًّا فقد تركَها، وإنْ كانتِ الثانيةُ هي الحقُّ فقدْ كان على باطلٍ.

وكثرتْ أقاويلُ السفهاءِ من الناسِ، وكانتْ محنةً مِنَ اللهِ امتحنَ بها عبادَه ليرَى مَن يتَّبعُ الرسولَ مِنهم ممَّن ينقلبُ عَلى عَقِبَيهِ(1).

وفي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: فُرِضَ صِيامُ رَمَضانَ(2):

فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ(3).

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[البقرة: 183].

(1) انظر: زاد المعاد (60/3).

(2) تاريخ الطبري (18/2)، الكامل (13/2).

(3) متفق عليه: رواه البخاري (2002)، ومسلم (1125)، عن عائشة رضي الله عنها.



{غزوة بدر الكبرى}

وقد وقعت في يومِ الجُمُعَةِ السَّابعَ عشرَ مِنْ رَمضانَ مِنَ السنَّة الثانية من الهجرة(1):

لمَّا سَمعَ رسولُ اللهِ ﷺ بأبي سفيانَ بنِ حرْبٍ مُقبِلًا مِنَ الشامِ في عِيرٍ لقُريشٍ عَظيمةٍ، فيها أموالٌ لقريشٍ وتجارةٌ من تجاراتِهم وفيها نحوا من أربَعينَ رجلا من قُريشٍ، حثَّ رَسُولُ الله ﷺ المُسلمينَ للخُروجِ إليهمْ، وقالَ: «هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللهَ يُنْفِلُكُمُوهَا (يُنْفِلُكُموهَا: أي يجعلها لكم نفلا، وهو الغنيمة) فخَرجَ بعضُ الناسِ، وبقيَ آخرونَ، وذلكَ؛ لأنَّهم لم يَظنُّوا أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ سَيلقَى قِتالًا(2).

وكان أبو سفيانَ حينَ دَنا مِنَ الحِجَازِ يتجَسَّسُ الأخْبارَ، ويسألُ مَن لقي من الركبانِ تخوُّفًا على تِجَارَتِهِ حتَّى قَالَ لهُ بعضُ الرَّكْبَانِ: إنَّ محمدًا قد اسْتَنْفرَ أصحابَه لكَ، ولعيرِك، فَحذِرَ أَبو سُفيانَ عند ذلكَ، فأَرْسَلَ ضَمضمَ بنَ عمرٍو الغِفاريَّ إلى مَكَّةَ؛ لِيَصْرُخَ في قريشٍ بالنَّفير إلى عِيرهم؛ لِيمْنَعُوه مِن محمَّدٍ وأصحَابِه(3).

فلمَّا بلغَ الصَّريخُ أهلَ مكةَ، نهضُوا جميعا مُسرعينَ، فلمْ يتخلَّفْ مِن أشرافِهم أحدٌ سِوى أَبي لَهَبٍ، فبعثَ مكانَه العَاصيَ بنَ هشامٍ كانتْ عَليه لأبى لهبٍ أَربعةُ آلافِ درهمٍ، فاستأجرَه بها على أن يُجزئَ عَنه، وحَشدُوا فيمَنْ حَولهُم مِن قبَائلِ العربِ، ولم يتخلفْ عنهم أحدٌ من بُطونِ قريشٍ إلَّا بني عَديٍّ، فَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ(4).

ولمَّا فَرغوا من جَهَازِهم، وأجمعُوا المَسيرَ إلى بدرٍ، تذكروا الحربَ التي كانتْ بينهم وبين بَني بكرِ بن كِنانةَ، فقالوا: إنَّا نَخشى أنْ يأتونَا من خَلفِنَا، فكادَ ذلك يُثنيهم عن الخُروجِ(5).

---

(1) تاريخ الطبري (2/19: 42)، البداية (2/290: 360).

(2) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (2/12)، وسيرة ابن هشام (1/606-607)، وزاد المعاد (3/153).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (1/607)، وزاد المعاد (3/153).

(4) انظر: سيرة ابن هشام (1/609-610)، وزاد المعاد (3/153).

(5) انظر: سيرة ابن هشام (1/610-611).



فتبدَّى لهُم إبليسُ في صورةِ سُرَاقةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ، وكان من أشراف بني كِنانة، فقال لهم: أنا لكم جَارٌ من أنْ تأتِيَكُم كنانةُ من خلفِكم بشيءٍ تَكْرهُونَه(1).

وخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في أصْحابِه، واستخلَفَ عَلَى المدينةِ وَعلى الصَّلاةِ بالناسِ ابنَ أمِّ مَكتومٍ، وَفي أثناء الطَّرِيقِ ردَّ أبا لُبَابةَ بنَ عبدِ المُنذِرِ، واستَعملَهُ عَلى المدينةِ.

ودفعَ اللواءَ إلى مُصْعبِ بنِ عُمَيرٍ، وكانَ أبيضَ، وكَانَ أمامَ رَسولِ الله ﷺ رَايتانِ سَودَاوانِ، إِحْدَاهُما مع عَليِّ بنِ أَبي طالبٍ، والأُخْرَى التي للأنصارِ معَ سعدِ بنِ مُعاذٍ، وجَعَلَ على السَّاقَةِ قَيسَ بنَ أَبي صَعْصَعَةَ (الساقة: هم الذين يسوقون الجيش، ويكونون من ورائه يحفظونه)(2)، ولم يكن رسول الله ﷺ ولا أصحابه قد تجهزوا التجُّهزَ الكَاملَ، ولا أَعَدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، وَلَا تَأَهَّبُوا لَهُ أُهْبَتَهُ، وَلَكِنْ جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وخرَجَ النبي ﷺ مُسرِعًا في ثَلاثِمِائةٍ وسَبْعَةَ عَشرَ رَجُلا: ستَّةٌ وثَمانونَ مِن المُهاجِرينَ، وواحدٌ وستُّونَ من الأوسِ، ومائةٌ وسَبعونَ مِنَ الخَزرجِ، ولم يَكنْ معهم من الخيلِ إلا فرسانِ: فرسٌ للزبيرِ بن العوَّام، وفرسٌ للمقدَادِ بن الأسودِ، وكان معهم سَبعونَ بعيرًا، يَعتقبُ الرجلانِ والثلاثةُ على البعيرِ الواحدِ(3).

ولما اقترب رسول الله ﷺ منْ بَدْرٍ بعثَ رَجُلينِ إلى بَدرٍ؛ ليأتِياهُ بِأخْبارِ العِيرِ(4).

فلمَّا أُخبر رسول ﷺ الله عن خُروجُ قريشٍ لملاقاته اسْتَشارَ أصحابَه، وأخبرَهم عن قريشٍ، فقامَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ فتكلَّمَ كلامًا حسنًا، ثمَّ قامَ عمرُ بنُ الخطَّابِ، ثم قام المِقدَادُ بن عمرٍو فَقالَ: يا رسولَ اللهِ، امضِ لِمَا أراك اللهُ فنحنُ معَك، واللهِ لا نقولُ لك كمَا قالتْ بنو إسرائيلَ لمُوسَى: "اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هاهُنَا قَاعِدُون" [المائدة: 24].

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (612/1).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (612/1-613)، وزاد المعاد (154/3ح).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (613/1)، وزاد المعاد (153/3، 168).

(4) انظر: سيرة ابن هشام (613/1-614).

ولكنِ اذْهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنَّا مَعكما مُقاتِلونَ، فَوالذِي بعثَك بالحقِّ لو سِرتَ بِنا إلى بَرْكِ الغِمَاد (برك الغماد: موضع بناحية اليمن) لجَالَدْنا مَعك مَن دُونَه، حتى تَبلغَه، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ خيرًا، ودعَا لَهُ.

ثُم قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «أَشيروا عَليَّ أيُّها النَّاسُ»، وإنَّما يُرِيدُ الأَنصارَ، وذلكَ لأنَّهُم أكثرُ الناسِ عددًا، وأنَّهم حينَ بايعوهُ بالعَقبةِ، قالوا: يا رسولَ اللهِ: إنَّا براءُ من ذِمَامِكَ حتَّى تصلَ إلى دِيارِنا، فإذا وَصلتَ إلينا، فأنتَ في ذِمَّتِنا نمنَعُك ممَّا نمنعُ منه أبناءَنا ونساءَنا، فكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يتخوَّفُ ألَّا تكونَ الأنصارُ تَرى عَليها نَصْرَهُ إلا ممَّن دَهمَه بالمَدينةِ من عدوِّه، وأنَّ ليسَ عليهم أن يَسيرَ بهم إلى عدوٍّ خارجَ بلادِهِم.

فلما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ ذلك، قالَ له سعدُ بن مُعاذٍ: واللهِ لكأنَّك تريدُنا يا رسولَ الله؟ فقال رسول الله ﷺ: أَجَلْ.

قال سعد: فقَد آمنَّا بكَ وصدَّقناك، وشهِدْنا أنَّ ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا، على السمعِ والطاعةِ، فامضِ يا رسول اللهِ لما أردتَ فنحنُ معكَ، فو الذي بعثك بالحقِّ، لو استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضتَه لخُضنَاه معك، ما تخلَّف منا رجل واحد، وما نَكره أن تَلْقى بنا عدونا غدا، إنا لصُبُرٌ في الحربِ، صُدُقٌ في اللقاءِ، لعلَّ اللهَ يريكَ منا ما تَقرُّ به عينُك، فَسِرْ بنا على بركةِ الله.

فَسُرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بما سمعَ من أصحابِه ثم قالَ: "سيرُوا وأبشِروا، فإنَّ اللهَ تَعالى قدْ وَعدَني إِحْدَى الطَّائِفتَينِ، واللهِ لكَأنِّي الآنَ أَنظرُ إِلى مَصَارِعِ القَومِ"(1).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/614–615)، وزاد المعاد (3/154–155).





وأقبلَ أبو سفيانَ بن حَربٍ، حتى تقدَّم العِيرَ حَذِرًا، حتى وَردَ بِئرَ الماءِ، فقالَ لمَجدِي بن عمرٍو: هل أحْسَستَ أحدًا؟

فقال: ما رأيتُ أحدًا أُنْكِرُهُ، إلا أني قد رأيتُ راكبين قد أنَاخا إلى هذَا التَّلِّ، ثم شَرِبا في سِقاءٍ لهُما، ثم انْطَلَقَا.

فأتى أبو سُفيانَ مُنَاخَهُمَا، فأخذَ مِن أبعَار بَعيرَيْهِما، ففَتَّه، فإذا فيه النَّوى، فقال: هذه واللهِ علائفُ يَثربَ، فرَجعَ إلى أصْحابِه سَريعًا، فأخذَ بِعِيرهِ مُسْرِعًا جهةَ السَّاحلِ، وترك بدرا(1).

فلمَّا رأَى أبو سفيانَ أنه قدْ نَجَا بِعيرِه، أرسلَ إلى قُريشٍ: إنَّكم إنما خرجتم لتمنَعوا عيرَكم ورجالَكم وأموالَكم، فقد نجَّاها اللهُ، فارجِعوا، فأتاهم الخبرُ، وهم بالجُحْفَة، فهمُّوا بالرُّجوعِ، فقال أبُو جَهلٍ بنُ هِشامٍ: واللهِ لا نَرجعُ حَتَّى نَأْتِيَ بدرًا (وكان بدرٌ مَوسِمًا مِن مَواسِمِ العَربِ، يجتمعُ لهُم به سوقٌ كلَّ عامٍ) فنقيمَ بها، فننحرَ الجُزُرَ (جمع جزور وهو البعير)، ونُطعِمَ الطعامَ، ونَسقيَ الخمرَ، وتَعزفَ عَلينا القِيانُ (القيناء: أي الجواري)، وتَسمعُ بنا العربُ، وبِمَسيرِنا وجَمعِنا، فلا يَزالونَ يهَابُونَنا أبدًا بَعدَها، فَامْضُوا(2).

وأشارَ أَحَدُ بَني زُهْرَةَ عَليهِم بالرُّجوعِ، فَعَصَوْه، فقالَ: يا بَني زُهْرةَ قدْ نَجَّى اللهُ لكم أموالَكُم، فارجِعُوا، فرجعَ هُو وبنُو زُهرةَ، فلم يَشْهَدوهَا.

وأرادتْ بنو هاشمٍ الرُّجوعَ، فاشتدَّ عَليهم أبو جهلٍ، فأَطاعُوهُ، وساروا معهُ(3).

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/618).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (1/619)، وزاد المعاد (3/156).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (1/619)، وزاد المعاد (3/156).

ثُمَّ ارتحلَ رسولُ اللهِ ﷺ فنزلَ قريبًا من بَدرٍ، فَركبَ هو وأبُو بكرٍ الصِّدِّيقُ حتى وقف على رَجُلٍ مِنَ العربِ، فَسألَهُ رسولُ اللهِ ﷺ عن قُريشٍ، وعنْ محمدٍ وأصحابِه، ومَا بلغَهُ عنهم، فقَالَ: لا أُخْبِرُكمَا حتَّى تُخْبِرَاني مِمَّن أنْتُما؟

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "إذَا أخبرتَنَا أَخْبرنَاك".

قالَ: أذاكَ بِذاكَ؟

قَالَ: "نَعَمْ".

قال الرَّجُلُ: فإنَّه بَلغَني أن محمَّدًا وأصحابَه خَرجُوا يومَ كذا وكذا، فإن كانَ صَدَقَ الذي أَخْبرَني، فَهمُ اليومَ بمكانِ كذَا وكذَا، للمكانِ الَّذي به رسولُ اللهِ ﷺ، وبلغني أن قريشًا خرجُوا يومَ كذا وكذا، فإنْ كانَ الذي أخْبَرني صَدَقَني فَهمُ اليومَ بمكانِ كذَا وكذَا للمكانِ الَّذي فيهِ قريشُ.

فلما فرغَ من خَبرِه، قالَ: مِمَّن أنتُمَا؟

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "نَحنُ مِنْ مَاءٍ"(1) انظر الحاشية.

ثُم انصرفَ عَنهُ، فَجعلَ الرَّجُلُ يقولُ: مَا مِن مَاءٍ، أَمِنْ مَاءِ العِراقِ؟(2).

ثمَّ رجعَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى أصحابِه، فلما أمسى بعثَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ، والزُّبيرَ بنَ العوَّامِ، وسعدَ بنَ أبي وقَّاص في نفرٍ من أَصحابِه، إلى مَاءِ بدرٍ، يلتمسونَ الخبرَ، فأصابوا إبلًا عليها ماءٌ لقُريشٍ فيها غُلامانِ، فأتَوا بهما ورسولُ اللهِ ﷺ قائمٌ يُصَلي، فسألوهُمَا مَن أنْتُما؟، فَقَالا: نحنُ سُقاةُ قُريشٍ، بَعَثُونا نَسقِيهِم مِنَ الماءِ، فَكرِه ذلكَ أصحابُه، ووَدُّوا لو كانا لعِيرِ أبي سُفيانَ.

---

(1) قوله: "نحن من ماء" له معنيان: أحدهما: قريب، والآخر: بعيد، فمعناها القريب: مكان اسمه «ماء»، ومعناها البعيد وهو المراد: مخلوقون من منيٍّ، كما قال تعالى: "خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ"[الطارق: 6].

والرسول ﷺ كان يريد المعنى البعيد، وهذا لأنَّ الرسول ﷺ لا يكذب فإن قال له أنَّه رسول الله لوشى به، فاستعمل معه التورية (من البلاغة) وهو ما يسمى بالحيلة الشرعية في علم الأصول عند الحنفية.

(2) انظر: سيرة ابن هشام (1/615-616).



فلمَّا سلَّم النبيُّ ﷺ من صَلاتِه، قالَ للغُلامينِ: "أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ".

قالا: همُ واللهِ وراءَ هذا الكثيبِ الذي تَرَى بالعُدْوَةِ القُصْوَى (والعدوة القصوى: العدوة حافة الوادي، وجانبه، أي الجانب البعيد من المدينة، فهي حافة الوادي من الجهة الأخرى. أما العدوة الدنيا، فهي القريبة إلى المدينة).

فقال لهُما رسولُ اللهِ ﷺ: كَمِ القَومُ؟

قالا: لا عِلمَ لنَا.

قالَ: مَا عِدَّتُهُم؟

قالَا: لا نَدْري.

قالَ: كَمْ يَنْحَرُونَ كلَّ يَومٍ؟

قالَا: يوما تسعا، ويوما عشرا.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ القَومُ فِيمَا بَينَ التِّسعِمَائَةِ والأَلْف.

ثم قالَ لهُمَا: فمَنْ فيهِم مِنْ أَشرافِ قريشٍ؟

فَذَكَرُوا لهُ جمَاعةً منهُم: عُتبةُ بنُ ربيعةَ، وشَيبَةُ بنُ رَبيعةَ، وحَكِيمُ بنُ حِزامٍ، وزَمْعةُ بنُ الأَسودِ، وأبو جَهلِ بنِ هِشَامٍ، وأُميةُ بنُ خَلفٍ، وسُهيلُ بنُ عَمرٍو.

فأقبلَ رسولُ اللهِ ﷺ على الناسِ، فقالَ: هَذه مَكةُ قدْ أَلْقَتْ إليكُم أَفْلَاذ كَبِدِهَا(1).

ثم سارَ رسولُ اللهِ ﷺ يُسَابِقُ المُشركينَ إلى المَاءِ، حتى نَزلَ أدْنى ماءٍ من بَدرٍ.

فقال الحُبَابُ بنُ المُنْذِرِ يا رَسولَ اللهِ أرأيتَ هذا المَنزِلَ، أمَنزِلًا أَنزلَكَهُ اللهُ ليسَ لنا أن نتَقدَّمَهُ، ولا نَتأَخَّرَ عَنه، أمْ هُو الرأيُّ والحَربُ والمَكيدةُ؟

قالَ: بلْ هُوَ الرَّأيُ والحَربُ والمَكِيدَةُ؟

فقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، فإنَّ هذَا ليسَ بِمَنزِلٍ، فانْهضْ بالناسِ حَتى نأتيَ أَدنى مَاءٍ مِن

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/616–617)، وزاد المعاد (3/156–157).





القوم، فَنَنزِلَهُ، ثم نُغوِّرُ مَا وراءَهُ (نطمس) مِنَ القُلُبِ (القُلب جمع قليب وهو البئر)، ثم نَبنيَ عَليهِ حوضًا فنملأَهُ ماءً، ثمَّ نُقَاتلَ القومَ، فَنَشرب ولا يَشْرَبونَ.

فقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: لقَدْ أَشرتَ بِالرَّأْيِ(1).

فَسبقَ رَسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُه إلى الماءِ، حتى إذا أتَوْا أدْنى ماءٍ مِنَ المُشركينَ نزلُوا عَلَيه شطرَ الليلِ، وصنعُوا الحِياضَ، ثم غوَّروا ما عدَاها مِن المِياهِ، وبَنَوا حَوضًا على القَليبِ الذِي نَزلُوا عَليه، فمُلِئَ ماءً(2).

وسارَ المشركونَ سِراعًا يريدونَ الماءَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "دَعُوهُمْ".

فَما شَرِبَ منه رجلُ يومئذٍ إلا قُتلَ، إلا حكيم بن حزامٍ، فإنَّه شربَ ولم يُقتلْ، ثم أسلمَ بعدَ ذلكَ(3).

وأنزلَ اللهُ تعالى في ليلةِ المعركةِ مطرًا، فكانَ على المُشركين مَطرًا شديدًا منعهم من التقدُّمِ، وكان على المُسلمينَ مطرًا خفيفًا طهَّرَهُم به، وأذهبَ عنهم رِجسَ الشيطانِ، ووطَّأَ به الأرْضَ، وصلَّبَ به الرَّملَ، وثبَّتَ الأقدَامَ، وربطَ به عَلى قلوبِهم(4).

وقالَ سعدُ بنُ معاذٍ يَا نَبيَّ اللهِ، ألا نَبنيَ لكَ عَرِيشًا (أي: خيمة) تَكُونُ فيهِ، ونُعِدُّ عِندَك رَكائِبَكَ، ثُم نَلقى عَدُوَنا، فإن أعزَّنا اللهَ وأَظْهَرَنا عَلى عَدُوِّنَا كان ذلكَ ما أحبَبنا، وإن كانتْ الأُخرى جَلستَ على رَكائِبِك، فلَحِقتَ بمنْ ورَاءَنَا، فقدْ تخلَّفَ عنكَ أقوامٌ يا نبيَّ اللهِ، مَا نحنُ بأشدَّ لكَ حبًّا مِنهم، ولو ظَنوا أنَّكَ تَلقَى حَربًا ما تخلَّفوا عنك، يَمنَعُكَ اللهُ بِهم، يُناصِحُونَك ويجَاهِدُون مَعَك.

فأثْنى عليه رسولُ اللهِ ﷺ خَيرًا، ودعَا له بخيرٍ، ثم بُني لرسولِ اللهِ ﷺ عريشٌ، فكان فيه(5).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/620).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (1/620)، وزاد المعاد (3/157).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (1/622)، وزاد المعاد (1/156).

(4) انظر: سيرة ابن هشام (1/619–620)، وزاد المعاد (3/157).

(5) انظر: سيرة ابن هشام (1/620–621).



ومَشَى النبي ﷺ في مَوضعِ المَعركةِ، وجعل يُشيرُ، ويقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ»، فَمَا أَخْطَئُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1).

ولمَّا اطمَأَنَّت قريشٌ بعثوا عُميرَ بنَ وهبٍ الجُمحيَّ، فقالوا: قدِّرْ لنا عَددَ أصحابِ محمدٍ، فذهبَ بفرسِه حولَ العسكرِ، ثُم رجعَ إليهم، فقَال: ثلاثُ مَائةِ رَجلٍ، يَزيدُونَ قَليلًا أو يَنقُصُونَ، ولَكنْ أَمْهلوني حَتى أنظرَ أللقومِ كَمينٌ، أو مَدَدٌ؟

فَذهبَ في الوَادِي حَتى أَبْعدَ، فلمْ يرَ شَيئا، فرجعَ إليهم، فَقَال: ما وَجَدتُ شَيئًا، ولكِني قَد رَأيتُ، يَا معشرَ قريشٍ، البَلايا (البلايا: أي الدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت، وكان بعض العرب ممن يقر بالبعث يقول: إن صاحبها يحشر عليها، ولربما كان المراد بالبلايا جمع بليَّة من البلاء) تَحمِلُ المَنَايَا (الموت)، نَواضِحُ يَثرب (نواضح: جمع ناضح، وهي الإبل التي يستقى عليها الماء) تحملُ الموتَ الناقع (الناقع: أي البالغ في الإفناء)، قومٌ ليسَ مَعهم مَنَعَةٌ ولا مَلْجأٌ إلا سُيوفُهم، وَاللهِ مَا أَرَى أَنْ يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَقْتُلَ رَجُلًا مِنْكُمْ، فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ أَعْدَادَهُمْ، فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ؟! فَرَوْا رَأْيَكُمْ.

فلمَّا سَمعَ حَكيمُ بنُ حزامٍ ذَلكَ أَتى عُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا الوليدِ، إِنَّكَ كَبيرُ قريشٍ وَسيدُها، والمُطاعُ فِيها، هل لك إلى أنْ لا تَزالَ تُذْكَرُ فيها بخيرٍ إلى آخرِ الدهرِ؟

قال: وما ذَاكَ يا حَكيمُ؟

قال: تَرْجِعُ بالناسِ، وتحملُ أَمْرَ حَليفكَ عَمرِو بنِ الحَضْرميِّ (الذي قُتل في سرية نخلة).

قال: قد فَعلتُ، أنتَ ضامنٌ عليَّ بذلك، إنما هو حَليفي، فَعَليَّ عَقْلُهُ (عقله: أي ديته) ومَا أُصيبَ مِن مَالِه، فأتِ ابنَ الحَنظليةِ (ابن الحنظلية: أي أبا جهل بن هشام، والحنظلية هي أمه)، فإني لا أَخشَى أنْ يَشْجُرأمرَ الناسِ غيرُهُ. (يشجر: أي يخالف ويخاصم)

---

(1) صحيح: رواه مسلم (2873)، عن عمر.







ثمَّ قامَ عُتبةُ بنُ ربيعةَ خَطيبًا فحثَّ الناسَ على الرُّجوعِ.

ثُمَّ انطلقَ حَكيمُ بنُ حزامٍ حتى أتَى أبا جهلٍ، فَوجَدهُ يُهَيئُ دِرْعًا لهُ، فذَكَرَ لهُ مَا أرسلَهُ به عُتبةُ.

فقالَ أَبُو جهلٍ: انْتفخَ واللهِ سَحْرُهُ (كناية عن الجُبن) حينَ رأى محمَّدًا وأصحابَه، كلَّا واللهِ لا نرجعُ حتَّى يحكمَ اللهُ بيننا وبينَ محمدٍ.

فلمَّا بلغَ عُتبةَ قولُ أَبي جهلٍ عَنْهُ، قال: سَيعْلمُ مُصَفِّرُ اسْتِهِ(1) مَنِ انْتَفَخَ سَحْرُهُ، أَنا أَمْ هُوَ؟

ثمَّ بعثَ أبُو جَهلٍ إلى عَامرِ بنِ الحَضرميِّ، فقال: هذا حَليفك (يريد عتبة) يُرِيدُ أنْ يَرجِعَ بالناسِ، فقُمْ فَحُثَّ قُريشًا على قتالِ محمدٍ وصَحْبِه.

فقام عَامرٌ، فَصرخَ: وَا عَمْرَاه، وَا عَمْرَاه. (هذا أسلوب ندب، يريد هنا التفجع على عمرو بن الحضرمي المقتول في سرية نخلة)

فاجتَمعُوا على ما هُم عليه من الشرِّ، وأَفْسدَ أبُو جَهلٍ على الناسِ الرَّأيَ الذِي دَعاهُم إليهِ عُتْبةُ(2).

وارْتَحلتْ قريشٌ حينَ أصْبحَتْ، فَأقبلتْ نَحوَ بَدرٍ، فلما رآها رَسولُ اللهِ ﷺ آتيةً نحوَ الوادِي قَالَ: «اللهم هَذِه قُريشٌ قدْ أقْبلتْ بخُيلائِهَا (أي: بكبرها) وفخْرِها، تُحادُّك وتُكذِّبُ رَسولَكَ، اللهم فَنصرَك الذي وعدْتَني، اللهم أَحِنْهُمْ الغَدَاةَ. (أي: اهلكم هذا الصباح).

وأمرَ رَسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه أنْ لا يَحمِلُوا حتى يَأمرَهم، وقالَ: "إنِ اكْتَنَفَكُمْ الْقَوْمُ، فَانْضَحُوهُمْ عَنْكُمْ بِالنَّبْلِ".

---

(1) جاء في لسان العرب 256/8: أنَّه؛ رماه بالأبنة، وأنه يزعفر استه، ويقال: هي كلمة تقال للمتنعم المترف الذي لم تحنكه التجارب والشدائد ، وقيل : أراد يا مضرط نفسه من الصفير ، وهو الصوت بالفم والشفتين كأنه قال : يا ضراط ، نسبه إلى الجبن والخور.

(2) انظر: سيرة ابن هشام (622/1–623)، وزاد المعاد (160/3).



وكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ في العَريشِ، مَعهُ أبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ(1).

فخرجَ الأسودُ بنُ عبدِ الأسدِ، وكانَ رجلا شَرسًا سَيِّئَ الخُلُقِ، فقالَ: أُعَاهدُ اللهَ لأَشربنَّ مِن حوضِهِم، أو لأَهْدِمَنَّه، أَو لأَمُوتنَّ دُونَه، فَخرجَ إليه حَمزةُ بنُ عبدِ المُطلبِ، فلمَّا التقيا ضَربَهُ حمزةُ فأطارَ نصفَ سَاقِهِ، وهو دونَ الحوضِ، فوقعَ على ظهرِهِ تَشْخُبُ رِجْلُهُ دَمًا نَحوَ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ حَبَا إِلَى الْحَوْضِ حَتَّى اقْتَحَمَ فِيهِ، يُرِيدُ أَنْ يُبِرَّ يَمِينَهُ، وَاتَّبَعَهُ حَمْزَةُ، فَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ.

ثمَّ خَرجَ بَعدَه عُتبةُ بنُ رَبيعةَ، بينَ أخيهِ شَيْبَةَ بنِ رَبيعةَ، وابنِه الوليدِ بنِ عُتبةَ، حَتى إذا فَصَلَ من الصف دعا إلى المُبَارَزةِ، فخرجَ إليه ثلاثةُ فتيةٍ منَ الأنصارِ: عوفٌ، ومعوِّذٌ، ابنا الحَارثِ(2)، وعَبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ، فقالُوا: مَنْ أنتم؟

فَقالوا: رهطٌ منَ الأنْصارِ.

قالوا: أَكْفَاءٌ كِرامٌ، وإنما نريدُ بَني عَمِّنَا.

ثم نادَى أَحَدُهُمْ: يا محمدُ، أَخْرِجْ إلينَا أَكْفَاءَنا مِن قومِنا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: " قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الْحَارِثِ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عَلِيُّ".

وَكَانَ عُبيدَةُ أَسَنَّهما، فَلَمَّا قَامُوا وَدَنَوْا مِنْهُمْ.

قَالُوا: مَنْ أَنْتُمْ؟

قَالَ عُبَيْدَةُ: عُبَيْدَةُ، وَقَالَ حَمْزَةُ: حَمْزَةُ، وَقَالَ عَلِيٌّ: عَلِيٌّ.

قَالُوا: نَعَمْ، أَكْفَاءٌ كِرَامٌ.

فبَارَزَ عُبَيدَةُ عُتْبَةَ بنَ رَبيعَةَ، وبَارَزَ حَمزةُ شَيبةَ بنَ رَبيعةَ، وبارَزَ عَليٌّ الوليدَ بنَ عُتبَةَ.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (621/1، 625–626).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (625/1).



فأمَّا حَمزةُ وعليٌّ فقَتَلَا شَيبَةَ والوليدَ، واختلفَ عبيدةُ وعتبةُ بينَهما ضَربتينِ، كلاهُما ضربَ صَاحبَهُ ضَرْبَةً لم يَقُم مَعَها، وَكرَّ حَمزةُ وعَليٌّ بأسيَافِهِما على عُتبةَ فقَتَلاه، واحتَمَلا عُبَيدةَ إلى مُعسْكَرِ المُسلمينَ، وقد قُطِعتْ رجلُه فلمْ يَزلْ جريحًا حتى مَاتَ(1).

واسْتَفْتَحَ أبو جَهلٍ في ذلكَ اليومِ، فقالَ: اللهم أَقْطَعُنَا للرَّحمِ، وآتانَا بِما لا نَعْرِفُ، فَأَحِنْهُ الغَداةَ، اللهم أَيُّنا كَانَ أحَبَّ إليكَ، وأَرْضَى عِندَك، فانْصُرْهُ اليومَ، فَأنزلَ اللّهُ: " إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ"[الأنفال: 19].

ثم تَزاحَفَ الفَريقانِ، ودَنا بَعضُهم مِن بعضٍ، وبينَمَا رَسولُ اللهِ ﷺ يُعدِّلُ صفوفَ أَصحابِه بِرُمحٍ في يدِه، طَعَنَ في بطنِ سَوَّادِ بْنِ غَزِيَّةَ بالرُّمحِ؛ لأنَّهُ تَقَدَّمَ عنِ الصفِّ، وقَالَ: «اسْتَوِ يَا سَوَّادُ».

فقال سَوَّادٌ: يا رسولَ اللهِ، أوجعتَني، وقدْ بَعثَكَ اللهُ بالحقِّ والعَدلِ.

فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: "فَأَقِدْني" (أي اقتص لي من نفسك).

فكشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن بطنِه، وقالَ: «اسْتقِدْ».

فاعْتَنَقَهُ، فقبَّلَ بَطنَه.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا حَمَلَكَ عَلى هَذَا يَا سَوَّادُ؟».

قَالَ: يا رَسولَ اللهِ، حَضَرَ ما تَرَى، فأردْتُ أنْ يَكُونَ آخرُ العَهدِ بِك أنْ يَمَسَّ جِلدِي جِلدَكَ.

فدَعَا له رَسولُ اللهِ ﷺ بخيرٍ، ثمَّ رَجعَ إلى العَريشِ هو وأبو بَكرٍ وكان سَعدُ بنُ معاذٍ في قومٍ مِنَ الأَنْصارِ على بَابِ العَريشِ يَحْرِسُونَ رَسولَ اللهِ ﷺ.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/625)، وزاد المعاد (1/160).

ثم حَمِيَ الوَطِيسُ (الوطيس: أي الفرن، وهو كناية عن شدة الأمر، واضطرام الحرب)، **واسْتدَارتْ رَحى الحَربِ، واشتدَّ القتالُ، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَستَغيثُ باللهِ رافِعًا صَوتَهُ: "اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ".**

فَمَا زَالَ يَسْتَغيثُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ.

فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ.

فأنزل الله تعالى: "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ"[الأنفال: 9]، **فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ(1).**

فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: "أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ، هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعَنَانِ فَرَسٍ يَقُودُهُ، عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ" (أي: الغبار).

ودَعَا المُسلِمُونَ ربَّهُمْ، واسْتَغاثُوهُ، وأخْلصُوا لَه، وتَضرَّعُوا إليهِ، فأَوْحَى اللهُ إلى مَلائِكَتِهِ: "إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ"[الأنفال: 12].

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى النَّاسِ، فحَرَّضَهُم عَلى القِتَالِ، وقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يُقَاتِلُهُمْ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ".

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (2915)، ومسلم (1763)، واللفظ له، عن عمر بن الخطاب.



ولمَّا دَنا العَدُوُّ وتَواجَهَ الفَريقَانِ، قامَ رَسولُ اللهِ ﷺ في النَّاسِ، فوعَظَهُم، وذكَّرَهُم بِمَا لَهُمْ في الصَّبرِ والثباتِ مِنَ النَّصرِ العَاجلِ، وثوابِ اللهِ الآجِلِ، وأخْبَرَهُم أنَّ اللهَ قدْ أوجبَ الجنةَ لِمَنِ اسْتُشْهِدَ في سَبِيلِهِ.

وقَالَ ﷺ: "قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ".

فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟

قَالَ: "نَعَمْ".

قَالَ: بَخٍ بَخٍ. (بخ بخ: كلمة تطلق لتفخيم الأمر، وتعظيمه في الخير).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟".

قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا.

قَالَ: "فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا".

فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ (أي: جُعبة من جلدٍ يوضعُ فيها النبل)، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ.

فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى قُتِلَ(1).

وَخَرجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي دِرْعِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: " سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ"[القمر: 45 – 46].

ثُمَّ أَخذ ﷺ مِلْءَ كَفِّهِ مِنَ الْحَصْبَاءِ، فَرَمَى بِهَا وُجُوهَ الْعَدُوِّ، فَلَمْ تَتْرُكْ رَجُلًا مِنْهُمْ إِلَّا مَلَأَتْ عَيْنَيْهِ، وَشُغِلُوا بِالتُّرَابِ فِي أَعْيُنِهِمْ، وَشُغِلَ الْمُسْلِمُونَ بِقَتْلِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى فِي شَأْنِ هَذِهِ الرَّمْيَةِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: " فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[الأنفال: 17]، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «شُدُّوا»، فَهُزِمَ الْمُشْرِكُونَ(3).

---

(1) صحيح: رواه مسلم (1901)، عن أنس بن مالك.

(2) صحيح: رواه البخاري (2915)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.



(3) صحيح: رواه مسلم (1901)، عن أنس بن مالك.

المَلائِكَةُ تُقاتلُ مَعَ المُسلِمينَ:

بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ (أقدم حيزوم: كلمة زجر للفرس، وحيزوم: اسمُ فرس الملك، وهو منادى بحذف حرف النداء، أي يا حيزوم)، **فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ** (أي: صار موضع الضربة كله أخضر) **فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ"**(1).

إبْليسُ يَفِرُّ مِن أرضِ المَعركةِ:

كان قد سبق أن ظَهرَ إبليسُ للمُشركينَ في صُورةِ سُرَاقةَ بنِ مالكٍ المُدْلَجيِّ، فلمَّا اشْتدَّ القتالَ، ورأى جندَ اللهِ قد نزلتْ مِن السماءِ، فَرَّ ونَكَصَ على عقِبَيهِ، فقالوا: إلى أينَ يا سُرَاقَةُ؟ ألمْ تكنْ قُلتَ: إنكَ جَارٌ لنَا لا تُفارِقُنَا؟

فقالَ كمَا أَخبرَ اللهُ عَنهُ: "إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[الأنفال: 48](2).

مَقْتلُ عَدُوِّ اللهِ أَبي جَهْلٍ:

ويحكي لنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عن مقتل أبي جهل فيقول: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ – حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا (أي: أي أشد، وأقوى منهما) **فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟**

قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟

---

(1) صحيح: رواه مسلم (1763)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(2) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (305)، وزاد المعاد (3/163).



قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ (أي: شخصي شخصه) حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ (أي: لم يمض زمن طويل) أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: "أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟"

قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ.

فَقَالَ: "هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟"

قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ. (فنظر في السيفين: ليرى مقدار عمق دخولهما في جسم المقتول، وأيهما أقوى تأثيرا في إزهاق روحه).

فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ»، وَكَانَا مُعَاذَ ابْنَ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ(1).

ولما انْتَهَتِ الحَربُ ووَلَّى المُشْرِكُونَ مُنْهَزِمِينَ، أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَثَبَّتَ مِنْ أَمْرِ مَقْتَلِ أَبِي جَهْلٍ، فَقَالَ النبي ﷺ: "مَنْ يَنظُرُ لَنَا مَا صَنَعَ أبو جَهْلٍ؟".

فانْطلقَ ابنُ مَسْعودٍ فَوجدَهُ قَدْ ضربَهُ ابنَا عَفْراءَ حَتَّى سَكَنَ، وأَخذَ بِلِحْيَتِهِ، ووَضعَ رِجلَهُ على عُنقِه، فَقالَ: أَنْتَ أَبُو جَهْلٍ؟

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: لِمَنِ الدَّائرةُ اليَومَ؟

فَقَالَ ابْنُ مَسعُودٍ: للهِ ولِرَسُولِهِ، وهَلْ أَخْزَاكَ اللهُ يَا عَدُوَّ اللهِ؟

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وهلْ فَوقَ رَجلٍ قَتَلَهُ قَومُهُ؟ (يريد التحقير لفعلهم)، لَقَدِ ارْتَقَيتَ مُرْتَقًى صَعْبًا يَا رُوَيْعِيَ الغَنَمِ.

فَقتَلَهُ عَبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ، ثُمَّ أَتى النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ: قَتلتُهُ.

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (3141)، ومسلم (1752).

فَقَالَ رسول الله ﷺ: «آللهِ الذي لَا إله إِلَّا هُوَ؟» فردَّدَها ثلاثًا، ثُمَّ قَالَ: "اللهُ أكبرُ، الحَمْدُ للهِ الذي صَدَقَ وَعْدَهُ، ونَصرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، انْطَلِقْ أَرِنِيهِ".

فانْطَلَقُوا، فَأَرَاهُ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ إياه فقَالَ: "هَذا فِرْعَونُ هَذِهِ الأُمَّةِ"(1).

وَلمَّا انْقَضَتِ الحَرْبُ أَقْبلَ رَسولُ اللهِ ﷺ حتَّى وقفَ على قَتْلَى الكُفَّارِ، فقَالَ: "بِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ، كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقَنِي النَّاسُ، وَخذلتُمُونِي ونَصرَنِي النَّاسُ، وأَخْرَجْتُمُونِي وآوَاني النَّاسُ".

ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا إِلى قَلِيبِ بَدْرٍ (بئر قديم ببدر)، فَطُرِحُوا فِيهِ(2).

وقدْ قَتَلَ المُسْلِمُونَ مِنَ الكفارِ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ(3).

يقول أبو طلحة: أَمَرَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يومَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ (أي: البئر التي بنيت جدرانها بالحجارة) خَبِيثٍ مُخْبِثٍ (أي: هو خبيث غير طيب، وزاد خبثه بإلقاء هؤلاء الخبيثين فيه)، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ (أي: الرسول إذا غلبهم وانتصر عليهم) أَقَامَ بِالعَرْصَةِ (هي البقعة الواسعة بغير بناء تكون لدى من غلب) ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ (أي طرف البئر، والركي من الركية وهي الدلو الذي يُحمل فيه الماء من البئر فسمي البئر عليها)، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، (أي: لو أنَّكم أطعتم الله ورسوله) فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/635–636)، وزاد المعاد (3/165–166).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (1/639)، وزاد المعاد (3/167–168).

(3) صحيح: رواه مسلم (1763)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.



فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا".

فَقَدْ أَحْيَاهُمُ اللهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا(1).

ثُمَّ أَقبلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَافِلًا إِلى المَدِينةِ مؤيَّدًا مَنْصُورًا، ودخَلَ المَدينةَ وقدْ خَافَهُ كلُّ عَدُوٍّ لهُ بالمَدينةِ وحَولَهَا، فأسلمَ بشرٌ كثيرٌ مِن أَهلِ المَدِينةِ، وحينئذٍ دخلَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ المُنَافِقُ وأَصْحابُه في الإِسلامِ ظَاهِرًا(2).

وقد اسْتُشْهِدَ مِنَ المُسْلِمينَ يَومَئذٍ أربعةَ عَشَرَ رَجُلًا: سِتَّةٌ مِنَ المُهَاجِرينَ، وسِتَّةٌ مِنَ الخَزرجِ، واثْنانِ مِنَ الأَوْسِ(3).

لمَّا سَمِعَتْ قُرَيشٌ نبَأَ الهَزِيمَةِ لجَيشِهَا نَاحَتْ عَلى قَتْلَاهُمْ، ثُمَّ قَالُوا: لَا تَفْعَلُوا فَيَبْلُغَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، فَيَشْمَتُوا بِكُمْ، ولا تَستَعْجِلُوا في فَكِّ أَسْرَاكُمْ حَتَّى لَا يَزِيدَ محمدٌ في الفِدْيةِ.

---

(1) صحيح: رواه البخاري (3976)، واللفظ له، ومسلم (2873، 2874).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (643/1)، وزاد المعاد (168/3).

(3) انظر: زاد المعاد (169/3).





وفي هذِهِ السَّنَةِ: فُرِضَتْ زكاةُ الفطرِ، وَفُرِضتِ الزكاةُ ذاتُ النُّصُبِ(1):

زكاة الفطر قبل العيد بيومين(2)، فخطب النبي ﷺ قبل الفطر بيوم في الناس يعلِّمهم زكاة الفطر(3).

وقدْ فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ(4).

وَفُرِضتِ الزكاةُ ذاتُ النُّصُبِ، وهي زكاةُ الأموالِ بعدَ ظهورِ القوةِ، والغِنى، وهذِا هُوَ النِّظامُ الوحيدُ الذي به يأكلُ الفقراءُ والمساكينُ من إخوانِهم الأَغنياءِ بلا ضررٍ على هؤلاءِ(5).

وَفي مَرْجِعِهِمْ مِن بَدرٍ تُوفِّيتْ رُقيةُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ(6).

وفي رَمَضانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَتَل عُمَيرُ بنُ عَدِيٍّ رضي الله عنهَ عصْمَاءَ بنت مَروانَ اليَهودِيةَ بِسببِ أذاهَا للنبي ﷺ وللمُسْلِمينَ(7):

فقد كانت تؤذِي النَّبيَّ، وتُحرِّضُ عليه، وتقولُ شعرًا تَعيبُ فيه الإسلامَ وأهلَه، فجاءَها عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ في جوفِ الليلِ حتَّى دَخلَ عليهَا بيتَهَا، وَحَوْلَهَا نَفَرٌ مِنْ وَلَدِهَا نِيَامٌ مِنْهُمْ مَنْ تُرْضِعُهُ فِي صَدْرِهَا، فَجَسَّهَا بِيَدِهِ، وَكَانَ ضَرِيرَ الْبَصَرِ، وَنَحَّى الصَّبِيَّ عَنْهَا وَوَضَعَ سَيْفَهُ عَلَى صَدْرِهَا حَتَّى أَنْفَذَهُ مِنْ ظَهْرِهَا، ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَقَتَلْتَ ابْنَةَ مَرْوَانَ؟"

---

(1) تاريخ الطبري (2/18)، البداية (3/380).

(2) انظر: السيرة النبوية، لابن حبان (1/209)، وأُسْد الغابة، لابن الجزري (1/29).

(3) انظر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، للدِّيار بكري (1/407).

(4) متفق عليه: رواه البخاري (1503)، ومسلم (984)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(5) انظر: أعلام النبوة، للماوردي، صـ (242)، ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين، صـ (97).

(6) تاريخ الطبري (2/42)، البداية (3/380).

(7) انظر: طبقات ابن سعد (2/36)، البداية (3/347).

قَالَ: نَعَمْ، فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ؟

فَقَالَ النبي ﷺ: "لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ" (لا ينتطح فيه عنزان: أي أن شأنها هين، لا يكون فيه طلب ثأر، ولا اختلاف)

وَسَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَيرًا البَصِيرَ(1).

وفي هذهِ السَّنةِ: خرجَ رَسولُ اللهِ ﷺ إلى المُصَلَّى فصلَّى بِهم صَلاةَ العِيدِ، وكانَ ذلكَ أوَّلَ خَرْجةٍ خَرجَهَا بالناسِ إلى المُصلَّى لصَلاةِ العِيدِ(2).

وفي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَتَلَ سَالمُ بنُ عُميرٍ رضي الله عنه أبَا عَفَكٍ اليَهوديَّ لتَحريضِهِ على رسولِ اللهِ ﷺ(3).

وقد كانَ أَبُو عَفَكٍ شَيخًا كَبيرًا قد بلغَ عِشرينَ ومائةَ سنةٍ وكانَ يهوديًّا، وكانَ يُحرِّضُ على رسولِ اللهِ ﷺ ويقولُ الشِّعرَ في ذمِّ الإسلامِ وأهلِه، فَقَالَ سالمُ بنُ عُمَيرٍ رضي الله عنه عَليَّ نَذرٌ أنْ أَقْتلَ أَبا عَفَكٍ، أَو أَموتَ دُونَه.

ثُمَّ عَلِمَ سَالمُ بنُ عُمَيرٍ أنَّ أَبَا عَفَكٍ نائمٌ بالفِنَاء، فأقبلَ إِليهِ، فوضعَ السيفَ على كَبِدِه، ثم اعْتمَدَ عليهِ حتَّى خَشَّ في الفِراشِ، وَصَاحَ عَدُّو اللهِ، فَثابَ إليهِ ناسٌ ممَّنْ همْ على قولِه، فأدْخَلُوه مَنزِلَهُ، وَقَبرُوْهُ(4).

وفي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: غزا رَسولُ اللهِ ﷺ بَني سُلَيمٍ حَتَّى بَلَغَ الكُدْرَ(5):

لم يَقُمِ النبيُّ ﷺ كثيرًا في المدينةِ بعد غزوةِ بدرٍ، بلْ نهضَ ﷺ بنفسِه الكريمةِ إلى غزوِ بني سُلَيمٍ، واستعمَل على المَدينةِ سِبَاعَ بنَ عُرْفُطَةَ، وَقيلَ: ابنَ أمِّ مَكْتُومٍ، فَبلغَ ماءً يقالُ لهُ: الكُدْرِ، فأقامَ عليه ثلاثَ ليالٍ، ثم رجعَ إلى المَدينةِ، وَلَمْ يَلْقَ حَرْبًا(6).

---

(1) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (2/27-28).

(2) تاريخ الطبري (2/19)، الكامل (2/13).

(3) سبل الهدى (6/38).

(4) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (2/28).

(5) تاريخ الطبري (2/50)، البداية (3/376)، الكامل (2/35)، ابن هشام (3/135).

(6) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (2/31)، وسيرة ابن هشام (2/44).

وقد كان من أسرى بدر أَبو العَاصِ بنُ الرَّبيعِ زَينَبُ رضيَ اللهُ عنْهَا بِنتُ رَسولِ اللهِ ﷺ، وكانت مقيمة في قريش مع زوجها وهو على شركه.

فلمَّا بَعثَ أهلُ مَكةَ في فِداءِ أَسْرَاهُم، بَعثتْ زَينبُ بِنتُ رَسولِ اللهِ ﷺ في فداءِ أَبي العاصِ بنِ الرَّبيع بِمالٍ، وبَعثَتْ فيهِ بقِلادةٍ لها كانتْ خَدِيجَةُ رضي الله عنها أعْطَتْهَا لهَا حينَ تَزَوَّجَتْ، فلمَّا رآهَا رسولُ الله ﷺ رَقَّ لها رِقَّةً شَدِيدةً، وَقالَ: "إنْ رَأيتُمْ أنْ تُطلقُوا لهَا أَسِيرَهَا، وتَردُّوا عَليهَا مَالَها، فَافْعَلُوا".

فقالُوا: نَعَم يَا رسولَ اللهِ.

فَأطلقُوه وردُّوا عَليها الذِي لهَا، فلمَّا رَجعَ أبو العَاصِ إِلى مَكَّةَ، بَعثَ رَسولُ الله ﷺ زَيدَ بنَ حَارثةَ ورَجلا مِنَ الأنْصارِ مكانَه فَقَالَ: "كُونَا بِبطنِ يأجَجَ (مكان يبعد عن مكة أربعة عشر كيلو متر تقريبا) حَتى تَمرَّ بكُما زينبُ فتَصْحَباها، فَتَأتِيانِّي بِها".

فلمَّا قدِمَ أبو العاصِ مَكةَ أمَرَها باللُّحُوقِ بأَبِيها فخرجَتْ، وكانَ هذَا بمقتَضَى ما كان شرطَ أبو العَاصِ للنبيِّ ﷺ.

فلمَّا فَرَغتْ زَيْنَبُ رضي الله عنها مِن جَهَازِهَا قَدَّمَ لها كِنَانةُ بنُ الرَّبيعِ أخُو زوجِها بعيرا، فركبته، ثمَّ خرجَ بها نَهارًا يقودُ بِها، وَهي في هودَجٍ.

وتحدَّث بذلكَ رجالُ من قريشٍ، فخرجُوا في طلبِها حَتى أدْركُوها بذِي طوىً، فَرَوَّعَهَا هَبَّارُ بنُ الأسودِ بالرُّمحِ وَهي في هَودَجِها، وكانتْ حَامِلًا، فَأسقطَتْ جَنِينَهَا، وبرك كِنانةُ، ونثرَ كِنانَته، ثمَّ قالَ: واللهِ لا يدْنو مِني رَجلٌ إلا وَضَعتُ فيه سهمًا، فانْصرف الناسُ عَنه.

وأتى أَبُو سُفيانَ في جُلَّةٍ مِن قريشٍ، فقال: أيُّها الرَّجُلُ، كُفَّ عنَّا نَبْلَك حَتى نكلِّمَكَ، فكَفَّ.

فقالَ أبو سُفْيانَ: إنَّكَ لم تُصِبْ، خَرجْتَ بالمرأةِ على رؤوسِ الناسِ عَلانِيةً، وقدْ عَرَفتَ مُصِيبَتنا ونَكْبَتنا، فَيظنُّ الناسُ أنَّ ذلكَ عَنْ ذلٍّ أصَابَنا عَنْ مُصِيبَتِنا التي كانتْ،



وأنَّ ذلك منَّا ضَعفٌ ووَهنٌ، ولعَمْري ما لنَا بحبْسِها عنْ أبيها من حاجةٍ، وما لنا في ذلك مِن ثأرٍ، ولكنِ ارجعْ بالمرأةِ، حَتى إذا هَدَأتِ الأصواتُ، وتحدَّث الناسُ أنْ قد رَدَدْنَاها، فَسُلَّهَا سرًّا، وأَلحقْها بأبيها.

ففَعلَ، فأقامتْ لياليَ، ثُمَّ خَرجَ بِها ليلًا حتَّى أسلَمَها إلى زيدِ بن حَارثةَ، وصاحبِهِ، فقدِمَا بِها على رَسولِ اللهِ ﷺ(1).

وخطب علي رضي الله عنه فَاطمةَ رضي الله عنْها بعدَ سنةٍ من الهِجرةِ، وابتَنى بها بَعدَ ذلك بسنةٍ أخْرَى(2).

وهيَ أولُ زوجةٍ تزوَّجها، ولم يتزوَّجْ عَليها حَتى تُوُفِّيت(3).

إسلام عُمير بن وهب الجمحي رضي الله عنه(4):

كان قد جَلسَ عُميرُ بنُ وَهْبٍ الجُمَحيُّ مَعَ صَفْوانَ بنِ أُميَّةَ في الحِجْرِ بعدِ غزوةِ بدرٍ بيسيرٍ، وكان عُميرُ بنُ وهْبٍ شيطانا من شياطين قريش، وممَّن كانَ يؤذي رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابَه، ويَلقَونَ منه عَناءً وهو بمكَّةَ، وكان ابنُه وَهبُ بن عُميرٍ في أسارى بدرٍ.

فذكرَ أصحابَ القَليبِ ومَا أصابَهم، فقال صفوانُ: واللهِ ليسَ في العَيشِ خيرٌ بعدَهُم.

قال له عميرٌ: صَدقتَ واللهِ، أمَا واللهِ لولَا دَينٌ عليَّ ليسَ له عندِي قَضاءٌ وعيالٌ أخْشَى عَليهمُ الضَّيْعةَ بعدِي، لركِبتُ إلى محمدٍ حتى أقتُلَه، فإنَّ لي قِبَلَهُم عِلَّةً: ابني أسيرٌ في أيديهم.

فاغتنمَ صفوانُ هذِه، وقال: عليَّ دَينُك، أنَا أقضِيه عنكَ، وعِيالُك مع عِيالي أُوَاسيهِم ما بَقَوا.

فقال له عميرٌ: فاكتُمْ شأني وشَأنَك.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/653-655).

(2) انظر: البدء والتاريخ، للمطهر المقدسي (5/20)، والبداية والنهاية (5/310).

(3) انظر: تاريخ الطبري (5/153).

(4) تاريخ الطبري (2/44: 46).



قالَ: أَفعلُ.

ثمَّ أمَرَ عُميرٌ بِسَيفِه، فشُحِذَ له وَسُمَّ، ثم انطلق حتَّى قدِمَ المدينةَ، فبينا عمرُ بنُ الخطَّابِ في نفرٍ من المسلمينَ يتحدثونَ عن يومِ بدرٍ، ويَذكرونَ ما أكرمَهُم اللهُ بهِ، وما أَرَاهُم مِن عَدوِّهم، إذْ نظرَ عُمرُ إلى عُميرِ بنِ وهبٍ حينَ أناخَ على بَابِ المَسجدِ متوشِّحًا السيفَ.

فقَالَ: هذَا الكلبُ عَدوُّ الله عُميرُ بنُ وَهبٍ، واللهِ ما جاءَ إلا لشِرٍّ، وهوَ الذي حَرَّشَ بينَنا، وحَزرَنَا للقومِ يومَ بدرٍ.

ثم دخلَ عُمَرُ على رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: يا نَبي اللهِ، هذا عَدُوُّ اللهِ عُميرُ بنُ وهْبٍ قد جاءَ مُتوشِّحًا سَيفَهُ.

قَالَ: "فأدْخِلْهُ عَليَّ".

فأقبلَ عمرُ حتَّى أَخذَ بحِمَالَةِ سَيفِهِ في عُنُقِه فلبَّبَه بِهَا، وقالَ لرجالٍ مِمَّنْ كانوا معهُ منَ الأنصارِ: ادْخُلُوا على رسولِ اللهِ ﷺ فاجْلِسُوا عندَه، واحذَرُوا عَليه مِن هَذا الخَبيثِ، فإنَّه غيرُ مَأمونٍ، ثم دَخلَ به على رَسولِ اللهِ.

فلمَّا رآه رسولُ اللهِ ﷺ وعُمرُ آخذٌ بحِمَالةِ سيفِهِ في عُنقِهِ، قالَ: "أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ، ادْنُ يَا عُمَيرُ".

فدَنا، ثم قالَ: انعمُوا صباحًا، وكانتْ تحيةَ أهلِ الجاهليةِ بينَهم.

فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: "قد أكْرمَنا اللهُ بتحيةٍ خيرٍ مِن تحيَّتِكَ يَا عُميرُ، بالسَّلامِ تَحِيَّةِ أَهلِ الجَنَّةِ".

فقالَ: أمَا واللهِ يا محمدُ إنْ كُنتُ بها لحَدِيث عَهدٍ.

قالَ: "فمَا جَاءَ بِكَ يَا عُميرُ؟"

قالَ: جِئتُ لهذَا الأَسيرِ الذِي في أيدِيكم فَأَحْسِنُوا فيه.

قال: «فمَا بَالُ السَّيفِ في عُنُقِكَ؟"

قالَ: قبَّحَها اللهُ مِن سُيُوفٍ، وهَل أَغْنتْ عنَّا شيئًا؟

قالَ: "اصْدُقْني، مَا الذِي جِئتَ لَه؟"

قالَ: ما جِئتُ إلا لِذَلكَ.

قالَ: "بلْ قعدتَ أنتَ وصفوانُ بنُ أميَّةَ في الحِجر، فذكرتُما أصحابَ القليبِ مِن قريشٍ، ثم قلتَ: لولا دَينٌ عليَّ وعيالٌ عندِي لخرجتُ حتى أقتلَ محمدًا، فتحمَّل لكَ صفوانُ بدَيْنِك وعيَالِك، على أنْ تقتُلَني لهُ، واللهُ حائلٌ بينَكَ وبينَ ذلك".

قال عميرٌ: أشهدَ أنَّكَ رَسولُ اللهِ، قدْ كنَّا يَا رسولَ الله نُكَذِّبُك بِما كُنتَ تأتِينا به مِن خَبرِ السماءِ، وما يَنزلُ عَليكَ مِن الوَحي، وهَذا أمرٌ لم يحضُرْه إلا أنَا وصَفوانُ، فو اللهِ إني لأَعلمُ مَا أتاكَ به إلا اللهُ، فالحَمدُ للهِ الذي هَدَاني للإسْلامِ، وساقَني هذا المَسَاقَ، ثمَّ شَهدَ شَهادةَ الحقِّ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "فقِّهُوا أخاكُمْ في دِينِه، وأَقرِئُوه القُرآنَ، وأَطلقُوا لَه أَسيرَه".

فَفعُلوا، ثم قَال: يَا رَسولَ اللهِ، إني كُنتُ جَاهِدًا على إطفاءِ نورِ اللهِ، شديدَ الأذَى لمَن كانَ على دينِ اللهِ وأنا أُحبُّ أنْ تأذنَ لي، فَآتِي مَكَّةَ، فأَدْعُوهم إِلى اللهِ تَعالى، وإِلى رسولِه وإِلى الإسلامِ، لعلَّ اللهَ يَهْدِيهِم، وإلا آذَيتُهم في دِينِهم كما كُنتُ أُوذِي أصحابَك في دِينهم؟

فَأذِنَ لهُ رَسولُ اللهِ ﷺ فلَحِقَ بمَكَّةَ.

وكانَ صَفوانُ بنُ أميَّةَ حينَ خَرَجَ عُمَيرُ بنُ وَهْبٍ، يقولُ: أبْشِروا بوقعةٍ تَأتيكُم الآنَ في أيامٍ، تُنْسِيكُم وَقعةَ بَدرٍ، وكانَ صَفوانُ يسألُ عَنهُ الرُّكْبَانَ، حتَّى قَدِمَ راكِبٌ فأَخْبرَه عَنْ إسلامِه، فَحَلَفَ أنْ لا يُكَلِّمَهُ أبدًا، ولا يَنْفَعَهُ بنفعٍ أبدًا.

فلمَّا قَدِمَ عُميرٌ مَكَّةَ، أقامَ بها يدعُو إلى الإسلامِ، ويُؤذِي مَنْ خَالَفَه أذىً شديدًا، فَأسْلَمَ على يدَيه نَاسٌ كَثيرٌ(1).

(1) انظر: سيرة ابن هشام (1/661-663).



وفي شوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: نَقَضَ يَهُودُ بَني قَيْنُقَاعَ العَهدَ فَحاصَرَهُم النَّبيُّ ﷺ وأَجلَاهُم عَنِ المَدِينةِ(1):

لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا".

قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا، لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا.

فأنزل الله تعالى: "قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ"[آل عمران: 12 – 13].

وِمِنْ نَمَاذِجِ ذَلِكَ: أنَّ شاسَ بنَ قَيسٍ –وكانَ شَيخًا قَد أسنَّ، عَظِيمَ الكفرِ شديدَ الضَّغْنِ على المسلمينَ، شديدَ الحَسدِ لهمْ– مرَّ على نفرٍ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ مِن الأَوسِ والخَزرجِ في مجلسٍ، فغَاظَه ما رَأى مِن أُلْفَتِهم وجمَاعَتِهم، وصلاحِ ذاتِ بَينَهم على الإسلامِ، بعد الذي كان بينَهم مِن العداوةِ في الجَاهليةِ، فقالَ: قَدِ اجْتَمَعَ مَلأُ بَني قَيْلَةَ (بنو قيلة: أي الأوس والخزرج، قبيلتي الأنصار، وقيلة: اسم أم لهم قديمة، وهي قَيلة بنت كاهل)، **لَا وَاللهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَؤُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ، فَأَمَرَ فَتًى شَابًّا مِنْ اليَهُودِ كَانَ مَعَهُمْ، فَقَالَ: اعْمِدْ إِلَيْهِمْ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، ثُمَّ اذْكُرْ يَوْمَ بُعَاث** (يوم بُعاث: كان يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان النصر فيه يومئذ للأوس على الخزرج)، **وَمَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنْ الْأَشْعَارِ**

(1) تاريخ الطبري (48/2)، الكامل (33/2)، البداية (4/4).

(2) حسن: رواه أبو داود (3001)، والنسائي في الكبرى (18629).



فَتكلَّمَ الأَوسُ والخَزْرَجُ عِندَ ذلكَ، وتنازَعُوا وتَفاخَرُوا، وَغَضبَ الفَرِيقانِ، وقالُوا: مَوعِدُكُم الظَّاهِرةُ (الظاهرة: أي الحرة، وهي موضع بالمدينة)، السِّلَاحَ السِّلَاحَ.

فَخَرجُوا إِليها، فبلغَ ذلكَ رسولَ اللهِ ﷺ فخَرجَ إِليهِم، وَمعه أصْحَابُه المُهاجرينَ حتى جاءَهم، فَقَال: «يَا مَعْشرَ المُسْلِمينَ، اللهَ اللهَ، أَبِدَعْوَى الجَاهليةِ وأنَا بَينَ أَظْهُرِكُمْ بَعدَ أنْ هَدَاكُمُ اللهُ للإِسْلامِ، وأَكْرَمَكُم به، وقَطعَ بِهِ عَنْكُمْ أمْرَ الجَاهِلِيةِ، واستَنْقذَكُم بِهِ منَ الكُفْرِ، وألَّفَ بِهِ بينَ قلوبِكُمْ»، فَعرَفَ القَومُ أنَّها نَزَغَةٌ مِنَ الشيطانِ، وكَيدٌ مِن عَدُوِّهم، فبَكَوا وعانقَ الرجالُ مِنَ الأَوسِ والخَزْرجِ بعضِهِم بَعضًا، ثم انْصرفُوا مع رسولِ اللهِ ﷺ مُطِيعِين، قدْ أَطْفَأَ اللهُ عنهم كيدَ عدوِّ اللهِ شَاسِ بنِ قَيسٍ.

وكانَ سَببَ جَلاءِ يهودِ بَني قَينُقَاعَ عَنِ المَدِينةِ أنَّ امْرأةً مِنَ المُسلِمينَ قَدِمَتْ سُوقَ بَني قَينُقَاعَ، فبَاعَتْ مَتاعًا لهَا، ثُمَّ جَلَسَتْ إِلى صَائغٍ يَهُوديٍّ بالسوقِ، فجعلَ بَنُو قَينُقَاعَ يحاوِلونَ كشفَ وَجهِها، فأبَتْ، فعَقدَ الصَّائغُ طَرْفَ ثَوبِها بِشيءٍ خَلْفَها، فلمَّا قامتِ انْكشفتْ سَوأَتُها، فَضَحِكُوا، فَصَاحَتْ.

فوثَبَ رَجلٌ مِنَ المُسلِمينَ على الصائغِ فقتَلَه، فَقتلتِ اليهودُ الرَّجلَ المُسلمَ، فاسْتصرخَ أهلُ المُسلمِ المُسلمينَ على اليهودِ، فغَضِبَ المُسْلمونَ، فوقعَ الشَّرُّ بينَهم وبَينَ بَني قَينُقَاعَ(1).

فكانَ هَذا أوَّلَ غدْرٍ منَ اليهودِ، وكانَ يهودُ بَني قَينُقاعَ حُلفاءَ لعبدِ اللهِ بنِ أُبَيِّ ابنِ سَلولٍ، وكانُوا أَشجعَ يهودٍ، وكانُوا صَاغَةً، وَتُجَّارًا(2).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (48/2).

(2) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (29/2).



فخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لحِصَارِهم يومَ السَّبتِ، وكانَ الذي حمَل لِواءَهُ يومئذٍ حَمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ وكانَ أبيضَ، واسْتخلفَ على المَدينةِ أبَا لُبَابةَ بنَ عبدِ المُنذرِ.

فَحَارَبَ بَنُو قَينُقاعَ وتحصَّنوا في حِصنِهم، فحاصَرَهُم رسولُ اللهِ ﷺ أَشدَّ الحِصارِ خمْسَ عَشرةَ ليلةً حَتى قَذفَ اللهُ في قُلوبِهم الرُّعْبَ، فَنزَلوا على حُكْمِ رسولِ اللهِ ﷺ أنَّ لرسولِ اللهِ ﷺ أَمْوالَهُم، وأنَّ لهُم النساءَ والذُّرِّيةَ، فأمَرَ بهم فكُتِّفُوا(1).

فَشفَعَ فِيهِم عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنِ سَلُولٍ، وأَلحَّ عَلَيهِ، فَأَطْلقهم لهُ، وهُمْ قَومُ عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ، وكانُوا سَبْعَمائةِ مُقاتلٍ(2).

قالَ عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ: يَا محمَّدُ أَحْسِنْ في مَواليَّ، فَأَعرضَ عَنهُ رسولُ اللهِ ﷺ فأدْخلَ يدَه في جَيبِ دِرعِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فقالَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ أَرْسِلْني، وغَضبَ رَسولُ اللهِ ﷺ حَتَّى رَأَوا لوجْهِهِ ظُلَلًا (كناية عن اشتداد الغضب) ثمَّ قَالَ: "وَيحَكَ! أَرْسِلْني".

قالَ: لا واللهِ لا أُرْسِلُكَ حَتَّى تُحْسِنَ فِي مَوَالِيَّ: أَرْبَعِمائَةِ حَاسِرٍ (أي لا درع له) وَثَلَاثِمِائَةِ دَارِعٍ، قَدْ مَنَعُونِي مِنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، (الأحمر والأسود: أي الفرس، والروم) تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إِنِّي وَاللهِ امْرُؤٌ أَخْشَى الدَّوَائِرَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "هُمْ لَكَ"(3).

وأمرَ بني قَينُقَاعَ أن يُجْلَوا مِنَ المَدِينةِ، وَلمْ يأْمُرْ بقَتْلِهِمْ، فَلحِقُوا بأَذْرُعَاتِ الشَّامِ.

وأخذَ رَسولُ اللهِ ﷺ سِلاحَهُم، ووَجدُوا في حِصْنِهم سِلاحًا كَثيرًا وآلةَ الصِّياغةِ، وقَسَّمَها خمْسةَ أخْماسٍ(4).

---

(1) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (2/28-29)، وسيرة ابن هشام (2/48).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/48-49)، وزاد المعاد (2/170).

(3) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (314)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (2/29)، وسيرة ابن هشام (2/48).

(4) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (2/29).




الفصل الخامس
السنة الثالثة من الهجرة






في المُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ الثالثة منَ الهجرة: وَقعتْ غَزوةُ نَجْدٍ عندَ ماءٍ يقالُ له: ذُو أَمَرّ(1):

لمَّا رجعَ رسولُ اللهِ ﷺ من غزوة السويق، وهي وقعت لما رجع أبو سفيان إلى مكة من غزوة بدر، فخرج في مائتي راكب، فنزل طرف العريض وبات ليلة واحدة في بني النضير عند سلام بن مشكم، فسقاه ونطق له من خبر الناس ثم أصبح في أصحابه وأمر بقطع أصوار من النخل وقتل رجلا من الأنصار وحليفا له، ثم كر راجعا ونذر به رسول الله ﷺ فخرج في طلبه والمسلمين فبلغ قرقرة الكدر، ففاته أبو سفيان والمشركون وألقوا شيئا كثيرا من أزوادهم من السويق فسميت غزوة السويق، وكانت في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة ثم رجع إلى المدينة وقد كان استخلف عليها أبا لبابة الأنصاري.

وعودا لغزوة نجد: فقد بلغ رسول الله ﷺ أنَّ جمعًا مِن غَطَفَانَ مِن بَني ثَعلبةَ بنِ مُحارِبٍ تَجمَّعُوا بذِي أَمَرٍّ يُريدُون حَربَهُ، وَأنْ يُصيبُوا مِن أطرافِ المَدينةِ، فحثَّ رسولُ اللهِ ﷺ المُسلمينَ على الخُروجِ، وخرجَ إليهم مِنَ المَدينةِ (2) نَحو نَجْدٍ، واستعملَ على المَدينةِ عُثمانَ بنَ عَفَّانَ.

وفي طريقِهم أمْسكَ المُسلِمونَ برجلٍ مِن بني ثَعْلَبَةَ، فأُدْخِلَ على رسولِ اللهِ ﷺ فأخبرَه خبرَهُم، وقالَ: لنْ يلاقُوك، ولوْ سَمِعُوا بِمَسيرِكَ لَهَربوا في رؤُوسِ الجبالِ، وأنا سائرٌ مَعَك، فدعاهُ رسولُ اللهِ ﷺ إلى الإسلامِ، فأسلمَ(3).

وَأقامَ النبي ﷺ بنَجدٍ صَفرًا كلَّهُ أو قَريبًا مِن ذلك، ثمَّ رجعَ إلى المَدينةِ، ولم يَلْقَ حَرْبًا(4).

---

(1) تاريخ الطبري (2/52)، الكامل (2/38)، البداية (4/3)، سبل الهدى (4/176).

(2) انظر: سيرة ابن إسحاق، ص (312)، ومغازي الواقدي (1/8)، والبداية والنهاية (5/314).

(3) انظر: سيرة ابن إسحاق، ص (312)، وسيرة ابن هشام (2/608)، وعيون الأثر (1/355).

(4) انظر: سيرة ابن إسحاق، ص (312)، وسيرة ابن هشام (2/608).






وَفِي رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قُتِلَ كَعبُ بنُ الأَشْرفِ اليَهُوديُّ بأمْرِ رَسولِ اللهِ ﷺ (1):

كانَ كعبُ بنُ الأشرفِ رَجلا يَهوديًّا، وكانَ شَديدَ الأذى لرسولِ اللهِ ﷺ وكانَ يتغزَّلُ في أشْعارِه بنساءِ الصَّحابةِ فلمَّا كانتْ وقعةُ بدرٍ ذهبَ إلى مكةَ، وجعلَ يحرِّضُ على رسولِ اللهِ ﷺ وعَلى المؤمنينَ، ثم رجعَ إلى المَدينةِ على تلكَ الحالِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ؟، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ".

فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟

قَالَ: "نَعَمْ".

قَالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا. (فأذن لي أن أقول شيئا: أي ائذن لي أن أقول عني وعنك ما رأيته مصلحة من التعريض، وغيره).

فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ (أي: النبي ﷺ) قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا (من العناء، أي: أتعبنا)، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ.

قَالَ: وَأَيْضًا، وَاللهِ لَتَمَلُّنَّهُ. (أي سوف تملُّون منه أكثر من هذا).

قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ، فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا (الوسق: ستون صاعًا، والصاع أربعة أمداد، والمد: ملء كفيِّ الرجل المعتدل)، أَوْ وَسْقَيْنِ.

فَقَالَ: نَعَمِ، ارْهَنُونِي.

قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟

قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا، وَأَنْتَ أَجْمَلُ العَرَبِ؟

قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ.

قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا، فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ، هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ. (أي: السلاح)

---

(1) تاريخ الطبري (2/52)، الكامل (2/38)، البداية (4/6)، سبل الهدى (6/25).




فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ.

فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟

فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ.

قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ.

قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ.

وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، فَقَالَ لِلرَّجُلَيْنِ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ، فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ،

فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا (أي متلبسا بثوبه، وسلاحه. والمتوشح: هو الذي يخالف بين طرفي ثوبه) وَهُوَ يَفُوحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ.

فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ رِيحًا أَعْطَرَ.

فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟

قَالَ: نَعَمْ، فَشَمَّهُ، ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ.

ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟

قَالَ: نعَمْ.

فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ، قَالَ: اضْرِبُوا عَدُوَّ اللهِ، فَضَرَبُوهُ، فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُهُمْ، فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: فَذَكَرْتُ مِغْوَلًا (أي السكين التي تكون في السوط) فِي سَيْفِي، حِينَ رَأَيْتُ أَسْيَافَنَا لَا تُغْنِي شَيْئًا، فَأَخَذْتُهُ.

وَقَدْ صَاحَ عَدُوُّ اللهِ صَيْحَةً شَدِيدَةً أَفْزَعَتْ مَنْ حَوْلَهُ، فَلَمْ يَبْقَ حَوْلَهُمْ حِصْنٌ إِلَّا وَقَدْ أُوقِدَتْ عَلَيْهِ نَارٌ؛ لِيَرُوا مَا الخَبَرُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: فَوَضَعْتُهُ فِي ثُنَّتِهِ (ثنته: أي ما بين سرته، وعانته) ثُمَّ تَحَامَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغْتُ عَانَتَهُ فَوَقَعَ عَدُوُّ اللهِ.

وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ومَعَهُ الرَّجُلَانِ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيهِمْ، فَأَخْبَرُوهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللهِ، وَرَجَعُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ، فَأَصْبَحُوا، وَقَدْ خَافَتْ يَهُودُ لِوَقْعَتِهِم بِعَدُوِّ اللهِ، فَلَيْسَ بِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا وَهُوَ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ(1).

وَفِي رَبِيعٍ الآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وقعتْ غزوةُ الفُرُعِ مِنْ بُحْرَانَ(2):

خَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في ثَلاثِمِائةٍ مِن أصحابِه يريدُ قريشًا وبَني سُليمٍ، واستخلفَ على المَدينةِ ابنَ أمِّ مَكتُومٍ فَبلغَ بُحْرانَ من نَاحيةِ الفُرُعِ (وهي قرية في ناحية المدينة) فَأَقَامَ هُناكَ شهرَ ربيعٍ الآخرِ، وجُمَادَى الأُوْلَى، ثمَّ رجعَ إلى المَدينةِ ولم يَلْقَ حَرْبًا(3).

وَفِي جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حارثةَ إِلى القِرِدَةِ، فَغنِمُوا عِيرًا ومالًا لِقُريشٍ(4):

بعدَ غزوةِ بدرٍ خَافتْ قُريشٌ طَريقَهُم الذي كانوا يَسلُكُونَ إلى الشامِ، فَسلكُوا طريقَ العراقِ، فخرَجَ منهم تُجارٌ، فيهم: أبُو سفيانَ بنُ حَربٍ، ومعَهُ فِضةٌ كثيرةٌ، وهي عِظَمُ تجارتِهم.

فبلغَ رسولَ اللهِ ﷺ أَمْرُهُم، فبعثَ زيدَ بنَ حَارثةَ في مِائةِ راكبٍ إلى القِرِدَةِ؛ لِيعترضَ عيرَ قُريشٍ، فلمَّا جاءهُمْ زَيدُ بنُ حارِثةَ هَرَبُوا، وتَرَكُوا العِيرَ ومَا فيها، فقدمَ بالعِيرِ على رسولِ اللهِ ﷺ فخمَّسَهَا(5).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/56–57)، وزاد المعاد (3/173).

(2) تاريخ الطبري (2/52)، البداية (4/3)، سبل الهدى (4/178).

(3) انظر: سيرة ابن إسحاق، ص (313)، ومغازي الواقدي (1/196–197)، وسيرة ابن هشام (2/46).

(4) تاريخ الطبري (2/54)، الكامل (2/40)، البداية (4/5)، سبل الهدى (6/32).

(5) انظر: سيرة ابن إسحاق، ص (316)، والطبقات الكبرى (2/36).

{غزوة أحد}

وكانت في شوال من نفس السنة(1)

لمَّا قُتِلَ أشرافُ قُريشٍ ببدرٍ، وأُصِيبُوا بِمصيبةٍ لم يُصابُوا بمثْلِها، ورَجعَ مُنْهَزِمُوهُمْ إلى مَكَّةَ، ورَجَعَ أبُو سُفيَانَ بنُ حَربٍ بِعِيرِهِ، سَعى عَبدُ اللهِ بنُ أبي رَبيعَةَ، وعِكْرمةُ بنُ أبي جَهْلٍ، وصفوانُ بنُ أُميَّةَ، في رجالٍ من قريشٍ ممَّن أُصيبَ آباؤُهم وأَبناؤُهم وإخْوانُهم يومَ بدرٍ، فكلَّموا أبا سُفيانَ بنَ حَربٍ، ومن كانتْ لهُ في تلكَ العِيرِ مِنْ قُريشٍ تجارةٌ، فقَالوا: يا معشرَ قريشٍ، إنَّ محمدًا قَدْ وَتَركم (وتركم: أي ظلمكم، وجنى عليكم، وانتقصكم)، وقَتلَ خِيارَكُم، فَأَعِينُونَا بهذَا المالِ عَلى حَربِهِ، فَلَعَلَّنَا نُدْرِكُ مِنهُ ثَأْرَنَا بِمَنْ أصابَ مِنَّا، فَفَعَلُوا(2).

فاجْتَمعتْ قريشٌ لحَربِ رَسولِ اللهِ ﷺ واجْتمعَ قريبًا مِن ثَلاثةِ آلافٍ مِن قُريشٍ، وحُلفَائِهم، والأَحَابِيشِ (أي من انضم إلى العرب ممن ليس منهم، ولعلَّهم قوم من الحبشة خاصَّة)، فَخَرجُوا بنسائِهم؛ لئَلَّا يفِرُّوا، وليُدَافِعُوا عَنْهُنَّ(3).

ودَعَا جُبيرُ بن مُطْعِمٍ غُلامًا له يقالُ لهُ: وَحْشِيٌّ، فقالَ لهُ: اخْرُجْ معَ النَّاسِ، فَإِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ عَمَّ محمدٍ كمَا قَتلَ عَمِّي طُعَيْمَةَ بنَ عَدِيٍّ يومَ بَدْرٍ، فَأَنْتَ حُرٌّ(3).

ورأَى رَسولُ اللهِ ﷺ وهُو بالمَدِينةِ رؤيَا، رَأى أَنَّ في سَيفِهِ كَسْرًا، ورَأَى أنَّ بَقرًا تُذْبحُ، وأنَّه أَدخلَ يدَهُ في دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فتأوَّلَ الكَسْرَ في سَيفِهِ برجلٍ يُصابُ مِنْ أهلِ بَيتِهِ، وتَأَوَّلَ البقرَ بِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقتلُونَ، وتأوَّلَ الدِّرعَ بالمَدِينةِ(4).

---

(1) تاريخ الطبري (58/2)، الكامل (44/2)، البداية (10/4).

(2) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (322)، وسيرة ابن هشام (60/2)، وزاد المعاد (172).

(3) انظر: صحيح البخاري (4072)،من حديث وحشي.

(4) انظر: سيرة ابن هشام (62/2-63)، وزاد المعاد (173/3).

وخَرجَ رَسولُ اللهِ ﷺ يومَ الجُمُعةِ، في أَلْفٍ مِنَ أَصْحَابِهِ(1)، واسْتَعْملَ عَلى المَدِينَةِ، وعَلَى الصَّلاةِ ابنَ أمِّ مَكْتُومٍ(2).

وتَفَقَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الجَيشَ، فَردَّ عَنِ القِتالِ مَن اسْتَصْغَرَهُ، وكانَ مِنهُم: أُسَامَةُ بنُ زيدٍ، وعبدُ اللهِ بنُ عمرَ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، والبراءُ بنُ عازبٍ، وعمرُو بنُ حَزمٍ، وأَسيدُ بنُ ظَهيرٍ، ثم أجَازَهم يومَ الخَندقِ، وهُم أبناءُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وأجَازَ مَنْ رَآهُ مُطِيقًا، وكانَ مِنهُم: سَمُرَةُ بنُ جُنْدُبٍ، ورافعُ بنُ خَدِيجٍ، وهُما ابنَا خمسَ عَشْرَةَ سنةً، وكانَ قَدْ ردَّهُمَا، فَقِيلَ لهُ: يَا رسولَ اللهِ إنَّ رافِعًا رامٍ، فأجَازَهُ، فقِيلَ لهُ: يا رسولَ اللهِ، فإنَّ سَمُرَةَ يَصْرَعُ رَافِعًا، فَأَجَازَهُ(3).

وبَينَما رَسولُ اللهِ بأصْحَابِه في أثناءِ الطَّرِيقِ أمر عبد الله بن أبي ابن سلول قومه من اهل النفاق بالرجوع وقَالَ لهُمْ: أطَاعَهُم وعَصَاني، واللهِ ما نَدْري علامَ نَقتُلُ أنْفُسَنَا هَهُنا أيُّها النَّاسُ؟

فاتَّبَعَهُمْ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ حَرَامٍ يَقُول لَهُمْ: يَا قوم أُذَكِّرُكم اللهَ أنْ تَخْذُلُوا نَبِيَّكُم، وقَومَكُم عِنْدَ مَا حَضَرَ مِن عَدُوِّهِمْ.

قَالُوا: لَو نَعلمُ أنَّكُم تُقَاتِلُون لَمَا أَسْلَمْنَاكُم، ولكنَّا لا نَرَى أنَّهُ يكونُ قِتالٌ.

فلما استَعْصَوا عَليه وأَبَوا إلَّا الانْصِرَافَ عنهم قال: أبعدَكُم اللهُ أعداءَ اللهِ، فَسَيُغْني اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ(4).

وَقالتِ الأنصارُ لرسولِ اللهِ ﷺ يا رسولَ اللهِ ألا نَستعينُ بحُلَفَائِنَا مِنْ يَهُودَ؟

فَقالَ: "لا حَاجَةَ لنَا فِيهِمْ"(5).

---

(1) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (324).

(2) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (324).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (66/2)، وزاد المعاد (174/3–175).

(4) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (324–325)، وسيرة ابن هشام (64/2).

(5) انظر: سيرة ابن هشام (64/2).

وَمَضى رسولُ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزلَ الشِّعْبَ مِن أُحدٍ في عُدْوَةِ الوَادي إلى الجَبَلِ، فَجَعَلَ ظهرَه وجَيشَه إلى جَبَلِ أُحُدٍ، وقَالَ: "لا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ مِنكُم حَتَّى نَأمُرَهُ بِالقِتَالِ".

وتجهَّزَ رَسولُ اللهِ ﷺ للقتالِ صَبِيحَةَ يومِ السَّبتِ، وهُو في سَبعِمِائَةِ رَجُلٍ، ولَبسَ صلى الله عليه وسلم دِرْعَينِ(1) ودَفعَ اللواءَ إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيرٍ وَجَعَلَ على إِحْدَى الْمَجْنَبَتَينِ (المجنبتين: أي الميمنة، والميسرة، وبينهما القلب) الزُّبَيرَ بنَ العَوَّامِ، وعلى الأُخْرَى المُنذِرَ بنَ عَمرٍو(2).

وأمَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ على الرُّمَاةِ عبدَ اللهِ بنَ جُبَيرٍ، وكانُوا خَمْسينَ رَجُلًا، وَقالَ: "انْضَحْ (أي: ادفع) الخَيلَ عَنَّا بِالنَّبلِ؛ لِئَلَّا يأتُوا المُسلِمينَ مِن وَرائِهِم(3)، وَلَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا (أي: انتصرنا) عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا(4).

وتَجهَّزتْ قُريشٌ للقتالِ، وهُم ثلاثةُ آلافٍ، ومَعَهُم مِائَتَا فرسٍ قَدْ جنَّبُوهَا، فجَعَلوا على مَيمَنةِ الخيلِ خالدَ بنَ الوليدِ، وعَلى مَيْسَرَتِها عِكْرِمَةَ بنَ أبي جَهْلٍ(5).

ونَزلتْ قُريشٌ مَنزِلَهَا بأُحُدٍ يومَ الأَرْبعاءِ فأقامُوا بِها ذلكَ اليومَ، ويومَ الخميسِ ويومَ الجُمُعةِ، والتَقَوا بجيشِ المُسلمينَ يومَ السَّبتِ(6).

وبينَما رَسولُ اللهِ ﷺ يُرَتِّبُ صُفوفَ جَيشِهِ أَمْسَكَ بِسَيفِهِ، وقَالَ: "مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيفَ بِحَقِّهِ؟"

فقَامَ إليهِ رَجالٌ، فمَنَعَهُ عَنْهُم، حتَّى قامَ إليهِ أبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ، فقَالَ: وما حقُّهُ يا رسولَ اللهِ؟

(1) صحيح: رواه أبو داود (2590)، عن السائب بن يزيد.

(2) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (325–326)، وسيرة ابن هشام (2/64–66)، وانظر: زاد المعاد (3/174).

(3) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (326)، وسيرة ابن هشام (2/65)، وزاد المعاد (3/174).

(4) صحيح: رواه البخاري (4043)، عن البراء بن عازب.

(5) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (326).

(6) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (324).

قَالَ: "أنْ تَضْربَ بِهِ القَومَ حَتَّى يَنثَنِيَ".

قَالَ: أنا آخذُه يا رسولَ اللهِ بحَقِّهِ.

فأَعْطَاهُ إيَّاهُ، وكانَ أبُو دُجَانَةَ رَجُلًا شُجَاعًا، يَختَالُ عِندَ الحَربِ، وكانَ إذَا عَصَبَ عِصَابةً له حَمْراءَ على رأسِهِ عَلِمَ الناسُ أنَّهُ سَيُقَاتِلُ، وكَانتْ تُسَمَّى بِعِصَابَةِ المَوتِ، فَلَمَّا أخذَ السَّيفَ مِن يدِ رسولِ اللهِ ﷺ أَخْرجَ عِصَابَتَهُ تَلكَ فَعَصَبَ بها رَأْسَه، فَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بينَ الصَّفَّينِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: حِينَ رَأَى أَبَا دُجَانَةَ يَتَبَخْتَرُ: "إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يَبْغَضُها اللهُ إلَّا في هذَا المَوْطِنِ"(1).

لمَّا التَقى الجَيشانِ، واقْتَرَبَ بعضُهُم مِن بَعضٍ، قَامتْ هِندُ بنتُ عُتْبَةَ معَ النِّسوةِ اللَّاتي مَعَها، وأَخَذْنَ الدُّفُوفَ يَضْرِبْنَ بها خَلفَ الرِّجَالِ، ويحَرِّضْنَهُم، فقالَتْ هِندٌ:

وَيْهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارْ

وَيْهَا حُمَاةَ الْأَدْبَارْ (ويها: كلمة معناها الإغراء. حماة الأدبار: أي الذين يحمون أعقاب الناس)

ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارْ (أي القاطع)

وقالت:

إنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ * وَنَفْرِشُ النَّمَارِقْ (جمع نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة)

أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ * فِرَاقَ غَيْرَ وَامِقْ (الوامق: المحب)

ثمَّ فَاقْتتلَ الناسُ حتَّى حَمِيتِ الحَربُ، وَقاتَل أبو دُجَانَةَ حتَّى دخلَ بينَ صُفوفِ المُشْركينَ.

قَال الزُّبيرُ بنُ العَوَّامِ وَجَدْتُ في نَفسي حَينَ سَأَلتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ السَّيفَ فمنَعَنيهِ، وأَعْطَاهُ أبَا دُجَانَةَ.

---

(1) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (326)، وسيرة ابن هشام (2/66-67).

وقُلتُ: أنَا ابنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ، ومِنْ قُرِيشٍ، وقد قُمْتُ إِليهِ فَسَألتُهُ إيَّاه قبْلَهُ، فأعطَاهُ إيَّاهُ وَتركَني، واللهِ لأَنْظرنَّ مَا يَصْنَعُ.

فَاتَّبَعْتُهُ، فرَأَيْتُهُ أَخرجَ عِصابةً له حَمراءَ، فعصَبَ بها رأسَهُ، فقَالتِ الأَنْصارُ: أَخرَجَ أبُو دُجَانَةَ عِصَابةَ المَوتِ، وهَكَذا كانتْ تقولُ لهُ إِذَا تعصَّبَ بِها.

فَخَرَج وهو يَقولُ:

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيــــلِي * وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ

أَلَّا أَقَوْمَ الدَّهْرَ فِي الْكَيُّولِ * أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللهِ وَالرَّسُولِ (الكيول: أي آخر الصفوف في الحرب)

فَجعلَ أبو دجانة لا يَلقَى أحدًا إلا قَتَلَه، وكانَ في المُشركينَ رَجلٌ لا يَدَعُ لنَا : جَريحًا إلَّا قَضى عَليه، فجعلَ كلُّ واحدٍ مِنهما يدنُو من صَاحبِه.

فدَعوتُ اللهَ أنْ يجمَع بينَهُما، فالتقَيا، فاخْتَلَفَا ضَرْبَتَين، فضرَبَ المُشْركُ أبَا دُجَانةَ، فاتَّقاه بدَرَقَتِه (الدرقة: ترس يصنع من جلد)، فَلَزِقَتْ بِسيفِهِ، وضَربَهُ أَبُو دُجَانَةَ، فَقَتَلَهُ.

ثم رأيتُه قَد حَملَ السَّيفَ على مَفْرقِ رأسِ هِندِ بنتِ عُتْبةَ، ثُم عدَلَ السيفَ عنها؛ تكريمًا لسيفِ رسولِ اللهِ ﷺ(1).

وقاتلَ حمْزةُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ قِتالا شَدِيدًا حتى قتلَ جَمَاعَةً مِنَ المُشرِكينَ مِنهُم حَامِلُ لِوَائِهِم، فأرهبهم وأرعبهم، وكان حمزة أسد الجيش فكأنَّ المسلمين يستبشرون بالنصر لمَّا يكون معهم حمزة، لذلك أرسلوا له وحشيًّا كي يغتاله بغتة دون نزال.

---

(1) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (327)، وسيرة ابن هشام (2/68-69).

قَالَ وَحشيٌّ: لَمَّا أَنِ اصْطَفَّ الجَيشانِ لِلْقِتَالِ، خَرَجَ سِبَاعٌ، فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟

قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ (مقطعة البظور: أي أمه كانت تختن النساء في مكة، والعرب تقول ذلك في معرض الذم والشتم، والبظور: جمع بظر وهو قطعة لحم بين شفري فرج المرأة)، **أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ.**

ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ، فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ (كناية عن قتله في الحال وإعدامه له)، **وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ (ما بين السرة والعانة) حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ(1).**

وقاتلَ مُصْعبُ بنُ عُميرٍ قِتالًا شَديدًا دِفاعًا عنْ رسولِ اللهِ ﷺ حتى قتلَه ابنُ قَمِئَةَ اللَّيثيُّ، وهو يَظُنُّ أنَّه رسول اللهِ ﷺ فرجعَ إلى قُريشٍ، فقالَ: قَد قَتَلتُ محمَّدًا.

فأَعْطَى رسولُ اللهِ ﷺ اللواءَ الذِي كانَ مَعَ مُصعبٍ عَليَّ بنَ أبي طالبٍ(2).

ولمَّا اشتدَّ القتالُ، جَلسَ رسولُ اللهِ ﷺ تحتَ رايةِ الأنصارِ، وأَرسلَ إلى عَليِّ بنِ أبي طالبٍ؛ أنْ قدِّمَ الرايةَ.

فتقدَّمَ عليٌّ، فقالَ: أنَا أبُو القُصَمِ (جمع القصْمَى، أي الداهية التي تَقصم)

فنادَاه حَامِلُ لواءِ المشركينَ: أنْ هلْ لكَ يا أبَا القُصَمِ في البِرَازِ مِنْ حَاجَةٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

فبرَزَا بينَ الصَّفَّينِ، فاختَلفَا ضَربَتَينِ، فَضَرَبَهُ عَليٌّ، فَصرَعَهُ، ثمَّ انْصرفَ عَنهُ ولم يُجْهِزْ عَلَيهِ، فقالَ لهُ أصْحَابُه: أفَلا أَجْهَزْتَ عَلَيه؟

فَقَالَ: إِنَّه اسْتَقْبَلَني بِعَوْرتِه، وَعَرَفتُ أنَّ اللهَ قَدْ قَتَلَهُ(3).

---

(1) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (329)، وسيرة ابن هشام (2/69-72).

(2) صحيح: رواه البخاري (4072)، عن وحشي.

(3) انظر: سيرة ابن هشام (2/73-74).

والتقى حنظلةُ وأبُو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، فلمَّا اسْتَعْلى حَنْظَلَةُ أبَا سُفْيان، رَآهُ شَدادُ بنُ الأَسودِ، فَضربَه شَدادٌ، فَقَتَلَهُ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "إنَّ صَاحِبَكُمْ -يَعْنِي حَنْظَلَةَ- لَتُغسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ".

فَسَأَلُوا زَوْجَتَهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الْهَائِعَةَ(1). (أي: الصيحة)

ثمَّ أنزلَ اللهُ نَصْرَه عَلى المُسلِمينَ، وصَدَقَهُم وَعْدَه، فَقَتَلُوهُم بالسيوفِ حتَّى كانتِ الهزيمةُ لا شكَّ فِيها(2).

فكانَ النَّصرُ أولَ النهارِ للمُسلمينَ على الكفارِ، فَهرَبُوا مِنْ أَمَام جيشِ المُسلِمينَ(3).

ثمَّ هُزِمَ المسلمون.

وسَببُ الهَزيمةِ التي وقعتْ بِالمُسلِمينَ:

أنَّ رسول الله ﷺ كان قد أعطى أَوَامِرَهُ للرُّمَاةِ أَلَا يَبرَحُوا أَمَاكِنَهُم، حتَّى وإنْ كان النَّصرُ حَليفًا للمُسلمينَ، وَلَكنَّهم لمَّا رَأوا المُشركينَ هَرَبُوا، وَالنِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الجَبَلِ، أَخَذُوا يَقُولُونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ.

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا(4) وَلم يسْمَعُوا، وَظنُّوا أن ليسَ للمشركينَ رجْعةٌ، فذهَبوا في طلبِ الغنيمةِ، وأَخلَوا الثَّغْرَ(5).

فَلَمّا انْصَرَفَ الرُّمَاةُ، وَبَقِيَ مَنْ بَقِيَ، نَظَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إلَى خَلَاءِ الْجَبَلِ وَقِلَّةِ أَهْلِهِ، فَكَرَّ بِالْخَيْلِ وَتَبِعَهُ عِكْرِمَةُ فِي الْخَيْلِ، فَانْطَلَقَا إلَى بَعْضِ الرُّمَاةِ فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ، فَرَامُوا الْقَوْمَ حَتّى أُصِيبُوا، وَرَامَى عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ حَتّى فَنِيَتْ نَبْلُهُ، ثُمّ طَاعَنَ بِالرّمْحِ حَتّى انْكَسَرَ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ بِسَيفِهِ حَتّى قُتِلَ(6).

---

(1) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (332-333).

(2) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (327)، وسيرة ابن هشام (77/2).

(3) انظر: زاد المعاد (176/3).

(4) صحيح: رواه البخاري (4043)، عن البراء بن عازب.

(5) انظر: زاد المعاد (176/3).

(6) انظر: مغازي الواقدي (232/1).



وصَرخَ الشيطانُ بأعلى صَوتِهِ: إنَّ محمَّدًا قَد قُتِل، فتقَهْقَر المُسلمونَ للخلفِ، وفر أكثرهم بعد أنْ كَانَ النصرُ حليفهم، فانكشفَ المسلمون فأصابَ منهم العدو، فكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله من أكرم بالشهادة(1).

ووصلَ الكفَّارُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فرَمُوهُ بالحِجارةِ حتى وَقعَ عَلَى شِقِّهِ(2)، فكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ (رباعيته: السن التي تلي الثنية من كل جانب، والثنية إحدى السنين في مقدمة الأسنان)، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟»(3)، "رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(4)"

وأُفْرِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْهُ، قَالَ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟» – أَوْ «هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ» –، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ اقْتَرَبُوا مِنْهُ أَيْضًا، فَقَالَ: «مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟» –أَوْ «هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ» –، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: "مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا"(5).

وذَهَبَ أنسُ بنُ النَّضْرِ إلى جَمَاعَةٍ مِنَ المُهاجرين والأنْصارِ، فِيهِم: عُمرُ بنُ الخطَّابِ، وطَلَحةُ بنُ عُبيدِ اللهِ، فقالَ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟

قَالُوا: قُتِلَ رسولُ اللهِ ﷺ.

---

(1) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (327–328)، وزاد المعاد (3/177).

(2) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (328).

(3) متفق عليه: رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم (5/99)، ومسلم (1791)، واللفظ له، عن أنس.

(4) متفق عليه: رواه البخاري (6929)، ومسلم (1792)، عن عبد الله بن مسعود.

(5) صحيح: رواه مسلم (1789)، عن أنس بن مالك. / ما أنصفنا أصحابنا: أي ما أنصفت قريش الأنصار لكون القرشيين لم يخرجا للقتال بل خرجت الأنصار واحد بعد واحد.

قَال: فَمَا تَصْنَعُونَ بالحَياةِ بعدَهُ؟ قُومُوا، فمُوتُوا على مَا مَاتَ عَليهِ رسولُ اللهِ ﷺ ثمَّ اسْتَقْبَلَ المُشرِكينَ(1) فقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، يَعْنِي المُسْلِمِينَ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ، فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ يَا سَعْدُ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ.

فَمَضَى فَقُتِلَ، فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ (أي: أصابعه)، وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ، وَضَرْبَةٍ، وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ(2).

قال أنس بن مالك: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ:

"مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" [الأحزاب: 23].

وقَاتلتِ الملائكةُ يَوْمَئذٍ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ كمَا قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، يُقَاتِلَانِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَأَشَدِّ القِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، يَعْنِي جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ(4).

ثمَّ أَقبلَ رسولُ اللهِ ﷺ نحْوَ المُسلمينَ، وكانَ أَوَّلَ مَن عَرَفَهُ تحتَ المِغْفَرِ كَعْبُ بنُ مَالكٍ.

قَال كَعبٌ: عَرَفتُ عينَيهِ تُزْهِرَانِ (أي: تضيئان) مِن تحتِ المِغْفَرِ، فنَاديتُ بِأعلى صَوتي: يَا مَعْشَرَ المُسلِمينَ أَبْشِروا هذَا رَسولُ اللهِ، فأشارَ إليَّ أنْ أَنْصِتْ.

فلمَّا عرَفَ المُسلِمونَ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَضُوا بِه نحْوَ الشِّعْبِ، ومَعَه جماعَةٌ من المُسْلِمينَ مِنهُم أَبُو بَكْرٍ، وعُمرُ رضي الله عنهما(5).

(1) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (330).

(2) متفق عليه: رواه البخاري (4048)، ومسلم (1903)، عن أنس بن مالك.

(3) متفق عليه: رواه البخاري (2805)، ومسلم (1903).

(4) متفق عليه: رواه البخاري (4054)، ومسلم (2306).

(5) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (330-331)، وزاد المعاد (178/3).



ولَمَّا استَنَدَ رسُولُ اللهِ ﷺ والمُسلمونَ إلى الجَبلِ، أدْرَكه أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ وهُو يقولُ: أيْ مُحمدُ لا نَجَوْتُ إنْ نَجوتَ، فقالَ المُسلْمُونَ: أيَعطِفُ عَليه رَجلٌ مِنَّا يَا رسولَ اللهِ؟

فقَالَ: "دَعُوهُ".

فلمَّا اقْتَرَبَ تَناولَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الحَربَةَ، فَطَعَنَهُ بِهَا، فَجَاءَتْ فِي تَرْقُوَتِهِ، فَكَرَّ عَدوُّ اللهِ مُنْهَزِمًا، فَرَجَعَ إِلى المُشْرِكِينَ، فَقَالُوا لهُ: واللهِ ما بِكَ مِنْ بأسٍ.

فقالَ: قَتَلني واللهِ محمَّدٌ، إنَّهُ قدْ كانَ قَال لي بِمَكةَ: أنَا أقتُلُكَ، فَوَ اللهِ لو بَصَقَ عَليَّ لقَتَلَني، فَمَاتَ عَدُوُّ اللهِ قَبلَ أنْ يَصِلَ إلى مَكَّةَ(1).

ولمَّا انتَهى رسولُ اللهِ ﷺ إلى الشِّعْبِ خرَجَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ؛ ليأتيَ بماءٍ لرسولِ اللهِ ﷺ فلمَّا جاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وجدَ للماءِ ريحًا فعافَهُ، فلمْ يَشربْ مِنه، وَغَسلَ عَن وَجْهِهِ الدَّمَ، وَصَبَّ عَلى رأْسِه(2) وهُو يَقولُ: "اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا هَذَا بِرَسُولِ اللهِ"، وَهُوَ حِينَئِذٍ يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ(3).

وبَينَما رسولُ اللهِ ﷺ في الشِّعبِ معَه نفرٌ مِن أصحَابه إذْ صَعِدَ نَفَرٌ مِنْ قُريشٍ على الجبلِ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا".

فَجاءَهم عُمَرُ بنُ الخطَّابِ ورَهطٌ مَعَهُ مِنَ المُهَاجِرينَ فَقَاتَلُوهُمْ حتَّى أهْبَطُوهُم عنِ الجَبلِ(4).

ووَقفتْ هِندُ بِنتُ عُتْبَةَ والنِّسْوةُ اللَّاتي مَعَها يُمثِّلْنَ بالقَتْلى مِنْ أصْحابِ رسولِ اللهِ ﷺ يَقْطَعنَ الآذَانَ والأُنُفَ حتَّى اتخذتْ هِندٌ مِن آذانِ الرِّجالِ وأُنُوفِهِمْ خَلاخِيلَ، وقَلائِدَ، وأَعْطَتْ خُلْخَالهَا وقَلائِدَهَا وقُرْطَيْهَا وَحْشِيًّا، وشقَّتْ عِنْ كَبدِ حَمزةَ، فَمَضَغَتْهَا، فَلَمْ تستطيعْ أنْ تَبْتَلِعَهَا، فَلَفَظَتْهَا، ثم عَلَتْ على صخرةٍ مُرْتَفِعَةٍ، فَصرَختْ بأعْلى صَوتِها:

(1) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (330-331)، وسيرة ابن هشام (2/178).

(2) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (331).

(3) متفق عليه: رواه البخاري (4073)، ومسلم (1793)، عن أبي هريرة.

(4) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (332).

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَـــــدْرِ * وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتِ سُعْرِ

مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ * وَلَا أَخِي وَعَمِّـــهِ وَبِكْـــرِي

شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي * شَفَيْتَ وَحْشِيُّ غَلِيلَ صَـــدْرِي

فَشُكْرُ وَحْشِيٍّ عَلَيَّ عُمْــرِي * حَتَّى تَرِمَّ أَعْظُمِي فِي قَبْــــرِي

فأجابَتْهَا هندُ بِنتُ أُثَاثَةَ بن عَبَّادِ بنِ المُطَّلبِ، فقَالتْ:

خَزِيتِ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَـدرِ * يَا بنْتَ وَقَّاعٍ عَظِيمِ الْكُفْرِ

صَبَّحَكَ اللهُ غَدَاةَ الْفَجْــرِ * مِلْهَاشِمَيِّيْنِ الطِّوَالِ الزُّهْـرِ(1).

بِكُلِّ قَطَّاعٍ حُسَامٍ يَفْــرِي * حَمْزَةُ لَيْثِي وَعَلِيٌّ صَقْــرِي

إِذْ رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكَ غَدْرِي * فَخَضَّبَا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّحْرِ(2)

وَنَذْرُكِ السُّوءَ فَشَرُّ نَذْرِ(3).

وحِينَ أرادَ أبُو سُفيانَ الانْصِرافَ علا الجبلَ ثمَّ صَرخَ بأعلى صَوتِهِ: أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ؟.

فَقَالَ ﷺ: "لَا تُجِيبُوهُ".

فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟

قَالَ ﷺ: "لَا تُجِيبُوهُ".

فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخطَّابِ؟

فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَأَجَابُوا.

فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ، أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ(4).

---

(1) ملهاشميين: أرادت من الهاشميين، فحذف النون من «من» لالتقاء الساكنين، ولا يجوز ذلك إلا في «من» وحدها لكثرة استعمالها. والزهر: البيض، الواحد: أزهر.

(2) شيب: أرادت شيبة. فرخمته في غير النداء. وضواحي النحر: ما ظهر من الصدر.

(3) صحيح: رواه البخاري (4043)، عن البراء بن عازب.

(4) صحيح: رواه البخاري (4043)، عن البراء بن عازب.

فَقَالَ: أُعْلُ هُبَلُ. (هبل اسم صنم يعبدونه، والمعنى أن أظهر دينك يا هبل)

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَجِيبُوهُ".

قَالُوا: مَا نَقُولُ؟.

قَالَ: "قُولُوا: اللهُ أَعْلَى، وَأَجَلُّ".

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا العُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَجِيبُوهُ".

قَالُوا: مَا نَقُولُ؟.

قَالَ: "قُولُوا اللهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ".

ولمَّا انْصرفَ أبو سُفيانَ، ومَن معَهُ نَادى: إنَّ موعِدَكُم بَدرٌ العَامَ المُقبِلَ.

فقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لرجلٍ مِنْ أصْحَابِهِ: "قلْ: نَعَم هِي بيننَا، وبينَك مَوعِدًا"(1).

ثم بَعثَ رسولُ اللهِ ﷺ عليَّ بنَ أبي طَالبٍ فقَالَ: "اخْرُجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ، وَمَا يُرِيدُونَ فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَنَّبُوا الْخَيْلَ (جنبوا الخيل: أي قادوها إلى الجنوب)، وَامْتَطَوْا الْإِبِلَ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْمَدِينَةَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ أَرَادُوهَا لَأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ فِيهَا، ثُمَّ لَأُنَاجِزَنَّهُمْ".

فخَرَجَ عليٌّ في إِثْرِ المُشْرِكِينَ؛ لِينظرَ ماذَا يَصنعونَ، فَرآهُم جَنَّبُوا الخَيلَ، وامْتَطُوا الإبلَ، ووجَّهُوا إلى مَكَّةَ، فَرجَعَ، فَأَخْبَرَ رسولَ اللهِ(2).

وأشْرفَ رسولُ اللهِ ﷺ على دفن الشهداء ، فكَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ(3).

---

(1) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (334).

(2) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (334).

(3) صحيح: رواه البخاري (1343)، عن جابر.

وخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ يبْحَثُ عَنْ عَمِّهِ حمزةَ بنِ عبدِ المُطَّلبِ، فوَجدَه قَدْ بُقِرَ بطنُه عَنْ كَبِدِهِ، ومُثِّلَ بِه، وجُدِعَ أنْفُهُ، وأُذُنَاهُ.

فحزن عليه رسول الله ﷺ حزنا شديدا.

غزوة حمراء الأسد:

وَفِي اليومِ التَّالي لِغَزوةِ أُحُدٍ: خَرجَ المُسلِمونَ لغَزوةِ حَمْرَاءَ الأَسدِ(1).

فلمَّا انصرفَ أبو سُفيانَ وأصحابُه، وكانوا في أثناءِ الطريقِ تَلاوَمُوا فيمَا بَينهُم، وقالَ بعضُهم لبعضٍ: لمْ تصنَعُوا شيئًا، أَصبتُم شَوكَتَهُم، ثُمَّ تَركتُمُوهُم وقدْ بَقيَ مِنْهُم رُؤُوسٌ يَجمعونَ لكُم، فارجِعوا حتَّى نَستأصِلَهُمْ.

فبلغَ ذلك رسولَ اللهِ ﷺ، أرادَ أن يُرهبَ أعداءَ اللهِ مِن كفارِ قريشٍ، ويبلِّغَهم أنَّه خرَجَ في طلبِهِمْ؛ ليظنُّوا به قُوةً، وأنَّ الذي أصابَهم لم يوهِنْهُم عَنْ عَدُوِّهِمْ.

فلمَّا كانَ الغدُ من يومِ الأَحَدِ السَّادسَ عشرَ من شَوالٍ أمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ مؤذِّنَهُ أنْ يؤذِّنَ في الناسِ بالمَسيرِ إلى لقاءِ عَدُوِّهِمْ، فأذَّن مؤذِّنُهُ: "أَنْ لَا يَخرُجَنَّ مَعَنَا إلَّا مَنْ شَهِدَ القِتَالَ".

فقالَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ لرسولِ اللهِ ﷺ: أَرْكَبُ مَعَكَ؟

فقالَ النبي ﷺ: "لَا".

وَاستَجابَ المُسلِمونَ لرسولِ اللهِ ﷺ عَلى ما بِهِمْ مِنَ الجُرُوحِ الشَّدِيدَةِ، وقالوا: سَمعًا وطَاعةً(2).

وخَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ والمُسلِمونَ معَهُ حتى بلغُوا إلى حمْراءِ الأسدِ، وهي من المدينة على ثَمَانيةِ أميالٍ (الميل يساوي ألف وستمائة متر تقريبا)، واستَعملَ على المَدينةِ ابنَ أمِّ مَكْتُومٍ(3).

---

(1) تاريخ الطبري (75/2)، الكامل (57/2)، البداية (50/4).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (101/2)، وزاد المعاد (216/3).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (101/2-102).

وأَقبلَ مَعبدُ بنُ أَبي مَعبدٍ الخُزاعيُّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأسْلمَ، فأمَرَهُ أنْ يَلْحق بأَبي سُفيانَ، فيُخَذِّلَهُ، فلَحِقَ مَعْبَدٌ بأَبي سُفْيَانَ، ولَم يعلمْ أبو سفيانَ بإسلامِهِ.

فقالَ أبُو سُفيانَ: مَا وراءَكَ يَا مَعبدُ؟

فقَالَ مَعْبَدٌ: محمَّدٌ قدْ خرجَ في أصحابِهِ يَطلُبُكُمْ في جمعٍ لمْ أرَ مِثْلَهُ قطُّ، يَتحَرَّقُونَ عَليكُم تحرُّقًا، قَد اجْتمعَ معهُ مَن كانَ تخلَّفَ عنهُ في يَومِكُمْ، ونَدِمُوا على ما صَنَعُوا، فيهِم مِنَ الحَنَق (أي: شدة الغيظ) عَليكُم شيءٌ لَمْ أرَ مِثلَهُ قَطُّ.

فقالَ أبُو سُفيانَ: وَيحَكَ ما تقولُ؟

فقَالَ مَعْبَدٌ: واللهِ ما أرَاكَ تَرْتَحِلُ حتى تَرَى نَواصيَ الخَيلِ.

فقال أبُو سُفيانَ: فو اللهِ لقدْ أجْمَعنا الكَرَّةَ عَلَيهِم؛ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ.

فقَالَ مَعْبَدٌ: فَإنِّي أنْهَاكَ عَن ذَلِك، لا تَفْعَلْ فَإنِّي لكَ نَاصِحٌ.

فأمَرَ أبُو سُفيانَ مَن مَعَهُ بالرُّجوعِ، فَرجَعُوا إِلى مَكةَ(1).

وأقامَ النَّبيُّ ﷺ بحمراءِ الأسدِ ثَلاثَةَ أيَّامٍ: الاثْنينِ، والثُّلاثاءَ، والأَرْبِعاءَ، ثُمَّ رَجَعَ إلى المَدِينَةِ(2).

ومَرَّ أبُو سفيانَ ببعضِ المُشرِكينَ يُريدُونَ المَدينةَ، فقالَ أبُو سفيانَ لهُم: هَلْ لَكُم أنْ تبلِّغُوا محمَّدًا رسالةً، وأُحمِّلُ لكُم رَاحِلَتَكُم هذِه زَبيبًا إذَا أَتَيْتُم إِلى مَكَّةَ؟

قالُوا: نَعَمْ.

قالَ أبُو سُفيانَ: أَبْلِغُوا مُحَمَّدًا أنَّا قد أَجْمَعْنَا الكَرَّةَ؛ لِنَسْتَأْصِلَهُ، وَنستَأْصِلَ أَصحابَهُ.

فلمَّا أتوا المَدِينةَ، بلَّغُوا النَّبيَّ ﷺ وأصحابَه قولَ أَبي سُفْيانَ.

فنزلَ قَولُهُ تَعَالى: "الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ"[آل عمران: 173 – 174](3).

---

(1) انظر: زاد المعاد (3/216–217)، وسيرة ابن هشام (2/103).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/101–102).

(3) انظر: زاد المعاد (3/216–217)، وسيرة ابن هشام (2/104).

وفي نفس السنة نزل تحريم الخمر(1):

فقد كانتِ الخَمْرُ مِنْ أفضلِ أَشْرِبَةِ الناسِ في الجَاهِلِيَّةِ، وكانُوا قَدْ أَلِفُوا شُرْبَ الخمرِ، وكانَ انْتِفَاعُهُم بِهِ كثيرًا، وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تعالى أنَّهُ لو مَنعَهُم دَفْعَةً وَاحدةً لَشَقَّ عَلَيهِم(2).

لِذلكَ كانَ نزولُ تحريمِها على مَراحلَ، ولو نزلَ تحْرِيمُها دَفْعةً واحدةً؛ لاسْتَعْظَمَهُ النَّاسُ، وشقَّ عليهم تَرْكُها(3).

قال أبو هريرة: حُرِّمَتِ الْخَمْرُ ثَلَاث مَرَّاتٍ، قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَيَأْكُلُونَ الْمَيْسِرَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْهُمَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى عَلَى نَبِيِّهِ: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَ"[البقرة: 219].

فَقَالَ النَّاسُ: مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، إِنَّمَا قَالَ: " قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ".

وَكَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ، صَلَّى رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، أَمَّ أَصْحَابَهُ فِي الْمَغْرِبِ، خَلَطَ فِي قِرَاءَتِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهَا آيَةً أَغْلَظَ مِنْهَا: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ"[النساء: 43].

وَكَانَ النَّاسُ يَشْرَبُونَ حَتَّى يَأْتِيَ أَحَدُهُمُ الصَّلَاةَ وَهُوَ مُفِيقٌ.

ثُمَّ أُنْزِلَتْ آيَةٌ أَغْلَظُ مِنْ ذَلِكَ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[المائدة: 90].

---

(1) انظر: زاد المعاد (3/216-217)، وسيرة ابن هشام (2/104).

(2) انظر: نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، لرفاعة الطهطاوي، صـ (265).

(3) انظر: بهجة المحافل (1/278).



قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، فَنَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى.

فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَانْظُرْ مَا هَذَا الصَّوْتُ.

فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ: هَذَا مُنَادٍ يُنَادِي: "أَلَا إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ".

فَقَالَ لِي: اذْهَبْ فَأَهْرِقْهَا.

فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ: " لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[المائدة: 93](1).

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (4620)، ومسلم (1980).




شبكة
الألوكة


الفصل السادس
السنة الرابعة من الهجرة



شبكة
الألوكة
www.alukah.net



في المُحرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ أَبي إِلَى طُلَيحَةَ الأسَدِيِّ، فَغنِمَ وأَسَرَ(1):

بَلغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أنَّ طُليحةَ الأَسَديَّ وأخاه سَلَمةَ ابْني خُويلدٍ، قدْ جَمَعا حلفاءَهُم مِنْ بَني أَسدٍ؛ لحربِ النبيِّ ﷺ والنَّيلِ من أطرافِ المَدينةِ، فبعثَ رسُولُ اللهِ ﷺ أبَا سَلَمةَ وعقدَ لهُ لِوَاءً، وقَالَ لهُ: سِرْ حتَّى تأتيَ أرْضَ بني أسدٍ فأغِرْ عليهم، وأوصاهُ بتقوى اللهِ، وبِمَن معهُ مِنَ المسلمينَ خيرًا، وخرجَ معهُ خمسونَ ومائةٌ.

فلمَّا انتهَوا إلى أرضِ بني أسدٍ تفرَّقُوا، وتركُوا إبِلًا وَغنَمًا كثيرَةً، فأخذَ أبو سلمةَ ذلكَ كلَّهُ، وأَسرَ مِنهُم ثلاثةً، وأقبلَ راجِعًا إلى المَدِينةِ(2).

وبلغَ رسولَ اللهِ ﷺ في الخامسِ مِنَ المُحرَّمِ أنَّ خالدَ بنَ سُفيانَ الهُذَليَّ قدْ جمَعَ الناسَ؛ ليغزوَ رسولَ اللهِ ﷺ فبعثَ إليهِ عبدَ اللهِ بنَ أُنيسٍ، وقالَ لهُ: "فَأْتِهِ فَاقْتُلْهُ".

قالَ عبدُ اللهِ بنُ أُنَيْسٍ: يا رسولَ اللهِ، انْعَتْهُ لي حَتَّى أَعْرِفَهُ.

قَالَ: "إنَّكَ إذَا رَأَيْتَهُ أَذْكَرَكَ الشَّيْطَانَ، وَآيَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَنَّكَ إذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشْعَرِيرَةً".

فوصلَ إليه عندَ وقتِ العَصرِ، فلمَّا رآهُ وَجدَ مَا قَالَ لهُ رَسولُ اللهِ ﷺ مِنَ القُشْعَرِيرَةِ، فأقبلَ نحوَهُ، وخَشيَ أنْ يَشغَلَهُ عَنِ صلاةِ العَصرِ، فصلَّى وهُوَ يَمشِي نحوه، يومِئُ برأسِهِ، فلما انتهىَ إليه، قالَ لَهُ: مَن الرَّجل؟

قالَ عَبدُ اللهِ بنُ أُنَيْسٍ: رجلٌ مِنَ العَربِ سمِعَ بكَ، وبجَمعك لهَذا الرَّجلِ، فجاءَكَ لِذلك.

قالَ: أجَلْ، إني لَفِي ذَلِكَ.

فمَشَى معُه شيئًا، فَلَمَّا تَمكَّنَ مِنْهُ، قتلهُ بسيفِهِ، ثم رجَعَ إِلى رسُولِ اللهِ ﷺ.

---

(1) البداية والنهاية (72/4)، حدائق الأنوار (47/1).

(2) انظر: المغازي، للواقدي (340/1-342)، والبداية والنهاية (495/5-496)، وزاد المعاد (218/3).





وكانت غيبةُ عبدِ اللهِ بنِ أُنَيْسٍ في هذِه السَّرِيَّةِ ثَمَانِ عَشرة ليلةً.

قالَ عبدُ اللهِ بنُ أُنيسٍ: قَتَلْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "صَدَقْتَ".

ثُمَّ قَامَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ، وَأَعْطَاهُ عَصًا، وَقَالَ: "أَمْسِكْ هَذِهِ الْعَصَا عِنْدَكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ أُنَيْسٍ".

فَخَرَجَ بِهَا عَلَى النَّاسِ، فَقَالُوا: مَا هَذِهِ الْعَصَا؟

قال عبدُ اللهِ بنُ أُنيسٍ: أَعْطَانِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَهَا.

قَالُوا: أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَسْأَلَهُ لِمَ ذَلِكَ؟

فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَمَ أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ الْعَصَا؟

قَالَ: "آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ أقلَّ النَّاسِ الْمُتخصِّرُون (المتخصرون: أي الذين يأتون يوم القيامة، ومعهم أعمال لهم صالحة يتكئون عليهم) يومئذٍ".

فَقَرَنَهَا عَبْدُ اللهِ بِسَيْفِهِ فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ أَمَرَ بِهَا فَضُمَّتْ مَعَهُ فِي كَفَنِهِ، ثم دُفِنَا جَمِيعًا(1).

وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ الرَّجِيعِ(2):

قَدِمَ على رَسولِ اللهِ ﷺ قومٌ مِنْ عَضَلٍ وَالْقَارَةِ (عضل والقارة: من بني خزيمة بن مدركة)، فقَالوا: يا رسولَ اللهِ، إنَّ فِينَا إسلامًا، فابعثْ معنَا نفرًا من أصحابِكَ يُفَقِّهُونَنَا في الدينِ، ويُقْرِئُونَنَا القُرآنَ، ويُعَلِّمُونَنَا شَرائعَ الإسلامِ.

فبعثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعهُم عشرةَ نَفرٍ، وأمَّرَ عَليهم عَاصِمَ بنَ ثَابتٍ الأنْصاريَّ، وفِيهم مَرثدُ بنُ أبي مَرثَد الغَنَويُّ، وخُبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ، وعَبدُ اللهِ بنُ طَارقٍ.

فَذَهَبُوا مَعهم، فلمَّا كانُوا بالرَّجِيعِ، وهُوَ ماءٌ لهُذيلٍ بِناحيةِ الحِجَازِ غَدَرُوا بِهِم واستَنْصَرُوا عَلَيهم هُذَيْلًا، فَجاءَهم مِائَتَا رامٍ.

---

(1) انظر: مسند أحمد (16047)، وسيرة ابن هشام (2/619–620)، وزاد المعاد (3/218).

(2) تاريخ الطبري (2/77)، البداية (4/73).



فلمَّا رآهُم عَاصمٌ وأصْحَابُه، لجَئُوا إلى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ، وَأَخذُوا أَسْيَافَهُم؛ لِيُقَاتِلُوهُم، وأحاطَ بهم الكفَّارُ، وَقالُوا لهُم: انْزِلوا وأَعْطُونَا بِأَيدِيكُم، ولكُم العهْدُ والمِيثاقُ، ولا نقتلُ مِنكُم أحدًا.

فَقالَ عاصمٌ: أمَّا أنَا فواللهِ لا أَنْزِلُ اليَومَ في ذمَّة كافرٍ، اللهم أخبرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ﷺ.

فَرَمَوْهُم بالنَّبْلِ، فقتَلوا عاصمًا، وستَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ.

وبعثَ بَعضُ كفارِ قريشٍ إليهم حِينَ عَلِمُوا بِمقتلِ عَاصمٍ؛ لِيؤتُوا بشيءٍ منهُ؛ لِيُمَثِّلُوا بِهِ، وكانَ عاصمٌ قدْ قتلَ رجلًا منْ عُظَمَائِهِمْ يومَ بَدرٍ، فبعثَ اللهُ عَلى عَاصمٍ مِثلَ الظُّلَّةِ (الظلة: أي السحابة المظلة) مِنَ الدَّبْرِ (الدبور: مثل النحل لا عسل له)، فَلَمْ يقدِرُوا عَلى قطعِ شيءٍ من لحمِهِ، فَقَالُوا: دَعُوه يُمْسِي حتَّى تَذْهَبَ عَنْه، فَنَأْخُذَهُ، فبعثَ اللهُ المطرَ، فاحْتَمَلَ عَاصِمًا، فذهبَ بِهِ، فَبَحَثُوا عَنْهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، وقَد كانَ عاصمٌ قد عاهَدَ اللهَ ألَّا يَمَسَّهُ مشرِكٌ، ولَا يَمَسَّ مُشركًا أبدًا.

ورَضيَ ثلاثةٌ مِنَ المسلمينَ بالعهدِ والمِيثاقِ، وهمْ خُبَيْبٌ الأنْصاريُّ، وزَيدُ بنُ الدَّثِنَةِ، ورَجلٌ آخرُ.

فلمَّا استمْكَنوا منهم قيَّدُوهُم، فقالَ الرَّجُلُ الثالثُ: هذا أولُ الغدرِ، واللهِ لا أَصْحَبُكُم إنَّ لي في هؤلاءِ لأُسْوةً، فَجَرَّرُوه على أنْ يَصْحَبهُم فأَبى، فقَتَلُوهُ.

وأمَّا خُبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ، وزيدُ بنُ الدَّثِنَةِ، فَقَدِمُوا بهِما مكةَ، وبَاعُوهُمَا، فاشْترَى بنو الحارثِ بنُ عَامرٍ خُبَيْبًا؛ لأنَّه قتلَ الحارثَ بنَ عامرٍ يومَ بدرٍ، فَلبثَ عِندَهُم أَسِيرًا.

وأمَّا زَيْدُ بنُ الدَّثِنَةِ، فَاشْتَرَاهُ صفوانُ بنُ أُمَيَّةَ؛ لِيَقتُلَهُ بأبيهِ أُمَيةَ بنِ خَلَفٍ، وبعثَ بهِ معَ مَولَى لهُ إلى التَّنْعِيمِ؛ لِيَقْتُلَهُ.

وقبلَ أنْ يُقْتَلَ اجْتَمعَ رَهطٌ منْ قُرَيشٍ، فيهمْ أبو سُفيانَ بنُ حربٍ، فقالَ لهُ أبُو سُفيانَ حينَ قُدِّمَ لِيُقتلَ: أنْشُدُكَ اللهَ يا زيدُ، أَتحبُّ أنَّ محمدًا عندنَا الآنَ في مكانِكَ نَضربُ عُنُقَه، وأنَّك في أَهْلِكَ؟





قَالَ: واللهِ ما أُحبُّ أنَّ محمدًا الآنَ في مكانِه الذي هو فيهِ تصيبُه شوكةٌ تُؤذِيه، وأَنّي جالسٌ في أهْلي.

ثُمَّ قَتلَهُ مَولى صَفْوانَ بنِ أُميَّةَ.

وأمَّا خُبَيْبُ بنُ عديٍّ، فمَكثَ عندَ بني الحارثِ بنِ عامرٍ أَسِيرًا إلى أَنْ أَجْمعُوا عَلَى قَتلِهِ، فَلَمَّا اجمعُوا على قَتلِه استعارَ مُوسَى لِيَستَحِدَّ (قيل ليحلق شعر عانته) بِهَا، فأخذَ ابنًا لهُم، وأُمُّهُ غَافِلَةٌ عَنه حينَ أتاهُ، فَوَجَدَتْهُ قدْ أجْلَسَهُ على فَخِذِهِ والمُوسَى بِيدِه، فَفَزِعَتْ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ في وَجْهِها، فقَال لهَا: تَخْشِينَ أنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنتُ لأفعلَ ذلكَ.

قالتْ هَذِهِ المَرْأَةُ: واللهِ ما رأيتُ أسيرًا قطُّ خيرًا من خُبَيبٍ، واللهِ لقدْ وَجَدْتُه يومًا يأكلُ مِنْ قِطْفِ (أي: عنب) عِنَبٍ في يَدِه، وإنَّهُ لَمُوثَقٌ في الحَدِيدِ، وما بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ، إنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللهِ رَزَقَهُ خُبَيبًا.

ثمَّ خَرجُوا بِهِ إلى التَّنْعِيمِ؛ لِيَقْتُلُوهُ، فقَالَ لهُم خُبيبٌ: ذَرُوني أَركعُ رَكْعَتَينِ.

فَترَكُوه، فَرَكعَ رَكْعَتينِ، ثُمَّ قالَ: لَولَا أنْ تَظُنُّوا أنَّ مَا بي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا، اللهم أَحْصِهِمْ عَدَدًا (أي استأصلهم بالهلاك، ولا تبق منهم أحدا)، واقْتُلْهُمْ بَدَدًا (بدادا: أي متفرقين واحدا تلو الآخر)، ولَا تُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا، ثُمَّ قالَ:

لَقَدْ أَجْمعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلَّبُـوا * قَبَائِلَهُمْ وَاسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَـعِ
إِلَى اللهِ أَشْكُو غُرْبَتِي بَعْدَ كُرْبَتِـي * وَمَا أَرْصَدَ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي
وَقَدْ خَيَّرُونِي الْكُفْرَ، وَالْمَوْتُ دُونَهُ * فَقَدْ ذَرِفَتْ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْـزَعِ
مَا أُبَالِي حِينَ أُقْتَـلُ مُسْلِـمًا * عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَـانَ للهِ مَصْـرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَـأْ * يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَـزَّعِ (شلو: أي عضو أو قطعة من اللحم. ممزع: أي مقطع)

فقالَ لهُ أبو سُفيانَ: أَيسرُّكَ أنَّ محمَّدًا عِندَنا تُضربُ عنُقُه، وإنَّكَ في أهْلِكَ؟





فقالَ: لا واللهِ، ما يَسُرُّني أنِّي في أَهْلي، وأنَّ محمَّدًا في مَكَانِه الذِي هُو فِيه تُصِيبُهُ شَوكَةٌ تُؤْذِيه.

فَقتَلَهُ ابنُ الحَارثِ، فكانَ خُبَيبٌ أَولَ منْ سَنَّ هَاتينِ الركعتينِ عندَ القتلِ للمُسلمينِ.

ثُمَّ صَلَبُوا خُبيبًا ووَكَّلوا بهِ مَن يَحرسُ جُثَّته، فَجَاء عَمرُو بنُ أُميَّةَ الضَّمْرِيُّ، فَاحْتَمَلهُ بجذعِهِ ليلًا، فَذَهبَ بِهِ، فَدَفَنَهُ.

واستجابَ اللهُ لعاصمِ بنِ ثابتٍ يومَ قُتِلَ، فَأَخْبرَ النبيُّ أصحَابَه خبرَهُم، ومَا أُصِيبُوا(1).

وَفِي صَفَرٍ أَيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ بئرِ مَعُونةَ(2):

قدِمَ عامِرُ بنُ مَالكٍ على رَسُولِ اللهِ ﷺ المَدينةَ، فدعَاهُ رسولُ اللهِ ﷺ إلى الإسلامِ، فَلمْ يُسلِمْ، ولم يَبعُدْ مِنَ الإسلامِ.

وقال: يا رسولَ اللهِ لو بعثتَ رجالًا من أصحابِكَ إلى أهلِ نجدٍ، فَدَعَوْهُم إلى دِينِك لرجوتُ أنْ يَستَجيبوا لكَ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "إنِّي أخْشَى عَلَيهِم أَهْلَ نَجْدٍ".

قالَ عَامِرٌ: أنا لهُمْ جَارٌ، فابْعَثْهُم، فَلْيَدْعُوا الناسَ إلى أمْرِك.

فبعثَ رسولُ اللهِ ﷺ سبعينَ رَجُلا من أصحابِه، وأمَّرَ عليهِم المنذِرَ بنَ عمرٍو، وكانُوا من خيارِ المسلمينَ وفضلائِهم وقُرَّائِهم، فسارُوا حَتى نَزلوا بِئرَ مَعُونَةَ، فبعثُوا حَرَامَ بن مِلْحَانَ بكتَابِ رسولِ اللهِ ﷺ إلى عَامِرِ بنِ الطُّفَيلِ، فلمَّا أتاهُ لم ينظرْ في كِتَابِه، وأمَرَ رَجلًا، فَطَعَنَه مِن خلفِهِ، فقتَلَهُ، فَقالَ حَرامُ بنُ مِلْحَانَ حِينَئذٍ: اللهُ أَكبرُ، فُزتُ وربِّ الكَعْبَةِ.

---

(1) انظر: صحيح البخاري (3045)، وسيرة ابن هشام (2/169-174)، وزاد المعاد (3/219-221).

(2) تاريخ الطبري (2/80)، الكامل (2/63)، البداية (4/80).





ثمَّ استَنفرَ عَدُوُّ اللهِ بني عامرٍ إلى قِتالِ البَاقِين، فَلَم يُجِيبُوهُ؛ لأجلِ جِوارِ عامرِ بنِ مَالكٍ.

فاستَنْفرَ عَدُوُّ اللهِ بني سُلَيمٍ، فَأَجَابَتْهُ عُصَيَّةُ، ورِعْلٌ، وذَكْوانُ، فجاءوا حتى أحَاطُوا بأصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ فقاتَلُوا حَتى قُتِلُوا جميعًا إلا كَعبَ بنَ زيدٍ، فإنَّهُم تركُوه وبِه رَمَقٌ، فرُفِعَ مِن بَينِ القَتْلَى، فعَاشَ حتى قُتلَ يومَ الخَندقِ.

وكان عمرُو بنُ أميةَ الضَّمْريُّ، والمُنذِرُ بنُ مُحمدٍ، في سَرْحِ (سرح: هي الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة) المُسلِمينَ، فلمْ يُنْبِئْهُمَا بِمقتلِ أصحابِهِما إلا الطيرُ تَحومُ على العَسكَرِ، فقَالا: واللهِ إنَّ لهذِه الطيرِ لشأنًا، فأقبلَا لينظُرَا، فوجدُوهُم في دِمائِهِم قَد قُتِلوا، ووَجَدُوا القومَ الذِين قَتَلُوهُم لمْ يذْهَبُوا، فَقالَ المُنْذِرُ بنُ مُحَمَّدٍ لعمرِو بنِ أُمَيَّةَ: مَا تَرَى؟

قالَ: أَرَى أنْ نَلحَقَ برسولِ اللهِ ﷺ فَنُخْبِرَهُ الخبرَ.

فقالَ المُنذِرُ: لكِني ما كُنتُ لأَرْغَبَ بنَفْسِي عن مِثلِ هذَا الموطنِ.

ثم قاتَلَ القومَ حتى قُتِلَ، وأخذُوا عمرَو بنَ أُمَيَّةَ أسيرًا، فلمَّا أخبرَهُم أنَّه مِن مُضَرَ، أطْلَقَه عامرُ بنُ الطُّفَيلِ.

ورَجعَ عمرُو بن أُمَيَّةَ، فلمَّا كانَ في طريقه نحوَ المَدِينَةِ نَزلَ في ظِلِّ شَجرةٍ، فَجاءَ رَجُلانِ من بَني كِلابٍ فنزَلَا معَهُ، فلمَّا نامَا، فَتكَ بِهما عَمْرٌو وهُو يَظُنُّ أنه قدْ أصابَ ثأرَ أَصْحَابِهِ، فوجَدَ معهُمَا عَهدًا مِن رسولِ اللهِ ﷺ لم يعْلَمْ بهِ، فلمَّا قدم أخبرَ رسولَ اللهِ ﷺ بما فَعَل، فقَال: "لقَدْ قَتَلْتُ قَتِيلَينِ لأَدِيَنَّهُمَا"(1). (أي: لأدفع ديَّتهما)

ونَزلَ جبريلُ عليه السلام عَلى النَّبيِّ ﷺ فَأَخبرَه بِمَقْتَلِ أَصحابِه قبلَ أنْ يأتِيَهُ خَبرُهُمْ، ونَزلَ فِيهِمْ قُرآنٌ: «أَنْ بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا»، ثُم نُسِخَ.

---

(1) انظر: صحيح البخاري (2801، 3064)، ومغازي الواقدي (1/346-352)، وسيرة ابن هشام (2/182-186)، وزاد المعاد (3/221-223).






وَظَلَّ رَسولُ اللهِ ﷺ يَقْنُتُ في صَلاتِه شَهْرًا بَعدَ الركوعِ يَدعُو على الذِينَ قَتَلُوا أَصحابَهُ القُرَّاءَ بِبئرِ مَعُونَةَ(1).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عمرِو بنِ أميَّةَ الضَّمريِّ لقتلِ أبي سفيانَ لكنَّه لمْ يتمكَّنْ مِنْهُ(2):

قَالَ أبُو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ لِنَفَرٍ مِنْ قريشٍ بِمكةَ: مَا أَحدٌ يَغْتَالُ مُحَمدًا؟ فإنَّه يَمشي في الأَسْواقِ، فنُدْرِكَ ثأرنا؟

فأتَاهُ رجلٌ، وقالَ لهُ: إنْ أنتَ قوَّيْتَني خَرجتُ إليهِ حتَّى أغْتالَهُ، فَإني هادٍ بِالطَّرِيق خرِّيتٌ (خريت: أي دليل ماهر بالطريق)، مَعي خِنجَرٌ مِثلُ خَافيةِ النَّسْرِ (والخافية: ريشة إذا ضم الطائر جناحيه خفيت) فَأعطاهُ أبو سفيان بعيرًا ونفقةً، وقال لهُ: اطْوِ أمرك؛ فإني لا آمنُ أنْ يسمعَ هذَا أَحدٌ فيَنْمِيهِ إلى محمدٍ.

فَقالَ الرَّجلُ: لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ.

فخَرجَ الرجلُ ليلا عَلى رَاحِلَتِهِ نحو المَدينَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ، أتى المُصَلَّى، فسَأَلَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقيلَ لهُ: قَد تَوجَّه إلى بَني عبدِ الأشْهلِ.

فَخَرَجَ الرَّجلُ حتى انْتَهى إلى بَني عبدِ الأَشْهَلِ، فَأقبلَ نَحوَ رسولِ اللهِ ﷺ، فوجدَهُ في جماعةٍ من أصحابِه، يحدِّثُهُمْ، فدخلَ فلَمَّا رَآهُ رسولُ اللهِ ﷺ قالَ لأَصحابِه: إنَّ هذَا الرجلَ يريدُ غدرًا، واللهُ حَائلٌ بينَه وبينَ ما يُرِيدُهُ.

فَوقفَ الرَّجُلُ، وقالَ: أيُّكُمُ ابنُ عبدِ المُطَّلِبِ؟

فقالَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِبِ.

(1) متفق عليه: رواه البخاري (3064)، ومسلم (677)، عن أنس.

(2) تاريخ الطبري (2/79)، الكامل (2/60)، البداية (4/80).





فذهبَ يَميلُ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ كأنَّهُ يُسَارُّهُ، فَجبَذَهُ أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ، وقالَ لَهُ: تنحَّ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ وجَذَبَ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فإذَا الخِنْجَرُ.

فقالَ: يا رسولَ اللهِ، هذَا غَادِرٌ.

فَقالَ الرَّجُلُ: دَمي دَمي يا محمد.

وأخذَ أُسيدُ بنُ حُضَيرٍ يُلبِّبُهُ، فقالَ لهُ النَّبيُّ ﷺ: "اصْدُقْنِي، مَا أَنْتَ وَمَا أَقْدَمَكَ؟ فَإِنْ صَدَقْتَنِي نَفَعَكَ الصِّدْقُ، وَإِنْ كَذَبْتَنِي فَقَدْ أُطْلِعْتُ عَلَى مَا هَمَمْتَ بِهِ".

قال الرَّجلُ: فأنَا آمِنٌ؟

قَالَ النَّبيُّ ﷺ: " فَأَنْتَ آمِنٌ".

فأخبرَه بخبرِ أبي سُفيانَ، فأمَرَ النبيُّ بِحَبسِهِ، فَلَمَّا جاءَ الغَدُ، قَالَ لَهُ النبِيُّ ﷺ: " قَدْ آمَّنْتُكَ، فَاذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ، أَوْ خَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ؟".

قالَ الرَّجُلُ: ومَا هُو؟

فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: " أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ".

فأسلمَ، ثُمَّ استأذنَ النَّبيَّ، فَخرجَ مِن عِندِه ولم يُسمَعْ لهُ بِذِكرٍ.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لعَمرِو بنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، ولِسَلَمةَ بنِ أَسْلَمَ: "اخْرُجَا حَتَّى تَأْتِيَا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، فَإِنْ أَصَبْتُمَا مِنْهُ غِرَّةً، فَاقْتُلَاهُ".

قالَ عَمْرٌو: فخَرَجْتُ أنَا وصَاحِبي حَتَّى أَتَينا يأجَجَ (مكان قريب من مكة) فقيدنا بَعِيرَنا، وقالَ لي صَاحِبي: يَا عَمرُو، هَلْ لَك في أنْ نأتيَ مكَّةَ فَنَطوفَ بالبيتِ سَبْعًا، ونُصَلِّي رَكعتينِ؟

فقُلتُ: إني أَعْرَفُ بِمَكَّةَ مِنَ الفرسِ الأبْلقِ (أي: أسود وأبيض)، وإنَّهم إنْ رَأَوني عَرفُوني، وأنا أَعْرِفُ أهلَ مكةَ إنَّهم إذا أَمْسَوا اضْطَجَعُوا بأَفْنِيَتِهِم، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَتَيْنَا الْبَيْتَ، فَطُفْنَا سَبْعًا، وَصَلَّينَا رَكْعَتَينِ.





فَعرَفَهُما معاويةُ بنُ أبي سُفيانَ، فأخبرَ أباهُ، فتجمَّعَ أهلُ مَكةَ للفَتكِ بِهِمَا، فهَرَبَ عمرٌو وَسَلَمةُ إلى الجَبلِ، وخرَجَ أهلُ مكَّةَ في طَلَبِهِمَا.

فدَخَلا غَارا فبَاتَا فيه حَتى أصْبَحا، فأقبلَ رَجلٌ مِنْ مَكَّةَ نحوَ الغَارِ، فلمَّا اقْتربَ مِنَ الغارِ قتَلَهُ عمرٌو، فَسقطَ وَصاحَ، فأسمعَ أهلَ مكةَ فأقبلُوا نحوَه، ودخلَ عمرٌو وسَلمةُ الغارَ، فلمَّا أتى أهلُ مكةَ سألُوا صَاحِبَهُم: مَن قَتلَكَ؟

فقالَ: عمرُو بنُ أُمية الضَّمْرِيُّ.

ولمْ يَستَطعِ أنْ يُخبرَهُم بمكانِهما؛ لأنَّه كانَ بآخرِ رَمَقٍ، فمَاتَ، وشُغِلوا بهِ عنِ البحثِ عَن عمرٍو، وسَلَمَةَ.

فمَكثَا في الغارِ ليلتَينِ، ثُمَّ قالَ سلمةُ لعَمرٍو: يا عَمرُو هلْ لكَ في خُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ نُنْزِلُهُ؟

فقالَ عَمرٌو: أَينَ هُوَ؟

قَالَ سلمةُ: هو ذَاكَ مَصْلُوبٌ، حولَه الحَرَسُ.

فقال عَمرٌو: أَمْهِلني، وتَنحَّ عَني فإنْ خَشِيتَ شيئًا فَانخ إلى بَعيركَ، فاقْعُدْ عَليه، فأتِ رسولَ اللهِ فأَخْبِرْهُ الخبرَ وَدَعْني، فَإنِّي عالمٌ بالمَدينةِ.

ثم أَسرَعَ عمرٌو نحوَ خُبَيبٍ، فحَمَلَه بِجِذْعِهِ على ظَهْرِه، فمَا مَشَى بِه إلا عِشرِين ذِراعًا حَتى استيقَظَ أهلُ مَكَّةَ عَلى صَوتِ الجِذْعِ حِينَمَا وَقَعَ، فَخَرَجُوا في أَثَرِه، فألقَى عمرٌو خُبَيبًا، ثمَّ أَهالَ عليهِ التُّرابَ، ثم أسْرعَ نحو المَدينةِ، فلمْ يستطعْ أهلُ مكَّةَ أن يَلحَقُوا به، فرَجَعُوا.

وانطلقَ سَلمةُ إلى البَعيرِ، فرَكِبَهُ وأتى النَّبيَّ ﷺ فأَخْبَرَهُ الخَبَرَ، وفي أثناءِ طريقِ عمرٍو دَخلَ غارًا، فوجدَ فيه رجُلا مشركًا مِن بَني الدِّيلِ، يقولُ:

فَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ ما دُمْتُ حَيًّا * ولَسْتُ أَدينُ دِينَ المُسْلِمِينا





فقتلهُ، ثمَّ انْطَلَقَ نحوَ المَدينةِ، وفي طريقِه وجدَ رَجُلينِ بَعَثَهُمَا قريشٌ يَتَجَسَّسَانِ الأخبارَ، فقالَ لهمَا: اسْتَأْسِرا. (أي: كونا أسيرين لي)

فأبى أحدُهما، فقتَلَه، وقيَّدَ الآخرَ، وأخذَه أسيرًا نحوَ المَدينةِ، فلمَّا قدِمَ المدينةَ دعَا له النبيُّ ﷺ بخيرٍ.

وكانَ قُدومُ سَلمةَ قبلَ قُدُومِ عمروٍ بثلاثةِ أيامٍ(1).

وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ؛ غدرتْ يَهودُ بني النضيرِ، فحَاصَرَهُم النبيُّ ﷺ ثُمَّ أجْلاهم عنِ المدينةِ(2):

خَرجَ النبيُّ ﷺ إلى يَهودِ بَني النَّضيرِ؛ لِيُعينُوهُ في دِيَةِ القَتيلينِ الذينِ قَتَلَهُما عمرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْريُّ؛ للعَهدِ الذي كانَ رسولُ اللهِ عقدَ لهُما.

فلمَّا أَتاهُم رسولُ اللهِ ﷺ يَستَعِينُهُم في دِيةِ هَذَينِ القَتيلينِ، قَالُوا نَعَمْ يا أبَا القاسمِ نُعينُكَ علَى ما أحْبَبتَ، ممَّا استَعَنتَ بِنا عَليه.

وكَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ جالسًا إلى جنبِ جدارٍ مِن بُيُوتِهِم ومَعَهُ جَمَاعَةٌ مِن أَصحابِهِ، فخَلا بعضُ يهودِ بني النَّضِيرِ ببعضٍ، فَقَالُوا: إنَّكُم لَنْ تجِدُوا الرَّجُلَ عَلى مِثلِ حالهِ هذِه فمَنْ يَعْلُو على هَذا البيتِ، فَيُلقِيَ عَلَيه صَخْرَةً، فَيُرِيحَنَا مِنْهُ؟

فَصعِدَ أَشْقَاهُم عمرُو بنُ جَحَّاشٍ عَلى جدارِ البيتِ؛ لِيُلْقيَ عَلى النَّبيِّ ﷺ صَخْرَةً، فنزلَ جبريلُ عليه السلام عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ يُعلِمُهُ بِمَا هَمُّوا بِهِ، فَنهضَ رَسولُ اللهِ ﷺ مِن وقتِهِ رَاجعًا إلى المَدينةِ، ثُمَّ تجهَّزَ وخرجَ بِنَفْسِه لحَرْبِهِم، واسْتَعْمَلَ عَلى المَدينةِ ابنَ أمِّ مكتومٍ.

فتَحَصَّنَ بَنُو النَّضِيرِ بحُصونِهِمْ، فحَاصرَهُم النَّبيُّ سِتَّ لَيالٍ، وَأمَرَ بِقَطْعِ نَخيلِ بَني النَّضِير، وتَحْرِيقِهَا، فَنَادُوهُ:

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/542–545)، وتاريخ الطبري (2/542–544)، ودلائل النبوة، للبيهقي (3/333–337)، والبداية والنهاية (5/517–519).






أَنْ يَا محمَّدُ، قد كنتَ تَنْهَى عنِ الفسادِ، وتُعيبُهُ على مَنْ صَنعَهُ، فما بالُ قَطعِ النَّخِيلِ، وتَحْرِيقِهَا؟

فأنزلَ اللّهُ تَعالى: "مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ"[الحشر: 5].

وأرسلَ رهطٌ مِنْ بَني عَوفٍ، منهُم عدُوُّ اللهِ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابنِ سَلولٍ إلى يَهُودِ بني النَّضيرِ: أنِ اثْبُتُوا، فَإِنَّا لنْ نُسَلِّمَكُم، إنْ قُوتِلْتُم قَاتَلْنَا مَعكُم، وإنْ أُخْرِجْتُم خَرَجْنا مَعَكُم، فَلمْ يَفْعَلُوا.

فانزل الله تعالى قوله: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ * لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ"[الحشر: 11 – 14].

وقَذفَ اللّهُ تعالى في قلوبِ بَني النَّضِيرِ الرُّعْبَ، وَسَألوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أنْ يُرَحَّلُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، ولا يُقْتَلُوا، عَلى أنَّ لهُمْ ما حملتِ الإبلُ مِن أمْوالِهِمْ إلا السِّلاحَ، فَفَعلَ.

فَحمَلُوا مِنْ أمْوالِهِم مَا اسْتَطَاعُوا حمْلَهُ، فكانُوا يُخرِّبُونَ بُيُوتَهُم بِأيدِيهِم، وحمَلُوا النساءَ والصِّبيانَ، ورَحَلُوا عَلى سِتِّمِائةِ بَعِيرٍ.

فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنهُم إلى خَيْبَرَ مِنهُمْ: زَعِيمُهُم حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ، وسَلَّامُ بنُ أَبي الحُقَيْقِ، وذَهبتْ طائفةٌ مِنهم إلى الشَّامِ، وحَزِنَ المُنَافقونَ عَليهِم حُزنًا شديدًا.

وَأَسْلمَ مِنْ بَني النَّضِيرِ رَجُلَانِ، فَأَخذَا أموالَهُمَا.






وَكَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ (الفيء: ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير قتال) **اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِمَّا لَمْ يُوجِفِ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ، فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللهِ خَاصَّةً، يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ مِنْهَا نَفَقَةَ سَنَتِهِ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلاَحِ وَالخَيلِ، عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللهِ.**

وَأَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ خاصةً، ولَمْ يُعْطِ أَحَدًا مِن الأَنْصَارِ إِلا أَبَا دُجَانَةَ، وسَهْلَ بنَ حُنَيفٍ؛ لِفَقْرِهِمَا.

وَفي هَذِه الغَزوةِ نَزلتْ سُورَةُ الحَشْرِ.

وَفِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وقعتْ غزوةُ بَدرٍ الآخِرَةِ(2):

تقدَّمَ أنَّ أَبا سُفْيَانَ قالَ عِندَ انْصِرَافِهِ مِنْ أُحُدٍ: موعِدُكُمْ وإِيَّانَا العَامَ القَابِلَ بِبدرٍ، فلمَّا كانَ شَعْبَانُ مِنَ العَامِ القَابلِ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لمَوعِدِهِ في ألفٍ وخَمْسِمائةٍ، وكانتِ الخيلُ عَشْرَةَ أَفْراسٍ، وحمَل لواءَهُ عَليُّ بنُ أبي طالبٍ، واسْتَخْلَفَ على المَدينةِ عَبدَ اللهِ بنَ رَواحَةَ، فانْتَهَى إِلى بَدْرٍ، فَأقامَ بِها ثَمَانيةَ أيامٍ يَنتَظِرُ المُشْرِكينَ.

وخَرَجَ أَبُو سفيانَ بالمُشرِكِينَ منْ مَكَّةَ، وهُمْ أَلفَانِ ومَعَهُم خَمْسُونَ فَرَسًا، فلمَّا انتهَوا إِلى مَرِّ الظَّهْرَانِ (مر الظهران: واد كبير من أودية تهامة، يقع غرب المملكة العربية السعودية، يبعد عن مكة نحو خمسين كيلو متر تقريبا، ويسمى الآن بوادِ فاطمة) **بِمَجَنَّةَ قالَ لهُمْ أبُو سُفْيانَ: إنَّ العَامَ عَامُ جَدْبٍ، وقدْ رأيتُ أني أَرْجعُ بِكُمْ، فَانْصَرفُوا رَاجِعِينَ، وأَخْلفُوا المَوْعِدَ، فَسُمِّيَتْ هَذِهِ بَدْرَ المَوعِدِ، وتُسَمَّى بَدْرَ الآخِرَةِ(3).**

---

(1) انظر: صحيح البخاري (1757، 2904، 4884، 4885)، وصحيح مسلم (1746، 1757)، ومغازي الواقدي (1/364-380)، وسيرة ابن هشام (2/190-191)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (2/57-58)، وزاد المعاد (3/222-223).

(2) تاريخ الطبري (2/87)، البداية (4/99).

(3) انظر: سيرة ابن إسحاق، صـ (316)، وسيرة ابن هشام (2/209-210)، وزاد المعاد (3/228).






الفصل السابع
السنة الخامسة من الهجرة



وفي رَبيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الخامسة من الهجرة: غَزَا رَسولُ اللهِ ﷺ دُومَةَ الجَنْدَلِ(1):

بلغَ رسولَ اللهِ ﷺ بدُومَةِ الجَنْدَلِ (منطقة تبعد عن المدينة مسيرة خمس عشرة ليلة) جمعًا كثيرًا يريدونَ حَربَهُ، والنَّيلَ مِنْ أَطْرَافِ المَدِينةِ، فاسْتَخْلَفَ عَلى المَدِينةِ سِبَاعَ بنَ عُرْفُطَةَ، وخرَجَ في ألفٍ منَ المُسلمينَ، ومَعَهُ رَجُلٌ يَهْدِيهِ الطَّرِيقَ.

فَلمَّا دنَا مِنهُم لم يَجدْهُم، فهَجَمَ عَلى مَاشيتِهم ورُعَاتِهم، فأصاب بَعْضَهُمْ، وهَرب البعضُ الآخَرُ، ولَمَّا جاءَ الخَبرُ أهلَ دُومةِ الجَنْدَلِ، فتفرَّقُوا، ونزلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَاحَتِهِم فلمْ يَجِدْ فِيها أحدًا، فأقامَ بها أيامًا وبَثَّ السرايَا، وفرَّقَ الجُيوشَ، ثُمَّ رجَعَتِ الجُيُوشُ إليهِ بعْدَ يومٍ، ولم يَأتُوا بشيءٍ، فرجَعَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى المَدِينةِ(2).

وَفِي رَجبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفدُ مُزَيْنَةَ على رسولِ اللهِ ﷺ(3).

وَفِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: غَزَا رسولُ اللهِ ﷺ بَنِي المُصْطَلِقِ على الرَّاجحِ(4):

بلغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أنَّ سَيِّدَ بَني المُصْطَلِقِ الحَارِثَ بنَ أَبي ضِرَارٍ (هو أبو جويرية بنت الحارث التي تزوجها النبي) جَمَعَ قَومَهُ، ومَنْ قدَرَ عَليهِ مِنَ العربِ؛ لِحَرْبِ رسولِ اللهِ ﷺ فبعثَ رَسولُ اللهِ ﷺ بُرَيْدَةَ بنَ الحُصَيْبِ؛ لِيأْتِيهِ بخبرِهِم، فأتَاهُمْ، ولَقِيَ الحارِثَ بنَ أَبي ضِرارٍ، وكلَّمَهُ، فَرجَعَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، وأَخْبَرَهُ خَبَرَهُمْ.

فَحثَّ رَسولُ اللهِ ﷺ المُسلِمينَ عَلى الخُرُوجِ، فَأَسْرَعُوا مُمْتَثِلِينَ أَمْرَهُ، واسْتَخْلَفَ على المَدينةِ زيدَ بنَ حَارِثةَ، وخَرَجَ يومَ الاثنينِ لليلتينِ خَلَتَا منْ شَعْبانَ.

---

(1) عيون الأثر (2/54)، الكامل (2/69)، البداية والنهاية (4/104).

(2) انظر: مغازي الواقدي (1/402–404)، وسيرة ابن هشام (2/213)، وزاد المعاد (3/229).

(3) سبل الهدى (6/632).

(4) مرويات غزوة بني المصطلق للقريبي (90: 100).



وبَلغَ الحَارثَ بنَ أبي ضِرَارٍ، ومَنْ مَعَهُ مَسِيرُ رسولِ اللهِ ﷺ، وَقَتلُ رسولِ اللهِ ﷺ للجَاسوسِ الذِي أَرْسلَهُ الحَارِثُ؛ لِيأْتِيَهُ بخَبَرِ المُسلمينَ، فَخَافوا خَوفًا شَديدًا، وتَفرَّقَ عَنْهُم مَنْ كانَ مَعَهُم منَ العَربِ، وانْتَهَى رسولُ اللهِ ﷺ إلى المُرَيْسِيعِ، وهُوَ مكانُ الماءِ، فَضَربَ عَليهِ قُبَّتَهُ، وَمَعَه عَائشةُ رضي الله عنها.

فَتَهَيَّؤا للقِتَالِ، وصفَّ رَسولُ اللهِ ﷺ أصحابَه، وكانتْ رايةُ المُهاجرينَ معَ أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، ورايةُ الأنْصارِ معَ سَعدِ بنِ عُبادَة، فترامَوا بالنَّبلِ سَاعةً، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ أصحابَه، فَحَمَلوا حمْلةَ رَجُلٍ واحدٍ، فكانتِ النُّصرةُ، وانهزمَ المُشْرِكونَ، وقُتِلَ منْ قُتِل مِنْهُم، وسَبى رسولُ اللهِ ﷺ النِّساءَ والأطفالَ، والنَّعَمَ، والشَّاءَ.

وتُسمَّى هذِه الغَزْوَةُ بالمُرَيْسِيعِ(1).

وكانَ مِنْ جُملةِ السَّبي جُوَيْرِيَةُ بِنتُ الحَارِثِ(2)، فَلمَّا قَسَمَ النبي ﷺ السَّبايَا وَقعتْ جُوَيْرِيَةُ في سَهْمِ ثَابتِ بنِ قَيسِ بنِ الشَّمَّاسِ، فَكَاتَبَتْهُ على عِتْقِهَا، فأَتتْ رسولَ اللهِ ﷺ تَسْتعِينُه في كِتَابتِها، فَقَالتْ: يَا رسولَ اللهِ، أنَا جُوَيْرِيَةُ بِنتُ الحارثِ بنِ أَبي ضِرارٍ سَيِّدِ قومِهِ، وَقدْ أصَابَني مِنَ البَلاءِ مَا لمْ يَخْفَ عَلَيكَ، وَوَقَعْتُ في السَّهمِ لَثابتِ بنِ قَيْسِ بنِ الشَّمَّاسِ، فَكاتَبْتُهُ عَلى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ علَى كِتَابَتِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "فَهَلْ لَكِ في خَيرٍ مِنْ ذَلكَ؟"

قَالتْ: ومَا هُوَ يا رَسولَ اللهِ؟

قَال: "أَقْضي كتابَتَكِ وأتزوَّجُكِ".

قَالتْ: نَعَم يا رَسولَ اللهِ.

---

(1) انظر: صحيح البخاري (2541)، وصحيح مسلم (1730)، وسيرة ابن هشام (2/289-294)، وزاد المعاد (3/229-231).

(2) انظر: صحيح البخاري (2541)، وصحيح مسلم (1730)، وسيرة ابن هشام (2/294).



قَالَ: "قَدْ فَعَلْتُ".

وخَرجَ الخَبرُ إلى الناسِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ تزوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الحَارِثِ.

فَقَالَ المُسلمونَ: أَصْهارُ رَسُولِ الله ﷺ، فأَعْتَقُوا مَا بِأَيدِهِمْ مِنْ أُسَارى بني المُصْطَلِقِ، فَقدْ أُعْتِقَ بتزويجِهِ إياهَا مِائةُ أهْلِ بيتٍ مِنْ المُصْطَلِقِ.

قالتْ عَائشةُ رضي الله عنها: فمَا أعلَمُ امْرأةً كانتْ أَعْظمَ بَرَكَةً عَلى قَومِهَا مِنْها(1).

{حادثة الإفك}

خرجَ رَسولُ اللهِ ﷺ بعَائِشةَ رَضي الله عنهَا في غزوةِ بني المُصْطَلِقِ، بِقُرْعةٍ أصابَتْها، وكانتْ تلكَ عادتُهُ معَ نسائِه، فلمَّا رَجَعُوا منَ الغَزوةِ نزلُوا في بَعضِ المَنَازِلِ، فَخرجَتْ عائشةُ رضي الله عنها لقَضَاءِ حَاجَتِهَا، ثمَّ رَجَعَتْ، ففَقَدتْ عِقدًا لأخْتِها كانتْ أعَارَتْهَا إيَّاهُ، فَرَجَعَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ في المَوضعِ الذِي فَقَدَتهُ فيهِ، فَجاءَ النَّفَرُ الذِينَ كانُوا يَحْمِلُونَ هودَجَهَا، فظَنُّوهَا فيهِ، فَحَمَلُوا الهودَجَ، ولَا يُنْكِرُونَ خِفَّتَهُ، لأنَّها رضي الله عنها كانَتْ حَدِيثَةَ السِّنِّ لمْ يَمْلَئْهَا اللَّحْمُ الذِي كانَ يُثقِلُهَا، وأيضًا لأَنَّ النَّفرَ لمَّا حمَلُوا الهَودجَ جَمِيعًا، فَلم يُنْكِرُوا خِفَّتَهُ، ولو كانَ الذِي حمَلَهُ واحدٌ أو اثنانِ لم يَخْفَ عليهِما الحالُ.

فرجَعَتْ عائشةُ إلى مَنازِلِهم، وقَدْ وَجَدَتِ العِقْدَ، فَلمْ تَجِدْ أَحَدًا، فَقَعَدتْ في المَنزِلِ، وظَنَّتْ أنَّهُم سَيفْقِدُونَهَا، فيرجِعُونَ في طَلَبِها، واللهُ غالبٌ على أمْرِه يُدبِّرُ الأمْرَ فَوقَ عَرشِهِ كما يَشاءُ، فَغَلَبتها عَيناهَا، فنَامَتْ، فلمْ تَستَيقِظْ إلَّا بِقَولِ صَفْوَانَ بنِ المُعَطَّلِ: إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجِعُونَ زَوْجةُ رَسولِ اللهِ.

---

(1) حسن: رواه أبو داود (3931)، وأحمد (26365)، عن عائشة، وحسنه الألباني في الإرواء (1212).



وكانَ صَفوانُ في أُخْرَياتِ الجيشِ؛ لأنَّ رَسُولَ اللهِ كانَ يَجْعَلُ رَجُلًا يَتَأَخَّرُ عنِ الجيشِ إذا رَحَلَ الناسُ ثُمَّ يتَّبِعُهُم فمَنْ سَقطَ لهُ شيءٌ أتاهُ بهِ.

فلمَّا رَأى صَفْوَانُ عَائِشَةَ عَرَفَها، وكانَ يَراهَا قبلَ نُزُولِ الحِجَابِ، فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فقرَّبَهَا إِليها، فركِبَتْهَا ومَا كلَّمَهَا كلِمةً واحِدةً، ولمْ تسمَعْ مِنهُ إِلَّا اسْتِرْجَاعَهُ، ثمَّ سارَ بهَا يقودُها حتَّى قدِمَ بِهَا، وقدْ نزَلَ الجيشُ في مُنْتَصَفِ الظَّهِيرةِ.

فلمَّا رأى ذَلك الناسُ تَكَلَّمَ كلٌّ مِنْهُم بِشَاكِلَتِهِ، ومَا يَليقُ بِهِ، ووَجَدَ الخَبيثُ عدوُّ اللهِ ابنُ أُبَيٍّ مُتَنَفَّسًا، فَتنفَّسَ منْ كَرْبِ النِّفاقِ والحَسَدِ الذِي بينَ ضُلُوعِهِ، فَجَعلَ يسْتَحْكِي الإفْكَ ويَسْتَوشِيهِ، ويُشِيعُهُ ويُذِيعُهُ، وكانَ أصْحَابُه يَتقَرَّبُونَ إِليهِ بِالحدِيثِ عنِ الإفْكِ.

فلمَّا قدِمُوا المَدِينةَ أفَاضَ أهلُ الإفكِ في الحَديثِ، ورَسولُ اللهِ ﷺ سَاكتٌ لا يَتَكَلَّمُ.

وظلَّتْ عَائشةُ رضي الله عنها مَرِيضةً شهرًا، والناسُ يُشيعونَ قولَ أصْحابِ الإفْكِ، والذِي جَعَلَ عَائِشَةَ رضي الله عنها تَشُكُّ وَتَتَوَهَّمُ حُصولَ أمرٍ أنَّها لمْ ترَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ اللُّطفَ الذي كانتْ تراهُ عندمَا تَمرَضُ، وإنمَا كانَ النبيُّ يَدخلُ عَلَيها، ويقولُ: "كَيْفَ تِيكُمْ". (تيكم: إشارة للمؤنث)

وَلَمْ تَعْلَمْ عَائِشَةُ بالذِي يقولُه أهلُ الإِفْكِ حتَّى بَرِئَتْ منْ مَرَضِهَا، وَخَرَجتْ هيَ وأمُّ مِسْطَحٍ ليلًا لِقَضَاءِ حَاجَتِهِمَا في الصَّحراءِ، فلمَّا رَجَعَتَا، تَعَثَّرَتْ أمُّ مِسْطَحٍ في ثَوبِهَا، فَقالتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ.

فَقَالتْ لهَا عَائِشةُ رضي الله عنها: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟

فقَالتْ: يَا هَنْتَاهْ (أي: يا هذه)، ألمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟

فَأَخْبَرَتْها بمَا قالَ أهلُ الإفكِ، فازْدَادَتْ مَرضًا على مَرضِهَا، فلمَّا رجعَتْ إلى بيتِها، دخلَ عليهَا رسولُ اللهِ ﷺ، فَسَلَّمَ عَلَيهَا، وقالَ: "كَيْفَ تِيكُمْ؟"

فقالتْ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ.

لِتَسْتَيْقِنَ الخَبرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فأذِنَ لهَا رسولُ اللهِ ﷺ، فأتَتْ أبَوَيهَا، فَقالتْ لأُمِّهَا: مَا يَتَحدَّثُ به الناسُ؟

فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي على نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فواللهِ لقلَّمَا كانتِ امرأةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ (أي: جميلة) عِندَ رَجُلٍ يحبُّها ولهَا ضَرَائِرُ (غيرها من زوجات بعلها)، إلَّا أَكْثَرْنَ عليها (أي: يُعبْنها) فقالت عائشةُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَلَقَدْ يَتَحدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا.

فَبَاتَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحَتْ لَا يَنْقَطِعُ لهَا دَمْعٌ، وَلَا تَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ.

فلمَّا تَأَخَّرَ نُزُولُ الوَحْيِ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَليَّ بنَ أبي طَالبٍ، وأُسامةَ بنَ زيدٍ يَستَشِيرُهُمَا في فِرَاقِهَا، فأشارَ عَليهِ أُسَامَةُ بِإمْسَاكِهَا وألا يَلتفتَ إلى كلامِ الأعداءِ؛ لمَّا عَلِمَ حُبَّ رَسولِ اللهِ ﷺ لها ولأَبِيها، وعَلِمَ عفَّتَها وبراءَتَها وحصانتَها وديانتَها ما هيَ فوقَ ذلكَ وأعظمُ مِنهُ، وأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أكرمُ على ربِّه وأعزُّ عليهِ مِنْ أنْ يجعلَ تحتَه امرأةً بَغيًّا.

وأما عليٌّ فقالَ: يا رَسولَ اللهِ، لم يُضَيِّقِ اللهُ عليكَ، والنِّساءُ سِواهَا كثيرٌ، وَسَلِ الجَاريةَ تصدُقْكَ.

فقد رَأَى عَليٌّ؛ أنْ ما قِيلَ مشكوكٌ فيهِ فأشارَ بتركِ الشَّكِّ والرِّيبَةِ إلى اليَقينِ؛ لِيتَخلَّصَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الهَمِّ والغَمِّ الذي لحِقَهُ مِنْ كلامِ النَّاسِ، فأشارَ بِحسْمِ الدَّاءِ.

وَسَأَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ زَيْنبَ بِنتَ جَحْشٍ عَنْ أَمرِ عَائِشةَ، فَقَالَ: "يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ؟ مَا رَأَيْتِ؟"

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا.

فَقَدْ عَصَمَهَا اللهُ بِالوَرَعِ، وقَدْ كَانَتْ تُضَاهِي عَائِشَةَ في مَكَانَتِهَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَدعَا رَسولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: "يَا بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟"

فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ (أعيبه عليها) عَلَيْهَا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ العَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ (الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى) فَتَأْكُلُهُ.

فَقَامَ رسولُ اللهِ ﷺ منْ يومِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ (فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول: أي طلب من يعذره منه، أي: من ينصفه منه)، فَقَالَ النبي ﷺ: "مَنْ يَعْذِرُنِي (أي: من يقوم بعذري إن عاقبته على سوء فعله؟، وقيل: أي من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله، ولا يلومني) مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي".

فقامَ سَعدُ بنُ معاذٍ، فقالَ: يا رَسولَ اللهِ، أنَا واللهِ أعذرُكَ منْهُ إنْ كانَ مِنَ الأوسِ ضَربْنَا عُنُقَهُ، وإن كانَ منْ إخوانِنا مِنَ الخَزرجِ أمَرْتَنا، فَفَعَلْنَا فيهِ أمْرَكَ.

فقَامَ سعدُ بنُ عُبادَةَ – وهُو سِيدُ الخزرجِ، وقَدْ أغْضَبهُ مَا قَالَ سَعْدٌ – فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، لَا تَقْتُلُهُ، ولا تقدر على ذلك.

فقامَ أُسَيْدُ بنُ الحُضَيرِ، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، وَاللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فإنَّكَ مُنَافِقٌ (أي: تفعل في أفعال المنافقين) تجادِلُ عَنِ المُنَافِقينَ.

فكادَ الأوسُ والخَزرجُ يَقْتَتِلانِ، لولَا أنَّ رَسولَ الله ﷺ نَزلَ عَنِ المِنبرِ، وتلطَّفَ بِهِمْ حتَّى سَكَتُوا.

وظلَّتْ عائِشَةُ رضي الله عنها عِندَ أبوَيهَا تَبْكي لَيلتينِ ويَومًا، لا يَجُفُّ لهَا دمعٌ، ولا تَنامُ، وبينَما هي كَذَلِكَ إذ جاءتِ امرأةٌ من الأنصارِ فَجَلستْ تَبْكي معَها، وبَينَما هُمَا

كَذَلكَ إذْ دَخَل رسولُ اللهِ ﷺ، فجَلسَ، ولم يَكنْ يجلسُ عِندَهَا من يومِ إِشَاعةِ حديثِ الإفْكِ، وقدْ مَكثَ النبي شَهرًا لا يُوحَى إِليه في شَأنِها شيءٌ.

فتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: "يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَني عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ".

فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، انْقطَعَ دَمْعُها، وقالتْ لأَبِيهَا: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

فقَالتْ لأُمِّهَا: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ فِيمَا قَالَ.

قَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

وكانتْ عائِشةُ رضي الله عنها حِينَئذٍ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، لمْ تَقْرأْ كَثِيرًا مِنَ القُرْآنِ، فَقَالتْ: إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِن اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ"[يوسف: 18].

ثُمَّ تحوَّلتْ على فِراشِهَا، واضَّجعَتْ، وهيَ تَرجُو أنْ يُبَرِّأَهَا اللهُ، ومَا ظَنَّتْ قطُّ أنَّ اللهَ يُنزلُ في شَأنِهَا وحيًا، وكانتْ تَرَى في نَفْسِها أنَّها أَحْقَرُ مِنْ أَنْ يتكلَّمَ القُرآنُ في أَمرِهَا، وإنمَّا كانتْ تَرجُو أنْ يَرَى رسولُ اللهِ ﷺ في النَّومِ رُؤيَا يُبَرِّؤُهَا اللهُ بِهَا.

فما قَامَ أحدٌّ مِنْ مجْلِسهِ هَذا حَتَّى نزَلَ الوَحيُ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ، فَلمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا، أَنْ قَالَ: "يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللهُ".

فَقَالتْ لها أُمُّها: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.



فَقَالتْ عَائِشَةُ: لَا وَاللهِ، لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ.

وأَنْزلَ اللهُ قولَهُ تعَالى: "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[النور: 11].

فلمَّا أنزلَ اللهُ تعالى هذَا في بَراءَتِهَا، قال أَبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ وكانَ يُنفقُ عَلى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لقَرَابَتِهِ مِنهُ: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ.

فأنزل الله تعالى: "وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[النور: 22].

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ(1).

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناسِ، فخطَبَهُم، وتَلا عَلَيهِم ما أنزلَ اللهُ تعالى عَليه مِنَ القُرآنِ في ذلكَ، ثم أَمَرَ بِمسطَحِ بنِ أُثَاثَةَ، وحَسَّانَ بن ثَابتٍ، وحَمنَةَ بِنتِ جَحْشٍ، وكانُوا ممَّنْ أَفْصَحَ بالفَاحِشَةِ، فحُدُّوا ثَمَانِينَ جَلْدَةً، وتُرِكَ الخَبيثُ عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ مع أنهُ رأسُ أهلِ الإفْكِ؛ لأنَّ الحَدَّ لا يثبتُ إلا بالإقرارِ أو بِبَيِّنَةٍ، وهُوَ لم يُقِرَّ بالقَذفِ، ولا شَهِدَ به عليهِ أحدٌ، لِأَنَّهُ إنَّما كانَ يذكُرُه بينَ أصحابِه، ولمْ يَشْهَدُوا عَليهِ، ولمْ يكنْ يَذْكُرُه بينَ المُؤْمِنِينَ، ولأنَّ الحُدودَ تَخْفيفٌ عنْ أهْلِهَا وكَفَّارةٌ، والخَبيثُ ليسَ أهْلًا لذلكَ، وقدْ وَعَدَهُ اللهُ تعالى بالعَذابِ العَظيمِ في الآخِرةِ، فَقَالَ تَعَالَى: "وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[النور: 11]، فَيَكْفِيهِ ذلكَ عَنِ الحَدِّ(2).

---

(1) انظر: صحيح البخاري (2661)، وصحيح مسلم (2770)، وزاد المعاد (3/232-233)، وفتح الباري (8/460-462).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/302)، وزاد المعاد (3/236).

{غزوة الأحزاب}

وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَقَعَتْ غَزْوَةُ الأَحْزَابِ، فَرَدَّهُمُ اللهُ خَاسِئِينَ(1):

لمَّا رأى اليهودُ انتصارَ المشركينَ على المسلمينَ يومَ أُحُدٍ، وعلمُوا بميعادِ أبي سُفيانَ لغزوِ المسلمينَ، فخرجَ لذلِك، ثم رجعَ للعامِ المُقبلِ خرجَ أشرافُهُم كسَلَّامِ بنِ أَبي الحُقَيقِ، وسَلَّامِ بنِ مِشْكَمٍ، وكِنَانَةَ بنِ الرَّبيعِ، وغيرِهم إلى قُريشٍ بمكةَ يحرِّضُونَهُم عَلى غَزوِ رسولِ اللهِ ﷺ، ووَعدُوهُم بأنَّهم سيساعدونهم، وقَالُوا: إنَّا سَنكُونُ معكُم عليهِ، حتى نَستَأصِلهُ، فأجابتْهُم قريشٌ.

ثمَّ خَرجَ أولئكَ النَّفرُ إلى غَطَفَانَ، فَدَعَوْهُم إِلى حَربِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأخبرُوهُم أنَّهُم سَيُعَاوِنُونَهُم، وأنَّ قُريشًا قد تَابَعُوهُم على ذلكَ، فاجْتَمَعُوا مَعَهُم.

ثمَّ طَافُوا في قبائلِ العَربِ يدعُونَهُم إلى ذَلكَ، فاستجابَ لهُمْ جمعٌ كثيرٌ.

فخرجتْ قُريشٌ وقائِدُهُم أبُو سُفيانَ في أَرْبعةِ آلافٍ، ووَافَتْهُم بنُو سُلَيمٍ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، وخرجتْ بَنُو أَسدٍ، وفَزَارَة، وأَشْجعُ، وبَنُو مُرَّةَ، وجاءَتْ غَطَفَانُ وقائِدُهُم عُيَينَةُ بنُ حِصْنٍ، فكانَ عَدَدُ مَن وَافى الخندَقَ مِنَ الكُفارِ عَشرةَ آلافٍ(2).

فلمَّا سَمعَ رَسولُ اللهِ ﷺ بِمَسيرِهِم إليهِ استَشارَ الصَّحَابةَ، فأَشارَ عَليه سَلْمَانُ الفَارسيُّ بحفرِ خَندَقٍ يحولُ بينَ العَدوِّ وبينَ المَدينةِ، فعَمِلَ النَّبيُّ بمَشُورَةِ سَلْمَانَ، وَأمرَ بِحَفرِ الخَنْدَقِ، فَسارعَ إليه المسلمونَ، وشارَكَهُم رسولُ اللهِ ﷺ في الحَفرِ(3).

وكانتْ الأنْصارُ تقولُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا * عَلَى الجِهَادِ مَا حَيِينَا أَبَدَا

والنبي ﷺ يُجيبُهُم قائلًا:

اللهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ * فَأَكْرِمِ الأَنْصَارَ، وَالمُهَاجِرَهْ(5).

---

(1) الكامل (2/69)، البداية (4/104).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/214-215، 219-220)، وزاد المعاد (3/241-242).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (2/216)، وزاد المعاد (3/242).

(4) انظر: صحيح البخاري (2961)، وصحيح مسلم (1805)، من حديث أنس.

وكانَ المُنافقونَ يتسلَّلُونَ إلى أَهْلِيهِم بغيرِ علمٍ منْ رسولِ اللهِ ﷺ، ولا إذنٍ، أَمَّا المُؤمنونَ فكَانُوا إذَا أَصابتْ أَحدَهُمْ حاجةٌ لا بدَّ له مِنها، اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ في اللُّحُوقِ بحاجَتِهِ، فإذَا قضَى حاجتَه رجعَ إلى ما كانَ فيهِ مِنْ عَمَلِهِ، رَغْبَةً في الخيرِ، واحْتِسَابًا لهُ.

فأنزل اللهُ تعالى قوله: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[النور: 62 – 63].

وأيَّدَ اللهُ تعالى نبيَّه أثناءَ حفرِ الخندقِ بِمعجزاتٍ فيها مِنَ اللهِ تَعالى عِبرةٌ في تصديقِ رسولِ اللهِ ﷺ، وتحقيقِ نُبُوَّتِه، رَأى ذلكَ المُسلِمُون، مِنهَا:

عَرَضَتْ للمُسلمينَ أَثناءَ حَفرِ الخندقِ صخرةٌ صَلبةٌ من الأرضِ لا يؤثِّرُ فيهَا المِعوَلُ، فجاءُوا النَّبيَّ ﷺ فذكَرُوا ذلكَ لهُ، فأخذَ النَّبِيُّ المِعْوَلَ فضَرَب، فَتَفَتَّتَتْ حتَّى صارتْ كالرَّملِ يَنهالُ(1).

وأَصابتِ المُسلمينَ مَجاعةٌ أثناءَ حَفْرِ الخَندقِ، حتَّى لبثُوا ثلاثةَ أيامٍ بِدونِ أَكلٍ، فجاءَ جَابرٌ امْرأَتَهُ، فقالَ لهَا: نريدُ أنْ نُطْعِمَ رسولَ اللهِ ﷺ، فَذَبَحَتْ أُنْثَى مِنَ المَعِزِ، وخَبزتْ شعيرًا، فَأَخبرَ جَابرٌ رَسولَ اللهِ ﷺ بهذَا، فقالَ النَّبيُّ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «قُومُوا»، فقامَ المُهَاجرونَ والأنصارُ، فجعلَ النبيُّ ﷺ يَكْسِرُ الخبزَ، ويجعلُ عليهِ اللحمَ، وَيُقَرِّبُ إِلى أصحابِهِ، فلم يزلْ يَكْسِرُ الخبزَ، وَيَغْرِفُ حتَّى شَبِعُوا وبَقِيَ بَقِيَّةٌ(2).

---

(1) انظر: صحيح البخاري (4101)، من حديث جابر.

(2) انظر: صحيح البخاري (4101)، وصحيح مسلم (2039)، من حديث جابر.





وخَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ في ثَلاثةِ آلافٍ مِنَ المسلمينَ، فتحصَّنَ بجَبلِ سَلعٍ، فكانَ الجَبَلُ خَلفَ ظهورِهِم، والخندقُ أمَامَهُم بَينَهُم وبينَ الكفَّارِ.

وأمرَ النبيُّ ﷺ بالنساءِ والأطفالِ، فجُعِلُوا في حُصونِ المَدينةِ، واستخلفَ عَليها ابنَ أمِّ مَكْتومٍ(1).

يهود بني قُرَيظَةَ يَنقُضُونَ عَهدَ رسولِ اللهِ ﷺ:

انْطَلق حُيَيُّ بن أَخْطَبَ إلى بني قُرَيظَةَ فلَمَّا اقْتربَ من حِصْنِهِم أَبى كَعبُ بنُ أَسدٍ أنْ يَفْتحَ له، فلمْ يزلْ يكلِّمُهُ حتَّى فَتح لهُ، فلمَّا دخلَ عليهِ قالَ: لقَدْ جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهرِ جِئْتُكَ بِقُريشٍ وغَطَفَانَ وأَسدٍ؛ لحَربِ محمَّدٍ.

قَالَ كعبٌ: جِئْتَني واللهِ بذلِّ الدَّهْرِ وبِجَهَامٍ (بجهام: أي بسحاب رقيق لا ماء فيه.

والمعنى: أي الذي تعرضه عليَّ لا خير فيه) قدْ أرَاقَ ماءَهُ، فهُو يَرْعُدُ، ويَبرُقُ ليسَ فيهِ شيءٌ.

فلم يزلْ حُيَيٌّ يُكَلِّمُ كَعبًا حتَّى نقَضَ كَعْبٌ العَهْدَ الذِي بينَه وبينَ رسولِ اللهِ ﷺ، ودخلَ معَ المُشرِكِينَ في مُحَارَبَتِه، فسُرَّ بذلكَ المُشركونَ، وشَرطَ كَعبٌ على حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ أنَّه إنْ لمْ يَنْتَصِرُوا عَلَى محمدٍ أَنْ يَجيءَ حتَّى يَدخلَ معَهُ في حِصنِهِ، فَيُصِيبَه ما أَصابَه، فأَجابَه إلى ذَلِك، ووَفَّى لهُ بِهِ(2).

وبلغَ رسولَ اللهِ ﷺ خَبرُ بَني قُرَيظَةَ ونَقْضِهِم للعَهدِ، فبعثَ إليهِم سعدَ بنَ مُعاذٍ، وسَعدَ بنَ عُبادة، وخوَّاتَ بنَ جُبيرٍ، وعَبدَ اللهِ بن رَوَاحَةَ، فَقالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا، أَحَقٌّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا (الحنوا لي لحنا: أي تكلموا بكلام يخالف ظاهره حتى لا يفهمه الناس؛ فيصبهم الوهن) أَعْرِفُهُ، وَلَا تَفُتُّوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ (لا تفتوا في أعضاد الناس: أي لا تضعفوهم، ولا توهنوهم) وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ.

---

(1) انظر: صحيح البخاري (4101)، وصحيح مسلم (2039)، من حديث جابر.

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/220–221)، وزاد المعاد (3/242–243).



فلمَّا اقْتَرَبُوا مِنهُم، وَجدُوهُم عَلى أخبثِ ما يَكُونُ، وجَاهَرُوهُم بالسَّبِّ والعَدَاوةِ، ونالُوا مِنْ رسولِ اللهِ، فانْصَرفُوا عَنهم، ولحَنوا إلى رسولِ اللهِ لحْنًا يُخْبرونَهُ أنَّهم قَد نقَضُوا العهدَ، وغَدَرُوا.

وعَظُم عندَ ذلكَ البلاءُ، واشْتدَّ الخوفُ، وأتَى المُسْلِمينَ العَدوُّ منْ كُلِّ جَانِبٍ حَتى ظَنَّ المؤمنونَ كلَّ ظنٍّ، فحِينئذٍ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: "اللهُ أكبرُ، أبشرُوا يا معشرَ المسلمينَ".

ونزلَ قولُه تَعَالى: "إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا"[الأحزاب: 10 – 11].

وظهَرَ النِّفاقُ منْ بعضِ المنافقينَ، حتَّى قالَ بعضُهم: كانَ محمَّدٌ يَعِدُنَا أنْ نأكُلَ كُنوزَ كِسْرَى وقَيصَرَ (كسرى وقيصر: كسرى لقب ملوك الفرس. وقيصر لقب ملوك الروم)، وَاليومَ لا يأمنُ أَحَدُنَا على نَفْسِه أن يَذهبَ إلى الغائطِ.

واسْتأذنَ بعضُ بني حارِثةَ رَسولَ اللهِ ﷺ في الذَّهَابِ إلى المَدينةِ، وقالُوا كما قال الله فيهم: "إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا"[الأحزاب: 13]، وهمَّ بنو سَلَمةَ بالضَّعْفِ والجزعِ، ثُمَّ ثبَّتَ اللهُ الطَّائِفَتينِ(1).

وحَاصَرَ المُشرِكُونَ رسولَ اللهِ ﷺ شهرًا، ولم يكنْ بينهم قتالٌ لأجلِ الخندقِ بينَهم وبينَ المسلمينَ، إلا أنَّ فوارسَ منْ قريشٍ أقْبلُوا نحوَ الخَندقِ، فلمَّا وقفُوا عليهِ قالُوا: إن هذِه مَكِيدَةٌ ما كانتِ العربُ تعرِفُهَا، ثم قَصَدُوا مكانًا ضيِّقًا منَ الخندقِ، فاقْتَحمُوه، وجَالتْ بهمْ خيلهُم بينَ الخَندقِ وسَلْعٍ (جبل في المدينة)، ودعُوا إلى المُبَارَزَةِ، فَخَرجَ جَمَاعَةٌ مِنَ المُسلِمينَ منْهُمْ عليُّ بنُ أبي طَالبٍ فبارزُوهُمْ، فقتل عَلِيٌّ عمرَو بنَ عبدِ وُدٍّ، وكانَ من شُجعانِ المُشركينَ، فَهَرَبَتْ خيلُ المُشرِكينَ مُنْهَزِمَةً(2).

(1) انظر: سيرة ابن هشام (221/2–223)، وزاد المعاد (243/3).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (224/2–225)، وزاد المعاد (243/3).

وجاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ بعدَ مَا غَرَبتِ الشمسُ فجعَل يَسُبُّ كُفَّارَ قريشٍ، وَقالَ: يا رَسولَ اللهِ ﷺ ما كِدْتُ أُصَلِّي العَصرَ، حتى كادتِ الشمسُ تَغْربُ.

فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "وَاللهِ مَا صَلَّيْتُهَا".

وَقَالَ: "مَلَأَ اللهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلاَةِ الوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ".

فقامُوا إلى بُطْحَانَ، فتوضَّأ رسولُ اللهِ ﷺ، وتوضَّأَ أَصْحَابُهُ، فَصَلُّوا العصرَ بعدَ مَا غَرَبتِ الشَّمسُ، ثُمَّ صَلُّوا بَعدَهَا المَغْرِبَ(1).

ولمَّا طالتْ هذِه الحالُ على المُسلمينَ أرادَ رسولُ اللهِ ﷺ مُصَالَحَةَ عيينةَ بنِ حِصنٍ، والحَارثِ بنِ عوفٍ رَئِيسَي غطَفَانَ عَلى ثُلثِ ثِمارِ المَدينةِ، وينْصَرِفَا بقَوْمِهِمَا، فاسْتَشارَ سعدَ بنَ مُعاذٍ، وسَعدَ بن عُبادَة (سعد بن معاذ: سيد الأوس. سعد بن عبادة: سيد الخزرج) في ذَلكَ، فقالا: يا رَسولَ اللهِ إنْ كانَ اللهُ أمرَك بهذَا فَسَمعًا وطاعةً، وإن كانَ شيئًا تصنعُهُ لنَا فلا حَاجةَ لنا فيه، لقدْ كنَّا نحنُ وهؤلاءِ القومُ على الشركِ باللهِ وعبادةِ الأوثانِ، وهمْ لا يَطْمَعونَ أن يأكلُوا مِنها ثَمرةً إلا قِرًى (أي: ضيافة) أو بيعًا، فحِين أكرمَنا اللهُ بالإسلامِ، وهدَانا لهُ، وأعزَّنا بكَ نُعطِيهم أموالَنا؟ واللهِ لا نُعطِيهم إلا السَّيفَ، فَصَوَّب رَسُولُ اللهِ ﷺ رأيَهُمَا وقَالَ: "إنَّما هُوَ شَيءٌ أَصْنعُهُ لَكُم لَمَّا رأَيتُ العَربَ قدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ"(2).

ثمَّ جَاءَ رجلٌ مِنْ غطَفَانَ يقَالُ لهُ: نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ خَذَلَ اللهُ بهِ العَدُوَّ، وهَزَمَ جمُوعَهُم، فقَالَ: يا رسولَ اللهِ إني قدْ أَسْلَمتُ، وإنَّ قَومي لمْ يَعلمُوا بِإسْلَامِي، فَمُرْني بمَا شِئتَ.

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (596، 6396)، ومسلم (627، 631)، عن جابر.

(2) انظر: سيرة ابن هشام (223/2)، وزاد المعاد (244/3).

فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّمَا أنتَ رَجُلٌ واحِدٌ فخَذِّلْ (خذل: أي ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا، وذلك بالتحريش بينهم) **عنَّا مَا استطَعْتَ، فإِنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ(1).**

فَخرَجَ نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ حتَّى أَتى بني قُريظَةَ، فقالَ: يا بَني قُريظَةَ، قد عَرفْتم وُدِّي إيَّاكم، وخَاصةَ مَا بيني وبَينَكُمْ.

قالُوا: صَدَقْتَ، لَسْتَ عِندَنا بِمُتَّهَمٍ.

فَقالَ لهُمْ: إنَّ قُرَيْشًا وَغطَفَانَ لَيْسُوا كَأَنْتُمْ، الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ، فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَذْهَبُوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّ قُرَيْشًا وَغطَفَانَ قَدْ جَاءُوا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ نَاصَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، وَبَلَدُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِغَيْرِهِ فَلَيْسُوا كَأَنْتُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَحِقُوا بِبِلَادِهِمْ، وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ بِبَلَدِكُمْ، وَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ إِنْ خَلَا بِكُمْ.

قالُوا: فمَا العمَلُ يَا نُعيمُ؟

قالَ: لا تُقَاتِلُوا مَعَهُم حتَّى يُعْطُوكُم رَهَائنَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ.

قَالُوا: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، فَقالَ لهُم: قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي لَكُمْ ونُصْحي لَكُمْ، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا أَنْ أُبَلِّغَكُمُوهُ؛ نُصْحًا لَكُمْ، فَاكْتُمُوا عَنِّي.

قَالُوا: نَفْعَلُ.

قَالَ: تَعْلَمُوا أَنَّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ نَقْضِ عَهْدِ محمَّدٍ وأَصْحَابِه، وإِنَّهُمْ قَدْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ أَنَّا قَدْ نَدِمْنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا، فَهَلْ يُرْضِيكَ أَنْ نَأْخُذَ لَكَ مِنَ الْقَبِيلَتَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ رِجَالًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَنُعْطِيكَهُمْ فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، ثُمَّ نَكُونَ مَعَكَ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ حَتَّى تَسْتَأْصِلَهُمْ؟، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: أَنْ نَعَمْ.

(1) خدْعَة: بالفتح، هي أفصح اللغات، وأصوبها؛ لأنه لغة قريش، ومعناه: أنها تخدع أهلها.

فَإِنْ بَعَثَتْ إِلَيْكُمْ يَهُودُ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ، فَلَا تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى غَطَفَانَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ إِنَّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا أَرَاكُمْ تَتَّهِمُونِي.

قَالُوا: صَدَقْتَ، مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ.

قَالَ: فَاكْتُمُوا عَنِّي.

قَالُوا: نَفْعَلُ، فَمَا أَمْرُكَ؟

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ، وَحَذَّرَهُمْ مَا حَذَّرَهُمْ.

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ بَعثُوا إِلى اليَهُودِ: إِنَّا لَسْنَا بِأَرْضِ مُقَامٍ، قَدْ هَلَكَ الْخُفُّ وَالْحَافِرُ (أي: الإبل والخيل)، فَانْهَضُوا بِنَا حتَّى نُقَاتِلَ محمَّدًا.

فَأَرْسَلَ إِلِيهِمْ اليَهُودُ: إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَصَابَ مَنْ قَبلَنَا حَينَ أَحْدَثُوا فِيهِ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّا لا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ حَتَّى تَبْعَثُوا إِلَينَا رَهَائِنَ.

فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ بِمَا قَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ قَالَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ: وَاللهِ إِنَّ الَّذِي حَدَّثَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقٌّ.

فَأَرْسَلُوا إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ: إِنَّا وَاللهِ لَا نَدْفَعُ إِلَيْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ رِجَالِنَا، فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْقِتَالَ فَاخْرُجُوا فَقَاتِلُوا.

فَقَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ حِينَ بَلَّغَتْهُمْ الرُّسُلُ بِهَذَا: إِنَّ الَّذِي ذَكَرَ لَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقٌّ مَا يُرِيدُ الْقَوْمُ إِلَّا أَنْ تُقَاتِلُوا، فَإِنْ رَأَوْا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ هَرَبُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ فِي بَلَدِكُمْ.

فَأَرْسَلُوا إِلَى قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ: إِنَّا وَاللهِ مَا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ حَتَّى تُعْطُونَا رُهُنًا فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ، وَخَذَّلَ اللهُ بَيْنَهُمْ.

وأَرْسلَ اللهُ على المُشرِكينَ جُندًا منَ الريحِ، فَجعلتْ تطرحُ خِيامَهُم، ولا تَدعُ لهُمْ قِدرًا إلا كَفأَتْهَا، ولا يَقِرُّ لهُمْ قَرارٌ، وجُندُ اللهِ مِنَ الملائكةِ يُزَلْزِلُونَهُمْ، ويُلقُونَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ والخَوفَ(1).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ في هَذِهِ اللَيْلَةِ البَارِدَةِ شَدِيدَةِ الرِّيحِ: "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟"

فَسَكَتُوا، وَلَمْ يُجِبْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟"

فَسَكَتُوا، وَلَمْ يُجِبْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟"

فَسَكَتُوا، وَلَمْ يُجِبْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَقَالَ: "قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ".

قَالَ حُذَيْفَةُ: فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ.

وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ. (ولا تذعرهم علي: أي لا تفزعهم علي ولا تحركهم علي، والمراد: لا تحركهم عليك، فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضررا علي؛ لأنك رسولي وصاحبي)

قَالَ حُذَيْفَةُ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ (من شدة الدفئ) حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ (يدفئ)، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ، قُرِرْتُ (قررت: أي بردت، وهو جواب فلما أتيته)، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ(2).

---

(1) انظر: مسند أحمد (23334)، ومغازي الواقدي (2/489-490)، وزاد المعاد (3/242-245).

(2) صحيح: رواه مسلم (1788)، عن حذيفة.



ثُمَّ قالَ أبُو سُفيانَ: يَا مَعْشرَ قُرَيشٍ، إِنَّكُمْ وَاللهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ (أي: الخيل)، وَالْخُفُّ (أي: الإبل)، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، وَبَلَغَنَا عَنْهُمُ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ؛ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَارْتَحِلُوا، فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ(1).

ولمَّا أَصْبحَ رَسولُ اللهِ ﷺ وأصحَابُه انْصرَفُوا عن الخَندقِ رَاجِعينَ إلى المَدينةِ، ووَضَعُوا السِّلاحَ، وقد رَدَّ اللهُ عَدُوَّهُ بغَيظِهِ لم يَنالُوا خيرًا، وكفَاهُ اللهُ قِتالَهُمْ، فَصدَقَ وَعدَهُ، وأَعزَّ جُندَهُ، ونَصرَ عبدَهُ، وهزَمَ الأحزابَ وحْدَهُ(2).

وقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: حِينَ هَرَبَ الأَحْزَابُ عَنْهُ: "الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ"(3).

وهذِه الغَزوةُ مَشْهُورةٌ عندَ أهلِ السِّيَرِ والمَغَازِي بِغَزْوَةِ الخَنْدَقِ.

غزوة بني قريضة:

ولمَّا انصرفَ رسولُ اللهِ ﷺ منَ الخندقِ إلى المَدينةِ جَاءَه جِبريلُ عليه الصلاة والسلام عندَ الظُّهرِ، وهو يَغتسلُ، فَقالَ: "أَوَضعْتَ السِّلَاحَ؟!، واللهِ إنَّ المَلائِكَةَ لم تَضعْ أَسْلِحَتَها، فانْهَضْ بمَنْ مَعَكَ إلى بَني قُرَيظَةَ، فَإني سَائرٌ أمامَكَ أُزَلزِلُ بِهِمْ حُصُونَهُم، وأَقْذِفُ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ"(4).

و سَارَ جِبْرِيلُ فِي مَوْكِبِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَثَرِهِ فِي مَوْكِبِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَمَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ مُؤَذِّنًا، فَأَذَّنَ في المُسلِمِينَ: «من كانَ سَامِعًا مُطِيعًا، فَلا يُصَلِّينَّ العَصْرَ إلَّا في بَني قُرَيظَةَ»، فبادَرُوا إلى امْتِثَالِ أَمرِهِ، وخَرجُوا سِراعًا، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ.

---

(1) انظر: مسند أحمد (23334)، ومغازي الواقدي (2/489–490)، وسيرة ابن هشام (2/232).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/233)، وزاد المعاد (3/245).

(3) صحيح: رواه البخاري (4110)، عن سليمان بن صُرَدٍ.

(4) انظر: صحيح البخاري (2813)، وصحيح مسلم (1769)، وسيرة ابن هشام (2/233)، وزاد المعاد (3/117–118).

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّيهَا إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ كَمَا أُمِرْنَا، فَصَلَّوْهَا بَعْدَ العِشَاءِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ سُرْعَةَ الْخُرُوجِ، فَصَلَّوْهَا فِي الطَّرِيقِ، وَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدَةً مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ.

وأَعْطَى رَسولُ اللهِ ﷺ الراية عَليَّ بن أَبي طَالبٍ، واسْتَخْلَفَ عَلى المَدينةِ ابنَ أمِّ مكتومٍ(1).

وحَاصَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ بني قُرَيظةَ خمسًا وعِشرينَ ليلةً، حتى جَهدَهُم الحِصارُ، وقذفَ اللهُ في قلوبِهم الرُّعبَ.

ولمَّا اشتدَّ عَليهمُ الحِصَارُ، وأيقَنُوا بأنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ غيرُ مُنْصَرِفٍ عَنهُم حَتَّى يُقَاتِلَهُم، قالَ كَعبُ بنُ أَسدٍ لهُم: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ، وَإِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكُمْ خِلَالًا ثَلَاثًا، فَخُذُوا بِمَا شِئْتُمْ مِنْهَا.

قَالُوا: وَمَا هُنَّ؟

قَالَ: نُتَابِعُ هَذَا الرَّجُلَ وَنُصَدِّقُهُ، فَوَاللهِ لَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّهُ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَأَنَّهُ لَلَّذِي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ، فَتَأْمَنُونَ بِهِ عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ.

قَالُوا: لَا نُفَارِقُ حُكْمَ التَّوْرَاةِ أَبَدًا، وَلَا نَسْتَبْدِلُ بِهِ غَيْرَهُ.

قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ عَلَيَّ هَذِهِ، فَهَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، ثُمَّ نَخْرُجْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، فَنُقَاتِلَهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، فَإِنْ نَهْلِكْ نَهْلِكْ وَلَمْ نَتْرُكْ وَرَاءَنَا نَسْلًا نَخْشَى عَلَيْهِ، وَإِنْ انْتَصَرْنَا، فَلَعَمْرِي لَنَجِدَنَّ النِّسَاءَ وَالْأَبْنَاءَ.

قَالُوا: أَنَقْتُلُ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ؟! فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/234-235)، وزاد المعاد (3/118، 120).

قَالَ: فَإِنْ أَبَيْتُمْ عَلَيَّ هَذِهِ، فَاللَّيْلَةُ لَيْلَةُ السَّبْتِ، وَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَمِنُونَا فِيهَا، فَانْزِلُوا لَعَلَّنَا نُصِيبُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غِرَّةً.

قَالُوا: أَنُفْسِدُ سَبْتَنَا، وَنُحْدِثُ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَّا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَنْكَ مِنَ الْمَسْخِ.

فَقَالَ: مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مُنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الدَّهْرِ حَازِمًا(1).

ثُمَّ بَعَثَ بَنُو قُرَيظَةَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِ ابْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ (هذا أنهم كانوا حلفاء الأوس، وأبو لبابة من الأوس)؛ لِنَسْتَشِيرَهُ فِي أَمْرِنَا.

فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَوْهُ، قَامَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ، وَجَهَشَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ، فَرَقَّ لَهُمْ وَقَالُوا: يَا أَبَا لُبَابَةَ، أَتَرَى أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ مُحَمَّدٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ، أَنَّهُ الذَّبْحُ.

ثمَّ عَلمَ أنَّهُ بِذَلِكَ قدْ خانَ اللهَ ورسولَه، فَلمْ يَرجِعْ إِلى رسولِ اللهِ ﷺ حتَّى أَتى مَسجدَ المَدينةِ، فرَبَطَ نَفْسَه بِسَارِيةِ المَسجِدِ، وحَلَفَ ألا يَحِلَّهُ إِلَّا رَسُولُ اللهِ بِيدِه، وأنَّه لا يَدخُلُ أَرضَ بَني قُرَيظَةَ أبدًا.

فلمَّا بلغَ رسولَ اللهِ ﷺ خبرُه، قَالَ: «أمَا إنَّه لَو جَاءَني لاسْتَغْفَرْتُ لهُ، فأمَّا إذْ قدْ فَعلَ مَا فَعلَ، فما أنا بالذي أُطلِقُهُ من مكانِه حَتى يَتُوبَ اللهُ عَليه»، ثُمَّ تابَ اللهُ عليهِ، وَحلَّهُ رسولُ اللهِ ﷺ بيدِهِ(2).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/235-236)، وزاد المعاد (3/121).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/236-238)، وزاد المعاد (3/121).

ثمَّ نَزلتْ بَنُو قُريظةَ على حُكمِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقامتْ إليه الأوسُ، فقَالوا: يَا رسولَ اللهِ! قد فَعَلتَ في بَني قَينُقَاعَ مَا قدْ عَلمْتَ وهُمْ حُلفاءُ إِخْوانِنا الخَزْرِجِ، وهؤلاءِ مَوالِينا، فَأحسِنْ فِيهِم.

فقالَ: "ألَا تَرضَونَ أنْ يَحكُمَ فِيهمْ رَجُلٌ مِنْكُم؟"

قَالوا: بَلى.

قالَ: "فَذاكَ إلى سَعْدِ بن مُعَاذٍ".

قالُوا: قدْ رَضِينا.

فأرسلَ إلى سَعدِ بنِ مُعاذٍ، وكانَ في المَدِينةِ لم يخْرجْ مَعهُمْ؛ لجُرحٍ كانَ بِه، فأُرْكِبَ حِمارًا وجاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فجَعَلوا يقولُونَ لهُ وهمْ حَولَه: يا سَعدُ أجْمِلْ إلى مَوالِيكَ، فأحْسِنْ فيهِم، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد حَكَّمَكَ فيهم لتُحْسِنَ فِيهِمْ.

وهُوَ سَاكتٌ لا يُجيبُهُم، فلمَّا أكثرُوا علَيه، قالَ: لقَدْ آنَ لسَعدٍ ألا تَأخذَه في اللهِ لومَةُ لَائمٍ.

فلمَّا سمِعوا ذلكَ منْه، رجَعَ بعضُهُم إلى المَدينَةِ، فنَعى إليهِم القَومَ، فلمَّا انتَهى سَعدٌ إلى النَّبيِّ ﷺ قالَ للصَّحابةِ: "قُومُوا إلى سيِّدِكُمْ".

فلمَّا أنزَلُوه قَالُوا: يا سَعدُ! إنَّ هَؤلاءِ القَومَ قدْ نَزلُوا على حُكْمِكَ.

قالَ: وحُكْمي نَافذٌ عَليهِم؟

قالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: وعلى المُسلِمينَ؟

قَالُوا: نعمْ.

قالَ: عَلى مَنْ هَاهُنَا؟ وأعرَضَ بوجْهِهِ، وأشارَ إلى نَاحيةِ رسولِ اللهِ ﷺ إجلالًا لهُ وتَعظيمًا.

قالَ رسولُ اللهِ: "نَعمْ، وعَليَّ".





قالَ: فإني أحْكُم فيهِم أنْ يُقتلَ الرِّجالُ، وتُسْبَى الذُّرِّيَّةُ (النساء والأطفال)، وتُقْسَمَ الأَمْوالُ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "لقد حَكَمتَ فِيهِمْ بحُكْمِ اللهِ مِن فَوقِ سبعِ سَمَاواتٍ".

وأَسلمَ مِنهم تَلك الليلةَ نَفرٌ قبلَ النُّزُولِ عَلى حُكمِ سَعدٍ(1).

ولمَّا حَكَمَ فيهِم سعدٌ بِذلكَ، أمَر رسولُ اللهِ ﷺ بقتلِ كلِّ الرجالِ البالغينَ، ومنْ لمْ يَبلغْ، أُلحِقَ بالذُّرِّية(2).

وكانَ المُسلِمونَ إذَا شَكُّوا فِيمَنْ لا يَعرِفُونَ بُلُوغَهُ كَشَفُوا عَنْ مؤتَزَرِه، فَإنْ وَجدُوه أَنبتَ حَكَمُوا بِبُلُوغِهِ، فَقَتلُوهُ، ومنْ وَجَدُوه لم يُنبِتْ تَركُوهُ، ولمْ يَقتُلُوهُ، وكانَ ممَّن لمْ يُنْبتْ عَطِيةُ القُرَظيُّ، فلمْ يَقْتُلُوهُ(3).

وحُفِرتْ لَهُمْ خَنَادِقُ فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ، وَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ، وَكَانُوا مَا بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ إِلَى السَّبْعِمِائَةِ، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ النِّسَاءِ أَحَدٌ سِوَى امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ كَانَتْ طَرَحَتْ عَلَى رَأْسِ سُوَيدِ بنِ الصَّامِتِ رَحًى، فَقَتَلَتْهُ، وَجُعِلَ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى الْخَنَادِقِ طَائِفَةٌ بَعدَ طائفةٍ، فَقَالُوا لِرَئِيسِهِمْ كَعْبِ بنِ أَسَدٍ: يَا كَعبُ! مَا تَرَاهُ يَصْنَعُ بِنَا؟

فَقَالَ: أَفِي كُلِّ مَوْطِنٍ لَا تَعْقِلُونَ؟ أَمَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ، وَالذَّاهِبَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُ، هُوَ وَاللهِ الْقَتْلُ.

فَلمْ يزلِ الأمرُ كذلكَ حتَّى قُتِلُوا جَمِيعًا(4).

---

(1) انظر: صحيح البخاري (4122)، وصحيح مسلم (1769)، وسيرة ابن هشام (2/239-240)، وزاد المعاد (3/121-122).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/240)، وزاد المعاد (3/122).

(3) انظر: سنن الترمذي (2541)، والسنن الكبرى، للنسائي (8567)، وسنن ابن ماجه (2541)، ومسند أحمد (18776)، وسيرة ابن هشام (2/244).

(4) انظر: سيرة ابن هشام (2/240-242)، وزاد المعاد (3/122).



وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: تُوَفِّيَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ(1).

وَفِي نفس الشهر: قتلتِ الخزرجُ أبَا رافعٍ سلَّامَ بنَ أَبي الحُقَيقِ اليَهوديَّ بإذنِ رسولِ اللهِ ﷺ:

وهو مِمَّنْ جمعَ وحرَّضَ الأحزابَ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ، ولم يُقْتَلْ معَ بني قُرَيظة كَما قُتِل صَاحبُهُ حُيَيُّ بنُ أَخْطَب، فَخرجَ إليهِ رِجالٌ مِنْ الخَزْرجِ، وهُمْ عَبدُ اللهِ بنُ عَتِيكٍ، وهُو أَميرهُم، وعبدُ اللهِ بنُ أُنيسٍ، وأبُو قتادةَ الحَارِثُ بنُ رِبعيٍّ، ومَسعُودُ بن سِنانٍ، وخُزاعيُّ بنُ أَسْودَ، فَسَارُوا حَتَّى أتوه لَيلًا في خَيبرَ في دَارٍ له، فلمْ يَدَعُوا بيتًا في الدارِ إلا أغْلَقُوه عَلى أَهْلهِ.

وكانَ أبُو رافعٍ في غُرفَةٍ عَاليةٍ، فَصَعِدُوا إليهِ حتَّى قامُوا على بابِه، فَاستَأذَنُوا عليهِ، فخرجتْ إليهم امرأتُه، فقالتْ: مَنْ أنتُم؟

قالُوا: ناسٌ مِنَ العربِ نَلْتَمِسُ الطعامَ.

قَالتْ: ذَاكُمْ صَاحِبُكُمْ، فَادْخُلُوا عَليه.

فَلمَّا دَخلُوا علَيه، أغلْقُوا البابَ عَليهم، فصَاحتِ امرأتُه، فأَسْرعُوا إليهِ، وهو على فِراشِه بأسيافِهِم، فمَا دَلَّهُم عليهِ في سوادِ الليلِ إلا ثِيابٌ بَيضَاء مُلقَاة، فقتلوه(2).

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: جَاءَ وَفدُ رَبيعةَ: عَبدِ القَيسِ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ليسلموا، فسعد بهم وأمرهم ونهاهم(3).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفدُ أشْجعَ عَلَى رسولِ اللهِ ﷺ ليسلموا، وهُمْ مائةُ رَجلٍ، وقيلَ: سَبْعِمائَةٍ(4).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: سَابقَ النَّبيُّ ﷺ بينَ الخَيلِ بفرسانها(5).

---

(1) الكامل (2/77)، البداية (4/148).

(2) انظر: صحيح البخاري (4038، 4039)، البداية (4/154)، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (465).

(3) الطبقات (1/271).

(4) انظر: البداية والنهاية (7/360)، والطبقات (1/264).

(5) عيون الأثر (2/353).




الفصل الثامن
السنة السادسة من الهجرة




وتداولت غزوات رسول الله ﷺ وسراياه:

فَفِي المُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ السادسة للهجرة، كَانَتْ سَرِيَّةُ مُحمدِ بنِ مَسلَمَةَ إِلى القُرَطَاءِ(1):

في العَاشِرِ مِنَ المُحَرَّمِ بَعثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحمَّدَ بنَ مَسْلَمةَ في ثَلاثِينَ راكبًا إلى القُرَطاءِ؛ لتأديبِ بني بكرٍ؛ لأنَّهم تآمَرُوا على قَتلِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأمَرَه أنْ يَشُنَّ عَليهمُ الغَارةَ، فكانَ يَسيرُ باللَّيلِ، ويَستريحُ بالنَّهارِ، فَأغارَ عليهِم، فقتلَ نفرًا منهُم، وأسَرَ ثُمامةَ بنَ أُثَالٍ الحَنفيَّ، وهرَبَ سائِرُهم، واسْتاقَ نَعمًا وشاءً، ورجَعَ إلى المَدينةِ، فخمَّسَ رسولُ اللهِ ﷺ، ما جاءَ بهِ(2).

وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عُكَّاشَةَ بنِ مِحْصَنٍ الأسديِّ إلى الغَمْرِ، فغنِمُوا ورَجَعُوا سَالِمينَ(3).

وَفِي رَبِيعٍ الآخرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ محمدِ بنِ مَسْلَمَةَ إِلى ذِي القَصَّةِ فَقُتِلوا جميعًا إلا محمَّدَ بْنَ مَسلَمَةَ حُمِلَ جريحًا(4).

وَفِي رَبِيعٍ الآخرِ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ أبي عبيدةَ بنِ الجرَّاحِ إلى ذِي القَصَّةِ فَغنِمُوا وسَلِمُوا(5).

وَفِي رَبِيعٍ الآخرِ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حَارثةَ إِلى بَني سُلَيمٍ بَالجَمُومِ، فأسَرُوا وغَنِمُوا وسَلِمُوا(6).

---

(1) الطبقات (74/2)، سبل الهدى (112/6).

(2) انظر: مغازي الواقدي (534/2-535)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (78/2)، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي (249/3).

(3) طبقات ابن سعد (81/2)، الكامل (92/2)، مغازي الذهبي (352)، البداية (200/4).

(4) الطبقات (81/2)، الكامل (92/2)، مغازي الذهبي (352)، البداية (200/4)، سبل الهدى (127/6).

(5) الطبقات (81/2)، الكامل (92/2)، مغازي الذهبي (353)، البداية (200/4)، سبل الهدى (130/6).

(6) الطبقات (83/2)، الكامل (92/2)، مغازي الذهبي (353)، سبل الهدى (132/6)، السيرة في ضوء المصادر الأصلية (471).





وَفِي جُمَادَى الأول مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حَارِثةَ إِلى العِيصِ، فغَنِمَتْ وسَلِمَتْ(1):

بلغَ رسولَ اللهِ ﷺ أن عيرًا لقريشٍ قد أقبلتْ منَ الشامِ، فبعثَ زيدَ بنَ حارثةَ إلى العِيصِ (العيص: موضع بينها وبين المدينة أربع ليال)، في سبعينَ ومائةِ راكبٍ؛ ليتعرَّضَ لعيرِ قريشٍ، فأخذُوهَا وما فِيها وأخذُوا يومئذٍ فِضَّةً كَثيرةً لصَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ، وأسرُوا ناسًا ممَّنْ كانَ في العِيرِ، منهم أبُو العاصِ بنُ الرَّبيعِ، فلمَّا قدِمُوا بهمُ المَدينةَ استَجارَ أبُو العَاصِ بِزَينبَ بنتِ رسولِ اللهِ فأجَارَتْهُ ونادتْ في الناسِ حينَ صَلى رسولُ اللهِ ﷺ الفَجْرَ: إِنِّي قد أَجرتُ أبَا العَاصِ.

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "أيُّها النَّاسُ، هَلْ سَمِعتُم ما سَمِعتُ؟"

قالوا: نَعَم.

قال: «فَو الَّذي نَفْسي بيدِهِ، ما عَلِمتُ بِشيءٍ ممَّا كَانَ حَتى سَمِعتُ الذِي سَمِعتُم، المؤْمِنُونَ يدٌ على مَنْ سِواهُم (أي: يجب على كل واحد نصرة أخيه، ويجب على الجماعة النصرة)، يجيرُ عَلَيهِمْ أدْنَاهُم (يجير عليهم أدناهم: أي الأدنى كالأعلى يعطي الأمان لمن شاء)، وقدْ أجرنَا مَنْ أَجَارتْ.

ثمَّ ردَّ له ماله، وبعد ما رجع إلى مكة أسلم(2).

وَفِي جُمَادَى الأُولى أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانتْ غَزوةُ بَني لِحْيَانَ بِناحيةِ عُسْفَان، فَلم يَلقَوا أحدًا(3).

وَفِي جُمَادَى الآخِرةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حَارِثةَ إِلى الطَّرِفِ، فَغَنِمُوا وَسَلِمُوا(4).

---

(1) طبقات بن سعد (2/83)، الكامل (2/94)، مغازي الذهبي (354، 358)، الصالحي (6/133).

(2) انظر: مغازي الواقدي (2/553-554)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (2/87).

(3) تاريخ الطبري (2/105)، الكامل (2/94)، الذهبي (245)، البداية (4/169)، الصالحي (5/50)، السيرة في ضوء المصادر الأصلية (468).

(4) تاريخ الطبري (2/126)، الكامل (2/92)، الذهبي (353)، الصالحي (6/139)، فقه السرايا (137).





وَفِي جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بن حَارثةَ إلى حِسْمَى(1).

وَفِي رَجبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حَارِثةَ أيضًا إلى وَادِي القُرَى، فَلَمْ يَلْقَ كَيدًا(2).

وَفِي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ إلى دُومَةِ الجَندلِ، وأمرَه النَّبيُّ ﷺ أنْ يتزوجَ ابنةَ مَلِكِهم فأسلَمُوا، وتزوَّجَها(3):

أَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ أنْ يتجهَّزَ للخروجِ إلى دُومَةِ الجَندلِ؛ لِيدعُوهُم إلى الإسلامِ، فلما أصبحَ أمرَ بلالًا أن يدفعَ إليهِ اللواءَ، فدفعَهُ إليهِ، وأمرَهُ أَنْ يغزُوا في سبيلِ اللهِ تعالى، ويقاتِلُوا مَنْ كفرَ باللهِ، ولا يخُونُوا في المَغانمِ، ولا يغدِرُوا، ولا يمثِّلُوا، ولا يقْتُلوا وليدًا، وقالَ لهُ رسولُ اللهِ: "إنْ أطاعُوكَ فتزوَّجِ ابنةَ مَلكِهم".

فسارَ حتَّى قدِمَ دُومَةَ الجَندَلِ، فلمَّا حلَّ بها ظَلَّ يَدْعُوهُمْ إلى الإسلامِ ثَلاثةَ إيَّامٍ، وقد كانوا أَبَوا أولَ ما قدِمَ يعطونَه إلا السَّيفَ، فأسلمَ في اليومِ الثالثِ مَلِكُهُمْ الأَصبغُ بنُ عَمرٍو الكلبيُّ، وكانَ نَصرانيًّا.

فأسلم القومُ، وتزوج عبدُ الرحمنِ تُمَاضِر بنتَ الأصبغ(4).

وَفِي شَعْبانَ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عليِّ بنِ أَبي طَالبٍ إلى بَني سعدِ بنِ بَكرٍ بِفَدَكَ، فَشتَّتَ شَمْلَهُم، وَغَنِمَ وَسَلِمَ(5).

---

(1) طبقات (84/2)، سبل (140/6).

(2) تاريخ الطبري (126/2)، الكامل (93/2)، الذهبي (355)، الصالحي (148/6)، السيرة في ضوء المصادر الأصلية (473).

(3) انظر: مغازي الواقدي (560/2-562)، وسيرة ابن هشام (632/2)، وزاد المعاد (254/3).

(4) انظر: مغازي الواقدي (560/2-562)، وسيرة ابن هشام (632/2)، وزاد المعاد (254/3).

(5) طبقات بن سعد (86/2)، تاريخ الطبري (127/2)، الكامل (93/2)، الذهبي (355)، الصالحي (154/6)، السيرة في ضوء المصادر الأصلية (473).



وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حَارِثةَ إِلى أمِّ قِرْفَةَ بِنَاحيةِ وَادِي القُرَى، فقَتَلُوا وأَسَرُوا، وغَنِمُوا وسَلِمُوا(1).

وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عبدِ اللهِ بنِ أَبي رَوَاحَةَ إِلى أُسَيرِ بنِ زَارِمٍ اليهوديِّ، فقتلُوه وسلِمُوا(2):

لمَّا قُتِل أبُو رافعٍ سلَّامُ بنُ أَبي الحُقَيقِ أَمَّرَت يهودُ عليهم أُسَيرَ بنَ زارِمٍ، فسارَ في غطَفَانَ وغيرهم يجمَعُهم لحربِ رسولِ الله ﷺ وبلغ ذلك رسولَ اللهِ ﷺ فبعثَ عبدَ اللهِ بنَ رَوَاحَةَ في ثلاثةِ نفرٍ سرًّا؛ ليأتيَ بخَبرِ أُسَير، فقدم على رسول الله فأَخبرَه بأنَّهُ يجمعُ الناسَ؛ ليغزُوهُ بهِم، فَحثَّ رسولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ، فخرَجَ له ثلاثونَ رجلا، فأَمَّرَ عليهم عبدَ اللهِ بنَ رَوَاحَةَ.

فقدمُوا على أُسَيرٍ، فقالوا: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعثَنا إليكَ؛ لتَخْرُجَ إليهِ فيستَعْمِلَكَ على خَيبرَ، ويُحسِن إليكَ.

فلمْ يزالُوا بِهِ حتَّى تَبِعَهُم، وخرجَ معهُ ثلاثونَ رجلًا مِنَ اليَهودِ معَ كلِّ رجلٍ رَدِيفٌ مِنَ المسلمينَ حتَّى إذا اقتربُوا مِنْ خيبرَ ندِمَ أُسَيرٌ.

ثم قتلَهُ عبدُ اللهِ بن أُنَيسٍ بعدَ أنَّ همَّ أُسَيْرٌ بقتلِهِ، ثمَّ قتلَ كلُّ مُسلمٍ رَديفَهُ مِنَ اليهودِ، غيرَ رجلٍ واحدٍ هَرَبَ، ولم يُصَبْ مِنَ المسلمينَ أحدٌ، ثُم أقبلُوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فحدَّثُوه الحديثَ، فَقَالَ: "قد نجَّاكُم اللهُ منَ القومِ الظَّالمين"(3).

---

(1) طبقات ابن سعد (86/2)، تاريخ الطبري (127/2)، صحيح مسلم (89/2)، الصالحي (157/6)، السيرة في المصادر (474)، فقه السرايا (141).

(2) طبقات ابن سعد (88/2)، تاريخ الإسلام للذهبي قسم المغازي (361)، الصالحي الشامي (207/3) (176/6)، فقه السرايا (141)، السيرة في المصادر (476).

(3) انظر: مغازي الواقدي (566/2–569)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (92/2)، والبداية والنهاية (359/6–360).





وَفِي شَوَّالٍ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ كُرْزِ بن جابرٍ الفِهْرِيِّ إِلى العُرَنِيِّينَ، فأتَوا بِهِم فَقتَلَهُم رَسولُ اللهِ ﷺ(1):

قدم ثَمانيةُ نفرٍ مِنْ عُكْلٍ، وعُرَيْنَةَ على رسولِ اللهِ ﷺ فأظهروا الإِسلامَ، ثمَّ قَالُوا بَعدَ مُدَّةٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ (أهل ضرع: أي أهل ماشية وإبل، أي أهل البادية)، وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيفٍ، وَاسْتَوْخَمُوا المَدِينَةَ (استوخموا المدينة: أي لم توافقهم وكرهوها لسُقم أصابهم)، فأمر لهم رسول اللهِ ﷺ بإبل وراعٍ، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبَانِها وأَبوالِهَا، وكانتْ تَرعَى على بُعْدِ سِتَّةِ أَميالٍ منَ المدينةِ، فكانُوا فيها حَتى صَحُّوا وسمِنُوا، فَكَفَرُوا بعدَ إسلامِهِم، وقطَعوا يدَ ورِجلَ رَاعي النبيِّ وغرَزُوا الشَّوكَ في لِسانِه وعَينَيه حتَّى ماتَ، وأخَذُوا الإبلَ.

وبلغَ رسولَ اللهِ ﷺ الخبرُ، فبعثَ في آثَارِهِمْ عِشرينَ فارسًا وأَمَّرَ عليهِم كُرْزَ بنَ جابرٍ الفِهرِيَّ، فأدْرَكُوهُم فأحاطُوا بهِمْ وأسَرُوهُم ورَبَطُوهُم وأردَفُوهُم على الخيلِ حَتى قدِموا بِهمُ المَدينةَ.

فأمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بهِمْ فَفَقَؤا أعيُنَهُمْ بمَسَامِيرَ مَحْمِيَّةٍ، وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ، وأرجُلَهم، وَتُرِكُوا فِي نَاحِيَةِ الحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ، وأَنزلَ اللهُ على رسولِ اللهِ ﷺ قوله تعالى: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[المائدة: 33](2).

---

(1) طبقات ابن سعد (89/2)، صحيح البخاري (233، 1501، 3018، 4193، 6802)، صحيح مسلم (1671)، الكامل (94/2)، الذهبي في المغازي (361)، سبل الهدى والرشاد في سيرةخير العباد للصالحي (186/6).

(2) انظر: صحيح البخاري (4192)، ومسلم (1671)، من حديث أنس، والطبقات الكبرى، لابن سعد (93/2).

{سرية الخبط}

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: وَقَبلَ صُلحِ الحُدَيْبِيَةِ كَانَتْ سَرِيَّةُ الخَبَطِ علَى الرَّاجِحِ(1):

بعثَ رَسولُ اللهِ ﷺ أبَا عُبيدةَ بنَ الجرَّاحِ في ثلاثِمِائةِ رجلٍ منَ المهاجرينَ والأنصارِ، ليرصدُوا إبلًا لقريشٍ، وَزَوَّدَهُم جِرَابًا (وعاء من جلد) **مِنْ تَمرٍ لَمْ يَجِدْ لَهم غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِيهم تَمْرَةً تَمْرَةً، فكان كلُّ واحدٍ يمصُّ تَمرتَه كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ يَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَتَكْفِيه يَوْمَه إِلَى اللَّيْلِ، فأصابَهمْ جُوعٌ شديدٌ حتى أَكَلوا الخَبَطَ** (الخبط: أي ما يسقط من ورق الشجر إذا ضربتها بالعصا)، **فكانوا يَضْرِبُون الخبَطَ بِعِصيِّهم، ثم يبلُّونَه بِالماءِ فيأكلونَه، فسمِّي جَيشُ الخَبَطِ، ونحرَ رجلٌ ثلاثَ جَزَائِرَ** (جزائر: جمع جزور، وهو الناقة الفتية)، **ثم نحرَ ثلاثَ جزائرَ، ثمَّ نحرَ ثلاثَ جَزائرَ، ثم إنَّ أبا عُبيدةَ نهاهُ.**

فانْطلَقُوا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فألقَى إليهمُ البحرُ حوتًا ضخمًا ميِّتا لم يُرَ مِثْلُهُ، فَأَتَوه فَإِذَا هُو العَنبرُ.

فقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي سَبِيلِ اللهِ تعالى، وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ، فَكُلُوا.

فأكَلوا منها نصفَ شهرٍ حتَّى سَمِنوا، وكانوا يَدَّهِنُونَ مِن دُهْنِها وشَحْمِها حَتى رَجعتْ إليهِم قُواهم.

وكانوا يغترفُونَ الدُّهنَ منْ داخلِ عينِ الحُوتِ بالقِلالِ، ويقطَعُونَ منه القِطعَ مثلَ الثَّورِ. وأخذَ أَبو عُبيدةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فأقعدَهُم في داخلِ عينِه، وأَخذَ ضِلعًا منْ أضلاعِه فَنَصَبَهُ، ثمَّ ركبَ أطولُ رَجلٍ منهُم أعظمَ بَعيرٍ معهُم فمرَّ تحتَهُ.

---

(1) صحيح البخاري (2483، 2983، 4360، 4361)، صحيح مسلم (1935)، الصالحي (6/275 - «286»، زاد المعاد (3/325/رجب).



وتزوَّدُوا مِن لحمِهِ إلى المَدينةِ، فلمَّا قدِمُوا المدينةَ، أتَوا رسولَ اللهِ ﷺ فذكَروا له ذلكَ فقالَ: «هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟»، فأرْسلُوا إلى رسولِ اللهِ منه، فأكَلَه(1).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ عَبْسٍ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ في تِسْعَة رَهْطٍ مِنْ بَنِي عَبْسٍ، فَأَسْلَمُوا، فَدَعَا لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيْرٍ(2).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ بَنِي عَبْسٍ على الغَالِبِ(3).

---

(1) انظر: صحيح البخاري (4361، 4362، 5493)، وصحيح مسلم (1935)، من حديث جابر.

(2) انظر: الطبقات الكبرى (1/295)، والكامل في التاريخ (2/166).

(3) طبقات (1/256)، أسد الغابة (4/426)، سبل الهدى (6/367).



{صلح الحديبية}

فِي ذي القَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كانَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ، وَكانَ فتحًا مُبِينًا(1):

خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في ذي القَعْدَةِ معتمِرًا، لا يريدُ حربًا، واستخلفَ على المدينةِ نُمَيلةَ بنَ عبدِ اللهِ الليثيَّ، واستنفَرَ العَربَ ومَنْ حولَهُ منْ أهلِ البوادِي مِنَ الأعرابِ؛ لِيَخْرُجُوا معَهُ؛ لأنَّه يخْشَى منْ قُريشٍ أن يَعرِضُوا لهُ بحربٍ، أو يصدُّوه عنِ البيتِ، فأبطَأَ عَليهِ كثيرٌ منَ الأعرابِ، وخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ بمَن معهُ منَ المهاجرينَ والأنصارِ ومنْ لحِقَ به مِنَ العربِ، وساقَ معهُ الهَدْيَ، وأحرمَ بالعُمرةِ؛ ليأمَنَ المشركونَ منْ حَربِهِ، وليَعلمُوا أنَّه إنَّما خرجَ زائرًا لهذا البيتِ ومعظِّمًا لهُ.

وكانَ عَددُ المسلمينَ الذينَ خرجُوا معَ رسولِ اللهِ ﷺ ألفًا وأَرْبَعَمِائَةٍ.

فلمَّا كانُوا بذِي الحُلَيفَةِ قلَّدَ رسولُ اللهِ ﷺ الهَدْيَ(قلد: أي علق في عنقها شيء؛ ليعلم أنها هدي) **وأشعَرَه** (أشعره: أي طعن في سنامها بحيث سال دمها؛ ليكون علامة للهدي)، **وأحرَم بالعُمْرَة(1).**

وبعثَ رسولُ اللهِ ﷺ أمامَهُ رجُلًا يُخبِرُه عن قُريش، حتَّى إذا كان قريبًا منْ عُسْفَانَ (مكان قريب من مكة) **أتاهُ هذا الرجلُ فقالَ: يا رسولَ اللهِ هذِه قريشٌ قد سمِعتْ بمَسِيرِك، فخرجُوا مَعهُم العُوذُ المطَافِيلُ** (معهم العوذ المطافيل: أي أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان يتزودون من ألبانها، ولا يرجعون حتى يقاتلوا رسول الله ويمنعوه من الدخول إلى مكة. والعوذ: هي النوق التي ولدت حديثًا فهي ذات لبن. والمطافيل: هي النوق التي معها أولادها وأصله الأمهات التي معها أطفالها)، **وجمعُوا لكَ جموعًا، قد لبِسُوا جُلودَ النُّمُورِ** (مثل لمن أراد العداوة، ولعلهم لبسوها حقيقة)، **وقدْ نزلُوا بذِي طُوًى** (بالقرب من مكة)،

---

(1) طبقات (91/2)، صحيح البخاري (1695، 2734، 4179، 4181)، الكامل (86/2) الذهبي (363)، المصادر الأصلية (481).

(2) انظر: صحيح البخاري (4154)، وصحيح مسلم (1856)، وسيرة ابن هشام (308/2–309).



وهم مقاتِلُوكَ وصادُّوكَ عن البيتِ ومانِعُوكَ، يعاهِدونَ اللهَ لا تدْخُلُها عليهِم أبدًا، وهذا خالدُ بنُ الوليدِ في خَيلِهِم قد قدَّمُوهَا إلى كُرَاعِ الغَميمِ(1).

فاستَشارَ النبي ﷺ أصْحابَه، وقالَ: "أَتَرَونَ أنْ نَمِيلَ إلى ذَرَارِيِّ هؤلاءِ الذينَ أَعانُوهم فَنُصِيبَهُم، فإنْ قَعَدُوا قعدُوا موتُورينَ محْروبِينَ (أي مسلوبين منهزمين)، وإنْ يجيئُوا تكنْ عُنقًا قطعَهَا اللهُ، أمْ تَرَونَ أنْ نَؤمَّ البيتَ، فمَنْ صَدَّنَا عنْهُ قَاتَلْنَاهُ؟"

فقال أبو بكرٍ: اللهُ ورسولُه أعلمُ، إنَّما جِئنا مُعْتمرِينَ، ولم نَجِئْ لقتالِ أحدٍ، ولكن مَن حالَ بينَنا وبينَ البيتِ قَاتَلْنَاهُ.

فقالَ النبيُّ ﷺ: "فَرُوحُوا إذًا"، فرَاحُوا(2).

ثم قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ رَجُلٌ يَخرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمْ الَّتِي هُمْ بِهَا؟"

فقالَ رجلٌ: أَنا يا رسولَ اللهِ، فسلكَ بهِم طريقًا وَعْرًا كَثيرَ الحجارةِ بينَ شِعابٍ.

فقالَ: اسْلُكُوا ذاتَ اليمينِ، فَسلكَ الجيشُ ذلكَ الطريقَ، حتى إذا كانُوا ببعضِ الطَّرِيقِ، قال النبيُّ ﷺ: "إِنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ (مكان قريب من الحديبية، والحديبية: مكان قريب من مكة) فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ (أي في مقدمة الجيش)، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ".

فلمَّا رأتْ خيلُ قريشٍ قَتْرَةَ الجيشِ (قترة الجيش: أي الغبار الأسود الذي أثارته حوافر خيل الجيش) قدْ خالفُوا عن طريقِهم، رَجعَ خالدٌ ومنْ معهُ رَاكِضِينَ نذيرًا إلى قريشٍ.

وسارَ النبيُّ حتى إذا كانَ بالثَّنِيَّةِ (الثنية: هي الطريق في الجبل، وقيل: هي موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية) التي يَهبِطُ عَليهِم منهَا بَرَكَتْ بِهِ راحِلَتُه، فقالَ الناسُ: حَلْ حَلْ. (صوت تزجر به الدابة لتحمل على السير)

فألحَّت (فألحت: لزمت مكانها ولم تنبعث)، فقالُوا: خَلأَتِ القَصْوَاءُ، خَلأَتِ القَصْوَاءُ.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/309–310)، وزاد المعاد (3/257).

(2) انظر: مسند أحمد (18928)، وزاد المعاد (3/257).





(خلأت: أي حزنت، وتصعبت، و القصواء: من القصو، وهو قطع طرف الأذن، وسميت به ناقة رسول الله ﷺ لأنَّ أذنها كان مقطوعا)

فقالَ النبيُّ ﷺ: ما خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ (أي: ليس ذلك بعادتها)، **وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ.** (حابس الفيل: أي: حبسها الله تعالى الذي حبس الفيل حين جيء به لهدم الكعبة).

ثُمَّ قَالَ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً (أي: ما تسألني قريش شيأ يعظمون به حرمات الله) **يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا".**

ثم زَجَرَها فوَثبتْ به، فعدَل عَنهُم حَتى نزَلَ بأَقْصَى الحُديبيةِ (حديبية: تصغير حدباء، سميت بذلك؛ لوجود شجرة حدباء في هذا الموضع بعضها في الحِل وبعضها في الحرم، وهي أبعد أطراف الحرم عن البيت) **على حُفْرةٍ فيها ماءٌ قليلٌ، وجعلَ الناسُ يأخذونَ مِن مَائِها قليلًا قليلًا، فلمْ يَترُكْهُ الناسُ حتَّى نزَحُوهُ، فَشكُوا إِلى رسولِ اللهِ ﷺ العَطشَ، فانتزعَ سهْمًا مِنْ كِنانَتِهِ ثمَّ أمرَهُم أن يجعلُوه فيه، فمَا زالَ يفورُ لهُمْ بالماءِ حتى رَجعُوا عنْه(1).**

ولمَّا اطْمأنَّ رَسولُ اللهِ ﷺ أتاهُ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الخُزَاعِيُّ في نَفرٍ مِن خُزَاعَةَ، وكانُوا مَحَلَّ نُصحِ رسولِ اللهِ ﷺ.

فقالَ: إني تَركتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نزلوا أعْدادَ مِياهِ الحُدَيبيةِ (أعداد: جمع عِدّ، وهو الماء الذي لا انقطاع لمادّته كالعين والبئر، وفيه أنه كان بالحديبية مياه كثيرة وأن قريشًا سبقوا إلى النزول عليها، ولذا عطش المسلمون) **معهم العُوذُ المطَافِيلُ، وهم مقاتِلُوك وصادُّوكَ عن البيتِ، فمَا الَّذِي جَاءَ بِكَ؟**

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً. (ماددتهم مدة: أي جعلت بيني وبينهم مدة صلح، وهدنة)

(1) انظر: صحيح البخاري (2731)، وسيرة ابن هشام (2/309-310).



وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ (أي غلبت عليهم): فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا (جمو: أي استراحوا من جهد الحرب)، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي (تنفرد سالفتي: أي حتى ينفصل مقدم عنقي، أي حتى أقتل)، وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ".

فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ.

فانطلق حتى أتى قريشا، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا، فإن شئتم أن نَعرِضه عليكم فعلنا.

فقال سفهاؤهم: لا حاجةَ لنَا أنْ تخبرنا عنه بشيء.

وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ.

قال: سمعتُه يقول كذا وكذا، فحدَّثهم بما قال النبي.

فَاتَّهَمُوهُ وَخاطبوه بما يكرهُ، وَقَالُوا: وَإِنْ كَانَ جَاءَ وَلَا يُرِيدُ قِتَالًا، فَوَ اللهِ لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً أَبَدًا، وَلَا تَحَدَّث بِذَلِكَ عَنَّا الْعَرَبُ.

فقام عُروةُ بن مسعودٍ فقال: يَا قومِ، ألستُم بالوالد؟ (أي: مثل الولد في النصح لوالده؟)

قالوا: بَلى.

قال: أَوَلَسْتُ بالولدِ؟ (أي: مثل الولد في النصح لوالده؟)

قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟

قالوا: لَا.

قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ، فَلَمَّا بَلَّحُوا (بلحوا: أي: امتنعوا) عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بأهلي وولدي ومن أطاعني؟

قَالُوا: بَلَى.



قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ (أس: خطة خير وصلاح)، **اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ.**

قَالُوا: ائْتِهِ.

فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ.

فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: يَا مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ (استأصلت أمر قومك: أي استهلكتهم بالكلية)، **هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ** (اجتاح: أي أهلك قومه قبلك)، **وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ** (أشوابا: أي أخلاطا من الناس) **خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ** (أي حقيقا، أو خليقا: أي: بالمثل الثوب القديم لا يصلح للباس، كناية منه على أصحاب النبي ﷺ)

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ (امصص ببظر اللات: البظر قطعة لحم بين جانبي فرج المرأة، وكان من عادة العرب أن يقولوا لمن يسبونه: امصص بظر أمه، فاستعار أبو بكر ذلك في اللات لتعظيمهم إياها فقصد المبالغة في سبه، واللات اسم لصنم من أصنام قريش)، **أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟**

فَقَالَ: مَنْ ذَا؟

قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ.

قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ (أي نعمة لك علي) **لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا** (أي لم أكافئك عليها) **لَأَجَبْتُكَ.**

وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ (وكانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة، وفي الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كان النبي يُغْضي لعروة عن ذلك استمالة له وتأليفا، والمغيرة يمنعه إجلالا للنبي وتعظيما)، **وَالمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ المِغْفَرُ** (المغفر: ما يوضع على الرأس تحت الخوذة، ويسدل على الوجه ليحميه من ضربات السلاح) **فَكُلَّمَا أَهْوَى**



عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ (أي: بأسفل السيف، أو بطن السيف) **وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ.**

فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟

قَالُوا: المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ.

فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟

وَكَانَ المُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ: "أَمَّا الإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا المَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ".

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَمَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ.

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، فَاقْبَلُوهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ (يعظمون البُدن: أي يعظمون ما أهدي إلى البيت احتراما للبيت، وليسوا ممن يستحلها. والبُدن: هي من الإبل، والبقر)، **فَابْعَثُوهَا لَهُ.** (فابعثوها: أي أثيروها أمامه كي يراها)



فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ (أي: بالعمرة)، **فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ.**

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ البُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ (أي: عُلِّق في عنقها شيء؛ ليعلم أنها هدي) **وَأُشْعِرَتْ** (أي: طُعن في سنامها بحيث سال دمها؛ ليكون علامة للهدي)، **فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ.**

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ" (وكان مشهورا بالغدر)، **فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ.**

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِبُدَيْلٍ وَأَصْحَابِهِ، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(1).

وأحبَّ رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يَبعثَ إلى كفارِ قريشٍ رجلًا من أصحابِه يخبرُهُم بأنَّه ما جاءَ إلا للعُمرةِ، فدعَا عُمرَ بنَ الخَطَّابِ؛ ليبعثَه إليهِم، فقالَ: يا رسولَ اللهِ ليسَ لي بِمكةَ أحدٌ من بَني كَعبٍ يَغضبُ لي إنْ أُوذِيتُ، فأَرْسلْ عُثمانَ بنَ عفانَ فإنَّ عَشِيرتَه بهَا، وإنَّه مُبَلِّغٌ ما أردتَ.

فدَعَا رسولُ اللهِ ﷺ عُثمانَ بنَ عَفان فأرسلهُ إلى قريشٍ، وقالَ: "أخبِرْهُم أنَّا لم نأتِ لِقتالٍ، وإنَّما جِئْنا عُمَّارًا، وادعُهُم إلى الإسلام، وأمرَه أن يأتيَ رجالًا بمكَّةَ مؤمنينَ ونساءَ مؤمناتٍ فيدخلَ عليهم، ويبشِّرُهُم بالفتحِ، ويخبرهم أن اللهَ مُظْهِرٌ دينَه بمكةَ، حتى لا يُستَخْفَى فيها بالإيمان"(2).

---

(1) انظر: صحيح البخاري (2731)، من حديث المسور بن مخرمة، وسيرة ابن هشام (2/311–314).

(2) انظر: زاد المعاد (3/258).

فانطلقَ عُثمانُ ولقيَهُ أبَانُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ فرحَّبَ به وأَسْرَجَ فرسَه، فحَمَلَ عثمانَ على الفَرسِ، وأجارَهُ حتى بلَّغَ رسالةَ رسولِ اللهِ ﷺ وأردَفهُ أبانُ حتَّى جاءَ مكَّةَ.

فَانطلقَ عُثمانُ حتَّى أتى أبا سُفيانَ وعُظماءَ قُريشٍ، فقَالوا: أينَ تُريدُ؟

فقال: بعثَني رسولُ اللهِ ﷺ أدْعُوكُم إلى اللهِ وإلى الإسْلامِ، وأخبرُكُم أنَّا لمْ نأتِ لقتالٍ، وإنَّما جِئنَا عُمَّارًا.

فقالوا: قد سمِعنَا ما تقولُ، فانفُذْ لحَاجتِكَ، وإنْ شِئتَ أنْ تَطوفَ بالبيتِ فطُفْ.

فقالَ: ما كنتُ لأفعلَ حتى يطوفَ به رسول الله ﷺ.

وقالَ المُسلمونَ قبلَ أن يرجِع عُثمانَ: خَلَصَ عثمانُ قَبْلَنَا إلى البَيتِ، وطافَ بهِ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "ما أَظُنُّه طافَ بالبيتِ ونحنُ محْصُورُونَ".

فقالُوا: وما يمنعُهُ يا رَسولَ الله وقد خَلَصَ؟

قال: "ذاكَ ظَنِّي به ألَّا يطوفَ بالكعبةِ حتَّى نطوفَ معهُ"(1).

وكانت قريش قد بعثت بأربعين رجلًا، وَأَمَرُوهُمْ أَنْ يُطِيفُوا بِعَسْكَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لِيُصِيبُوا لَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا، فرمَى رجلٌ منْ أَحدِ الفَريقينِ رجلًا منَ الفريقِ الآخرِ، وترامَوا بالنَّبلِ والحِجَارةِ، وكانتْ مَعركةً، فأُتيَ بهمْ إِلَى رسولِ اللهِ ﷺ، فعَفَا عنهُم، وخَلَّى سبيلَهُم.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/315)، وزاد المعاد (3/258-259).



{بيعة الرضوان}

وبلغَ رسولَ اللهِ ﷺ أنَّ عُثمانَ قدْ قُتِلَ(1)، فلمَّا أُشيعَ ذلك، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «لَا نَبرَحُ حَتَّى نُنَاجزَ القَومَ»، فدعَا رسولُ اللهِ ﷺ إلى البَيْعةِ، فكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَبايَعَ المسلمونَ رسولَ اللهِ ﷺ وهُو تحتَ الشجرةِ عَلى ألا يَفِرُّوا، فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ عَلَى الْمَوْتِ.

وأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ بيدِ نفسِه، وقالَ: "هذِه عنْ عُثمَانَ".

وكانَ أولَ مَنْ بايعَ رسُولَ اللهِ ﷺ أبو سِنَانٍ الأسديُّ، وبايَعَه سَلمةُ بنُ الأكْوعِ ثلاثَ مَرَّاتٍ في أولِ الناسِ، وأوسطِهِم، وآخرِهِم.

ولما تمَّتْ البيعةُ رجعَ عثمانُ فقالَ له المُسلِمونَ: اشتَفَيتَ يا أبَا عبدِ اللهِ منَ الطَّوافِ بالبيتِ؟

فقالَ: بئسَ مَا ظَنَنتُم بي، والذِي نفْسي بيدِه لو مَكَثتُ بها سَنةً، ورسولُ اللهِ مُقيمٌ بالحديبيةِ ما طُفتُ بها حتَّى يطوفَ بها رَسولُ اللهِ ﷺ، ولقدْ دَعَتْني قُريشٌ إلى الطوافِ بالبيتِ فأبيتُ.

فقال المُسلمونَ: رسولُ اللهِ كانَ أعلمَنَا باللهِ وأحْسَنَنَا ظنًّا(2).

وسُميت ببيعةِ الرِّضوانِ؛ لقولِه تَعالى فيها: "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا"[الفتح: 18](3).

وقال النبي ﷺ: "لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا"(4)، وقال ﷺ: " أنهم خيرُ أهلِ الأرضِ"(5).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/314-315)، وزاد المعاد (3/259).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/315-316)، وزاد المعاد (3/259-260).

(3) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (19/178).

(4) صحيح: رواه مسلم (2496)، عن أم مبشِّر رضي الله عنها.

(5) انظر: البخاري (4154)، ومسلم (1856).

عقد صلح الحديبية:

ثُمَّ بَعثَتْ قُرَيْشٌ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالُوا لَهُ: ائْتِ مُحَمَّدًا فَصَالِحْهُ، وَلَا يَكُنْ فِي صُلْحِهِ إلَّا أَنْ يَرْجِعَ عَنَّا عَامه هَذَا، فو الله لَا تُحَدِّثُ الْعَرَبُ عَنَّا أَنَّهُ دَخلَهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً أَبَدًا.

فَأَتَاهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا، قَالَ: "قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ، لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ".

فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "اكْتُبْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ".

قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.

فَقَالَ المُسْلِمُونَ: وَاللهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهُمَّ»، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو".

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ البَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ»، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: "لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا".

وقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَطُوفَ بِهِ".

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَا تَتَحَدَّثُ العَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً (ضغطة: أي مفاجأة، وقهرا)، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَكَتَبَ.

وقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا.

قَالَ المُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى المُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟(1).



وكانت بنود الصلح على ما يلي:

1 – وضعُ الحَربِ بينَهُمْ عشرَ سنينَ.

2 – وأنْ يأمنَ الناسُ بعضُهُم من بعضٍ.

3 – وأنْ يرجعَ النبيُّ عَنْهم عامَه ذلكَ، حتى إذا كانَ العامُ المُقبلُ قَدِمَها وخلُّوا بينَه وبينَ مكةَ فيُقيمُ بِها ثلاثا.

4 – وألَّا يدخلَ النبيُّ مكةَ إلا بسلاحِ الراكبِ والسُّيُوفُ في القُرُبِ.

5 – وأنَّ مَن أتانَا من أصحابِك لم نردَّهُ عليكَ، ومَن أتاكَ من أصحابِنا رَدَدْتَهُ عَلَينَا.

6 – وأنَّه لَا سَرِقةَ، ولا خِيانةَ.

فقَالَ الصَّحَابةُ: يا رسولَ اللهِ، نُعْطيهِم هَذا؟

فَقالَ: "مَن أتاهم منَّا فأبعدَه اللهُ، ومن أتانا منهم فرددناه إليهم جعل الله له فرجا ومخرجا"(2).

وبَيْنَما هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ(يمشي مشيا بطيئا من شدة القيود)، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ المُسْلِمِينَ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّا لَمْ نَقْضِ الكِتَابَ بَعْدُ".

قَالَ: فَوَاللهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَأَجِزْهُ لِي".

قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ.

---

(1) انظر: صحيح البخاري (2731)، من حديث المسور بن مخرمة، وسيرة ابن هشام (2/316–317).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/317–318)، وزاد المعاد (3/266).

قَالَ ﷺ: "بَلَى فَافْعَلْ".

قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ.

قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ.

قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى المُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ أَأُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونِي فِي دِينِي؟ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ فِي اللهِ عَذَابًا شَدِيدًا(1).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللهِ، وَإِنَّا لَا نَغْدِرُ بِهِمْ".

فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَعَ أَبِي جَنْدَلٍ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهِ، وَيَقُولُ: اصْبِرْ يَا أَبَا جَنْدَلٍ، فَإِنَّمَا هُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَإِنَّمَا دَمُ أَحَدِهِمْ دَمُ كَلْبٍ، وَيُدْنِي قَائِمَ السَّيْفِ مِنْهُ.

يَقُولُ عُمَرُ: رَجَوْتُ أَنْ يَأْخُذَ السَّيْفَ فَيَضْرِبُ بِهِ أَبَاهُ، فَضَنَّ الرَّجُلُ بِأَبِيهِ، وَنَفَذَتِ الْقَضِيَّةُ(2).

ويقول عمر بن الخطاب مُنكرا للصلح:

أَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟

قَالَ: "بَلَى".

قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟

قَالَ: "بَلَى".

قُلْتُ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ، وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟

(1) انظر: صحيح البخاري (2731)، من حديث المسور بن مخرمة، وسيرة ابن هشام (2/318).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/318-319).

قَالَ: "بَلَى".

قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟

قَالَ: "يَا ابْنَ الخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا".

قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟

قَالَ: "بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ".

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: "فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُطَّوِّفٌ بِهِ".

قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟

قَالَ: بَلَى.

قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟

قَالَ: بَلَى.

قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ (الدنية: أي النقيصة، والمذلة) فِي دِينِنَا إِذًا؟

قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ (استمسك بغرزه: أي تمسك بأمره، ولا تخالفه)، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ، وَنَطُوفُ بِهِ؟

قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُطَّوِّفٌ بِهِ.

قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا، فَمَا زِلْتُ أَتَصَدَّقُ وَأَصُومُ وَأُصَلِّي وَأُعْتِقُ، مِنَ الَّذِي صَنَعْتُ يَوْمَئِذٍ! مَخَافَةَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ، حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا(1).

---

(1) انظر: صحيح البخاري (2731، 3182)، من حديث المسور بن مخرمة، وسيرة ابن هشام (2/316-317).



ولَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ كتَابةِ العقدِ، والإشهادِ عليهِ قالَ لِأَصْحَابِهِ: "قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا".

فَمَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ.

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ.

فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا مِنْ شِدَّةِ الازْدِحَامِ على النَّحْرِ والحَلْقِ(1).

قصة أبي بصير رضي الله عنه: وهو سبب خلاص المسلمين المستضعفين في قريش:

لمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ، جاءه أَبُو بَصِيرٍ مسلما، وهو رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: العَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ.

فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الآخَرُ.

فَقَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ.

فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ.

فَلَمَّا تَمَكَّنَ أَبُو بَصِيرٍ مِنَ السَّيفِ، قَتَلَ أَحَدَهُمَا، وَفَرَّ الآخَرُ حَتَّى أَتَى المَدِينَةَ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ يَعْدُو.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُ: "لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا".

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُتِلَ وَاللهِ صَاحِبِي، وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ.

---

(1) صحيح: رواه البخاري (2731)، عن المسور بن مخرمة.



فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، قَدْ وَاللهِ أَوْفَى اللهُ ذِمَّتَكَ (أي ليس عليك عتاب منهم فيما صنعت أنا)، **قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللهُ مِنْهُمْ.**

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ.

(ويل أمه: الويل العذاب، وهي كلمة أصلها دعاء عليه، ولكنها استعملت هنا للتعجب من عمله، مسعر حرب: أي محرك لها وموقد لنارها، والمسعر في الأصل العود الذي تحرك به النار، لو كان له أحد: أي لو وجد معه أحد ينصره ويعاضده)

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ البَحْرِ.

وفَرَّ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ (أربعون فما فوق)، **فَمَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ** (أي: الشام) **إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللهِ وَالرَّحِمِ أَنْ يُرْسِلَ إِلى أَبِي بَصيرٍ وَأَصْحَابِهِ بِالامْتِناعِ عنْ إِيذاءِ قُرَيشٍ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ.**

فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: "وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"[24 – 26].






نزول سورة الفتح:

وكان هذا عند مَرْجِعِهِمْ مِنَ الحُدَيْبِيةِ عندَ ضَجْنانِ(1).

وَفِي مَرْجِعِهِمْ مِنَ الحُدَيْبِيةِ عندَ ضَجْنانِ نَزَلَتْ سورَةُ الفَتحِ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وكان وَأَصْحَابُهُ يُخَالِطُهُمُ الْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا"، ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا"[الفتح: 1 – 2].

فقال الصحابة: هَنِيئًا مَرِيئًا يَا نَبِيَّ اللهِ، (الْهَنِيءُ: كلّ ما لا يلحق فيه مشقّة، ولا يعقب وخامة. والمريء: المحمود العاقبة الذي لا داء فيه، وهما في الأصل لما يؤكل ويشرب ويستعاران للمعاني كما هنا) لَقَدْ بَيَّنَ اللهُ لَكَ مَاذَا يُفْعَلُ بِكَ، فَمَاذَا يُفْعَلُ بِنَا؟

فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ ﷺ: "لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا"[الفتح: 5].

ولمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ على عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: "نَعَمْ"(2).

قَالَ البَرَاءُ: تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ(3).

وعلى هذا الفتح المقصود هو بيعة الرضوان.

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد (94/2).

(2) صحيح: رواه البخاري (3182)، عن سهل بن حنيف.

(3) صحيح: رواه البخاري (4150).




وَفِي هَذِه السَّنَةِ: نَزَلَ فَرضُ الحَجِّ(1).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: حُرِّمَتِ المُسلِماتُ علَى المشركِينَ(2).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: أَرسَلَ رسولُ اللهِ ﷺ كُتبًا إِلى ملوكِ العَالمِ يَدْعُوهُم إِلى الإِسلامِ(3).

ومِن هؤلاءِ الملوكِ: ملِكُ الرومِ «هِرَقْل»، ومَلِكُ فَارسٍ «كِسْرَى»، ومَلِكُ الحَبشةِ «النّجَاشيُّ»، ومَلِكُ مِصرَ "المقوقس"، وعاملِ البَحرَينِ "المُنذِرِ بنِ سَاوَى".

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: كَسَفَتِ الشَّمسُ(4)، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الكسوف.

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفدُ جُذَامٍ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ(5).

قدِم رِفَاعةُ بنُ زَيدِ الجُذاميُّ وافدًا على رَسولِ اللهِ ﷺ في الهُدْنةِ قَبلَ خيبرَ، وأهدى لهُ عبدًا، وأسلَمَ، وأقامَ بالمدينةِ.

ثم سَألَ النبيَّ ﷺ أنْ يَكتبَ معَه كتابًا، فكتبَ له رسولُ الله ﷺ كتابًا: "بِسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى قَوْمِهِ عامةً، وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ وإلى رَسوْلِه، فَمَنْ أَقْبَلَ فَفِي حِزْبِ اللهِ وحزبِ رسولِه، وَمَنْ أَبَى فَلَهُ أَمَانُ شَهْرَيْنِ".

فلمَّا قدِم رِفَاعةُ على قومِه بكتابِ النبيِّ ﷺ قرأهُ عليهِم فأجابُوه، وأسلَمُوا(6).

---

(1) البداية والنهاية (202/4)، شذرات الذهب (20/1).

(2) البداية والنهاية (202/4).

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد حيث ذكر فيها أكثر من خمسين كتابًا للرسول (222/1–252)، الكامل (97/2)، البداية والنهاية (203/4)، السيرة في ضوء المصادر الأصلية (513).

(4) شذرات الذهب (20/1).

(5) سبل الهدى (471/6).

(6) انظر: مغازي الواقدي (557/2)، والطبقات الكبرى (354/1).




الفصل التاسع
السنة السابعة من الهجرة





{تألُّق سلمة بن الأكوع رضي الله عنه}

في المُحرَّمِ مِنَ السَّنَةِ السابعة من الهجرة: كانتْ غزوةُ ذِي قَرَدٍ على الرَّاجِحِ(1):

لمَّا قدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ بعدَ صُلحِ الحُديبيةِ، لمْ يقمْ بها إلَّا ليالِيَ قلائلَ(2).

فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِظَهْرِهِ (بظهره: الظهر، أي: الإبل التي تعد للركوب، وحمل الأثقال) **مَعَ غُلَامِهِ رَبَاحٍ، وَمَعَهُ سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ، وَخرَجَ سَلَمَةُ مَعَهُ قَبْلَ الفَجْرِ بِفَرَسِ طَلْحَة يُسْقيهِ ويَرْعَاهُ مَعَ الإِبِلِ بِذِي قَرَدَ.** (ذي قرد: موضع ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر)

فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى لِقَاحِ (اللقاح: الإبل ذات الألبان) **رَسُولِ اللهِ فَاسْتَاقَهُ أَجْمَعَ، وَقَتَلَ رَاعِيَهُ.**

فَقَالَ سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ: يَا رَبَاحُ، خُذْ هَذَا الْفَرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ، وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرْحِهِ.

ثُمَّ قَامَ سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ (والأكوع: لقب، واسمه سنان بن عبد الله) **عَلَى أَكَمَةٍ** (مكان مرتفع)، **فَاسْتَقْبَلَ الْمَدِينَةَ، فَصَرَخَ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ يَا صَبَاحَاهْ** (كلمة يقولها المستغيث لأنهم كانوا يغيرون صباحا)، **فَأَسْمَعَ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ المَدِينَةِ** (أي: جانبيها من الجبال) **ثُمَّ خَرَجَ فِي آثَارِ الْقَوْمِ يَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ، وَيَرْتَجِزُ** (يرتجز: والرجز بحر من الشعر ووزنه مستفعلن ست مرات، ومنه المشطور، والمجزوء)، **يَقُولُ:**

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ * وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ (يوم الرضع: أي: يوم هلاك الظالمين)

فكانَ يَقتلُ خُيُولَهُم، وَيلحقُ الرَّجُلَ منْهُم فَيَضْرِبُهُ بالسَّهمِ، وَيَقُولُ: خُذْهَا

وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ * وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

---

(1) هذا ما جزم به البخاري في المغازي (4194) ورجحه ابن كثير في البداية (174/4) والحافظ في الفتح (526/7) خلافًا لابن إسحاق وابن سعد في الطبقات (76/2).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (281/2).




قال سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ: **فَوَاللهِ، مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ** (أعقر بهم: من العقر للدواب، أي: أقتل مركوبهم وأجعلهم راجلين بعقر دوابهم)، **فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ أَتَيْتُ شَجَرَةً، فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا، ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ، حَتَّى إِذَا تَضَايَقَ الْجَبَلُ، فَدَخَلُوا فِي تَضَايُقِهِ، وَاسْتَتَروا بِهِ، عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِم بِالْحِجَارَةِ الَّتِي تُهْلِكُهُم.**

فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ حَتَّى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا خَلَّفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَخَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِينَ بُرْدَةً (بردة: أي شملة مخططة، أو كساء أسود مربع صغير يلبسه الأعراب)، **وَثَلَاثِينَ رُمْحًا، يَسْتَخِفُّونَ** (أي: يطلبون الخفَّة بإلقائها)، **وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ عَلَامَاتٍ مِنَ الْحِجَارَةِ يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى أَتَوْا مُتَضَايِقًا مِنْ ثَنِيَّةٍ** (مكان ضيق بين جبلين)، **فَإِذَا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ فُلَانُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، فَجَلَسُوا يَتَغَدَّوْنَ، وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ.** (على رأس جبل صغير منقطع عن جبل كبير).

قَالَ الْفَزَارِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى؟

قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الشِّدَّةَ، وَاللهِ مَا فَارَقَنَا مُنْذُ غَلَسٍ (ظلمة الفجر) **يَرْمِينَا حَتَّى انْتَزَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا.**

قَالَ: فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةٌ.

قَالَ: فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ.

فَلَمَّا أَمْكَنُونِي مِنَ الْكَلَامِ، قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُونِي؟

قَالُوا: لَا، وَمَنْ أَنْتَ؟

قال سَلَمَةُ: أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ، وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكَنِي.

قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَظُنُّ.

فَرَجَعُوا، فَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ، فَإِذَا أَوَّلُهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ، عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَعَلَى إِثْرِهِ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ، فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ الْأَخْرَمِ الأسدي (منعت الأخرم)، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ.

فَقَالَ سَلَمَةُ: يَا أَخْرَمُ، احْذَرْهُمْ لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ.

قَالَ الْأَخْرَمُ: يَا سَلَمَةُ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ.

فَخَلَّيْتُهُ، فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَعَقَرَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ، وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ، وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ، وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ.

فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَى رِجْلَيَّ حَتَّى مَا أَرَى وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا غُبَارِهِمْ شَيْئًا حَتَّى يَعْدِلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: ذُو قَرَدٍ؛ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ، فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ، فَأَجْلَيْتُهُمْ عَنْهُ، فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً.

وَيَخْرُجُونَ فَيَشْتَدُّونَ فِي ثَنِيَّةٍ، فَأَعْدُو فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ (في أعلى كتفه)، فَأَقُولُ: خُذْهَا

وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ * وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

قَالَ: يَا ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ أَكْوَعُهُ بُكْرَةَ؟ (يا ثكلته أمه: أي فقدته أمه، وهذا دعا عليه بالموت لسوء فعله، وأكوعه بكرة: أي أنت الأكوع الذي كان قد تبعنا بكرة اليوم)

وَأَرْدَوْا فَرَسَيْنِ عَلَى ثَنِيَّةٍ (تعب الفرسين حتى سقطا)، فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوقُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ (من أواني المياه) فِيهَا مَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ (لبن مخلوط بالماء)، وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ، فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَلِّنِي فَأَنْتَخِبُ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَتَّبِعُ الْقَوْمَ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ. (أي: أقتلهم جميعا، فلا يوجد منهم أحد يخبر عنهم أنهم قُتلوا).

فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ، فَقَالَ: "يَا سَلَمَةُ، أَتُرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا؟"

قُلْتُ: نَعَمْ، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ.

فَقَالَ: "إِنَّهُمُ الْآنَ لَيُقْرَوْنَ فِي أَرْضِ غَطَفَانَ". (أي: في ضيافة غطفان)

فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ، فَقَالَ: نَحَرَ لَهُمْ فُلَانٌ جَزُورًا فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا، فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْقَوْمُ، فَخَرَجُوا هَارِبِينَ.

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ". (أي: خير محارب من يركب الفرس هو قتادة، وخير محارب من الرُّجَّل الذي يحاربون على أرجلهم لا يركبون، سلمة).

ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ سَهْمَيْنِ سَهْمَ الْفَارِسِ، وَسَهْمَ الرَّاجِلِ، فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ وَرَاءَهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ (لقب ناقة رسول الله، ولقبت بذلك لنجابتها) **رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ(1).**

وكانت هذه الغزوةُ قبلَ غزوةِ خيبرَ بثلاثةِ أيامٍ(2).

---

(1) صحيح البخاري (4194)، وصحيح مسلم (1806، 1807)، واللفظ له.

(2) انظر: صحيح البخاري (5/130).

{غزوة خيبر}

فِي المُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كانَتْ غَزوةُ خَيبرَ(1):

لمَّا قدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ من غَزوةِ ذِي قَرَدٍ مَا لَبِثَ إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ، وكان الله تعالى وَعَدَهُ إياهَا وهُو بالحُديبِيةِ، فقال تعالى: "وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا[الفتح: 20](2).

واستَخلفَ رسولُ اللهِ ﷺ على المَدينةِ سِبَاعَ بنَ عُرْفُطَةَ، وسارَ بجيشِه إلى خيبرَ، حتى نزلَ بوادِ الرَّجيعِ (واد بين خيبر وغطفان)، فنزلَ بينهُم وبينَ غَطَفَانَ، ليَحُولَ بينَهُم وبينَ أنْ يَمدُّوا أهلَ خيبرَ، وكانوا لهُم مُعَاوِنينَ على رسولِ اللهِ ﷺ، فباتَ رسولُ اللهِ ﷺ بوادِ الرَّجيعِ حتى أصبحَ فغدَا إليهِم(3).

قالَ سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَسِرْنَا لَيْلًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ لِعَامِرِ بْنِ الأَكْوَعِ: أَلَا تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ؟ (أي: أراجيزك؟)

وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا شَاعِرًا، فَنَزَلَ يَحْدُو (الحادي الذي يحث الإبل على السير بالغناء لها) بِالقَوْمِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا * وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا * وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا * إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا
وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

---

(1) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (97/8).

(2) انظر: صحيح مسلم (1807)، وزاد المعاد (281/3).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (330/2)، وزاد المعاد (281/3-282).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ هَذَا السَّائِقُ؟"

قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الأَكْوَعِ.

فَقَالَ ﷺ: "يَرْحَمُهُ اللهُ".

وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ.

فَنَادَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ: وَجَبَتْ (أي: ثبت له الشهادة) يَا نَبِيَّ اللهِ، لَوْلَا مَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ(1).(أي هلا أبقيته لنا لنتمتع بشجاعته)

ولما سَمعتْ غطفانُ بمنزلِ رسولِ اللهِ ﷺ مِن خيبرَ، جمَعُوا لهُ، ثمَّ خرجُوا؛ ليعَاونُوا يهودَ عليهِ، فلمَّا كانُوا في بعضِ الطريقِ سمِعوا حسًّا خلفَهُم في أموالهِم وأهليهِم، فظنُّوا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابه قدْ رجعُوا إليهِم، فَرَجعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فَأَقَامُوا فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَخَلَّوْا بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ خَيْبَرَ(2).

وَلَمَّا دَنَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَشْرَفَ عَلَى خيبرَ قَالَ: «قِفُوا»، فَوَقَفَ الْجَيْشُ، فَقَالَ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ (أي: حملن)، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، أَقْدِمُوا بِاسْمِ اللهِ»، وَكَانَ يَقُولُهَا لِكُلِّ قَرْيَةٍ دَخَلَهَا(3).

ولمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ صَلَّى بِهَا الصُّبْحَ، وَرَكِبَ الْمُسْلِمُونَ، فَخَرَجَ أَهْلُ خَيْبَرَ بِمَسَاحِيهِمْ (جمع مسحاة وهي أدات الزراعة)، وَمَكَاتِلِهِمْ (جمع مكتل وهو وعاء مثل القفة)، وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَجِيءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَلْ خَرَجُوا لِأَرْضِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوُا الْجَيْشَ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ،(الخميس: الجيش، سمي به ؛لأنه مقسوم بخمسة أقسام: المقدمة، والساقة، والميمنة، والميسرة، والقلب. وقيل: لأنه تخمس فيه الغنائم)،

(1) انظر: صحيح البخاري (6148)، وصحيح مسلم (1802، 1807)، من حديث سلمة بن الأكوع.

(2) انظر: سيرة ابن هشام (330/2).

(3) انظر: سنن النسائي الكبرى (10302)، والسنن الكبرى، للبيهقي (10320)، وسيرة ابن هشام (329/2).



ثُمَّ رَجَعُوا هَارِبِينَ إِلَى حُصُونِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ"(1).

وكانتْ خيبرُ مُنقَسِمةً إلى شَطْرين:

الشطرُ الأَوَّلُ: فيه خمْسةُ حُصُونٍ: حِصْنُ ناعمٍ، وحِصْنُ الصَّعبِ بنِ مُعاذٍ، وحِصْنُ قَلْعةِ الزُّبيرِ، وحِصْنُ أُبَيٍّ، وحِصْنُ النِّزارِ.

والحصونُ الثلاثةُ الأُولى تقعُ في منطقةٍ يقال لهَا «النَّطَاةُ»، وأمَّا الحِصْنَانِ الآخرانِ فيقعانِ في مَنْطقةٍ تُسَمَّى بـ "الشَّقِّ".

والشَّطْرُ الثَّاني: فيه ثلاثةُ حُصونٍ، ويُعرفُ بالكَتِيبةِ، وهم: حِصْنُ القَمُوصِ، وكانَ لبني أَبي الحُقَيقِ مِن بَني النَّضيرِ، وحِصْنُ الوَطِيحِ، حِصْنُ السُّلَالمِ.

وفي خيبرَ حصونٌ وقلاعٌ غيرُ هذِه الثَّمانيةِ، إلا أنَّها كانتْ صغيرةً لا تبلغُ إلى درجةِ هذِه القِلاعِ في مَنَاعَتِها وقوَّتِها.

والقتالُ المَريرُ إنَّما دارَ في الشطرِ الأولِ منها، أما الشطرُ الثاني فَحُصُونُها الثلاثةُ مع كثرةِ المُحَاربينَ فيها سُلِّمَتْ دُونَما قِتالٍ.

لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ دُخُولِ خَيْبَرَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ".

فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ (أي: يخوضون) أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ النبي ﷺ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟

---

(1) انظر: صحيح البخاري (2945)، من حديث أنس.

(2) انظر: الرحيق المختوم، صـ (318-319).

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ.

قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ.

فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟

قَالَ: "انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ (على مهل) حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ". (الإبل الحمر وهي خير أموال العرب)

ولَمَّا تَصَافَّ الْقَوْمُ، خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ (يهز سيفه إعجابا بنفسه)، وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ * شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ (معتاد على السلاح)

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

وَبَرَزَ لَهُ عَامِرٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرُ * شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ

فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ، وكَانَ سَيْفُ عَامِرٍ فِيهِ قِصَرٌ، وَذَهَبَ عَامِرٌ يضرِبُهُ مِنْ أسفَلِهِ، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَأَصَابَ رُكْبَةَ عَامِرٍ فَمَاتَ مِنْهُ.

قالَ سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ: فَخَرَجْتُ، فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ: بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ، قَتَلَ نَفْسَهُ.

فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقُلْتُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ: "مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟"

قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ.

قَالَ: كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ إِنَّهُ لَجَاهِدٌ (أي: يجهد نفسه طاعة لله) مُجَاهِدٌ، قَلَّ عَرَبِيٌّ نَشَأَ بِهَا مِثْلَهُ. (أي: نشأ بهذه الخصال الحميدة)

وأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ الأَدْنى فالأدْنى من أموالِ اليهودِ وحُصونِهم، فافتتحَ حُصُونَهم حِصنًا حِصنًا، فكانَ حِصنُ نَاعِمٍ أولَ حُصونِهِم افتتحَ، وعندَه قُتِلَ محمودُ بنُ مَسلمة، أُلقِيتْ عليهِ منهُ رَحًى فقتلتْهُ، ثم حِصنُ القَمُوصِ، وأصابَ رسولُ اللهِ ﷺ منهم سبايَا، منهنَّ صفيةُ بنتُ حُيَيٍّ بنِ أَخْطَب، وبِنَتي عَمٍّ لهَا، فاصطفَها رسولُ اللهِ ﷺ لنفسِه، وفَشتِ السبايَا من خيبرَ في المُسلمينَ(2).

ولمَّا افتتحَ رسولُ اللهِ ﷺ بَعْضَ حُصونِ خيبرَ، وحازَ مِنَ الأموالِ ما حَازَ لَجَأَ اليَهُودُ إلى حِصْنَيهِمُ الوَطِيحِ، والسُّلَالِمِ، وكانَ آخرَ حُصونِ أهلِ خيبرَ افتتاحًا، فحَاصرهُم رسولُ اللهِ ﷺ بِضعَ عشرةَ ليلةً(3).

فَخرَجَ مَرْحَبٌ وَهُوَ يَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ * شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَبَرَزَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ رضي الله عنه، وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ * كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

(والسندرة: مكيال واسع، وقيل: هي العجلة، أي: أقتلهم عاجلا)

(1) صحيح البخاري (6148)، وصحيح مسلم (1802، 1807).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/230-231).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (2/333).

فَضَرَبَ عليٌّ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ(1).

وخَرجَ بعد مَقتَلِ مَرْحَبٍ أخوهُ ياسرٌ، وهو يقولُ: مَن يبارِزُ؟

فَخرجَ إليهِ الزُّبيرُ بنُ العَوامِ، فقالتْ أمُّه صَفيةُ بنتُ عبدِ المطَّلبِ: يُقتلُ ابني يا رسولَ اللهِ.

قالَ: "بَلْ ابْنُكَ يَقْتُلُهُ إنْ شَاءَ اللهُ".

فخرجَ الزبيرُ، فقَتلَ يَاسِرًا(2).

ولمَّا حاصرَ رسولُ اللهِ ﷺ أهلَ خيبرَ في حِصنَيهِم الوَطيحِ والسُّلالِمِ، أيقَنوا بالهَلكةِ، فَسألُوه أنْ يُجْلِيَهُم، وأنْ يحقِنَ لهُم دماءَهُم، ففَعلَ.

وكان رسولُ اللهِ ﷺ قدْ حازَ الأموالَ كلَّها، وجميعَ حُصونِهم، إلا ما كانَ من ذَينِكَ الحِصْنَينِ.

فلمَّا نزلَ يهودُ خَيبرَ على ذلكَ، سَألُوا رسولَ اللهِ ﷺ أنْ يعاملَهم في الأموالِ على النِّصفِ، وقَالوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِالْأَرْضِ مِنْكُمْ، دَعُونَا نَكُونُ فِيهَا وَنَعْمُرُهَا لَكُمْ بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فقسم رسول الله ﷺ شَطْرَ خَيْبَرَ، وَتَرَكَ شَطْرَهَا(3).

وغنِمَ المسلمونَ منْ خيبرَ غنائمَ كثيرةً، حتى قَالَ أصْحَابُ رسولِ اللهِ ﷺ مَا شَبِعْنَا حَتَّى فَتَحْنَا خَيْبَرَ(4).

وَفِي غَزوةِ خَيبرَ: حُرِّمتْ لحُومِ الحُمُرِ الأهْليةِ(5).

---

(1) انظر: صحيح مسلم (1807)، من حديث سلمة بن الأكوع.

(2) انظر: سيرة ابن هشام (334/2).

(3) انظر: صحيح البخاري (2328)، وصحيح مسلم (1551)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وسيرة ابن هشام (338/2).

(4) انظر: صحيح البخاري (4243).

(5) الكامل (99/2)، البداية (182/4، 192).

وَفِي غزوةِ خيبرَ: قدِمَ على رسولِ اللهِ ﷺ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ، ومَن مَعَهُ مِن مُهَاجرِي الحبَشَةِ ومعهُم أبُو مُوسَى، ومَنْ مَعَهُ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ(1).

فلمَّا قَدِمَ جعفرُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ تَلَقَّاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، وَقَالَ: "وَاللهِ مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَفْرَحُ؛ بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ"(2).

وَفِي غزوةِ خيبرَ: قَدِمَ أبُو هُرَيرَةَ عَلَى رسولِ اللهِ ﷺ مُسْلِمًا(3).

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ أَبَانَ بنِ سَعيدِ بنِ العاصِ قِبَلَ نَجْدٍ(4).

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: أهدتْ يهوديةٌ شاةً مَصْليَّةً مَسمُومةً إِلَى رسولِ اللهِ ﷺ فَأَخذَ لُقْمَةً فَأَخبرَتْه الشَّاةُ بأنَّهَا مَسْمُومَةٌ(5):

لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ، وَاطْمَأَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً (مشوية)، وَقَدْ سَأَلَتْ أَيُّ عُضْوٍ مِنَ الشَّاةِ أَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ؟

فَقِيلَ لَهَا: الذِّرَاعُ، فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنَ السُّمِّ، ثُمَّ سَمَّتْ سَائِرَ الشَّاةِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَنَاوَلَ الذِّرَاعَ، فَلَاكَ (مضغ) مِنْهَا مُضْغَةً، فَلَمْ يُسِغْهَا (لم يبلعها)، وَمَعَهُ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَمَّا بِشْرٌ فَأَسَاغَهَا، وَأَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَفَظَهَا.

ثُمَّ قَالَ: "ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ".

فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، فَاعْتَرَفَتْ، فَقَالَ: "مَا حَمَلَكِ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ؟"

قَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ.

---

(1) البداية (231/4)، شذرات الذهب (21/1).

(2) صحيح: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (33682)، والحاكم في المستدرك (4931).

(3) البداية (207/4)، شذرات الذهب (21/1).

(4) البخاري في المغازي، باب غزوة خيبر، سبل الهدى والرشاد في السرايا، سرية أبان بن سعيد (202/6).

(5) صحيح البخاري (2617، 3169، 4249، 5777) مسلم (2190) والقصة في البداية (234/4 – 238» الكامل (103/2).

قَالَ: "مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَيَّ".

وَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ مِنْ أَكْلَتِهِ الَّتِي أَكَلَ.

قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟

قال: "لا".

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ: "مَازِلْتُ أَجِدُ مِنَ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي"(1). (الأبهر عرق مرتبط بالقلب)

ولمَّا انصرفَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ خيبرَ بعث مُحَيِّصَةَ بنَ مَسعُودٍ إلى فَدكَ يدعُوهُم إلى الإسلامِ، فصالحُوا رسولَ اللهِ ﷺ على نصفِ الأرضِ، فقَبِلَ ذلكَ مِنْهُم وكانَ نصفُ فَدَكَ خَالصًا لرسولِ اللهِ ﷺ لأنَّهُ لمْ يُوجِفِ المُسْلمونَ عَلَيه بخيلٍ ولَا رِكابٍ، فكانَ يَصرِفُ ما يأتِيه منْه على أبناءِ السبيلِ(2).

وَفِي مُنْصَرَفِه مِن خَيبرَ أيضًا فَتَحَ وادِي القُرَى، وغَنِمَ أمْوالَها وتَرَكَ أرْضَها معَ اليَهُودِ على شَطْرِ ما يخرُجُ مِنْها كأهْلِ خَيْبرَ(3).

ولمَّا عَلمَ يهودُ تيماءَ ما جَرى لإخوانِهم في خَيبرَ وفَدَكَ ووادِي القُرى صَالحُوا رسولَ اللهِ ﷺ على الجزية وأقامُوا بأموالِهم(4).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ حَاطبُ بنُ أبي بَلْتَعَةَ مِن عِندِ المقَوْقِسِ ملك القبط بمصر، وقدْ أَرْسَلَ مَعَهُ للنبيِّ ﷺ ماريَةَ وأُخْتَها سيرينَ، وَبَغلةً وحِمارًا وكِسْوةً، فأسْلَمَتْ مَارِيَةُ وأُخْتُهَا قَبلَ قُدُومِهِمَا عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ فأخذَ ماريَةَ لنَفْسِهِ فوَلَدَتْ لهُ إبراهيمَ، ووهبَ سيرينَ لحسانَ بنِ ثابتٍ فَهِيَ أمُّ ابْنِه عبدِ الرَّحمَنِ، فهُو وإبراهِيمُ ابنَا خَالَةٍ(5).

(1) صحيح: رواه البخاري (4428)، ومسلم (2190)، وأبو داود (4512). وسيرة ابن هشام (2/337-338).

(2) تاريخ الطبري (2/140) الكامل (2/104).

(3) تاريخ الطبري (2/138) سبل الهدى والرشاد (5/148).

(4) زاد المعاد (3/314).

(5) الكامل (2/105) البداية (4/233) شذرات الذهب (1/21).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: كانتْ غزوةُ ذاتِ الرِّقاعِ على الرَّاجحِ(1):

غَزا النبيُّ ﷺ بنفسِه غَزوةَ ذاتِ الرِّقاعِ، فسَارَ نحوَ نَجْدٍ، يُرِيدُ بَني مُحَارِبٍ، وبَني ثَعْلَبة مِن غَطَفَانَ، واسْتَخْلَفَ على المَدينةِ أبا ذَرٍّ الغِفَارِيَّ، وخرجَ في أَربَعِمائةٍ من أصحابِهِ.

وإنما قِيلَ لهَا: غزوةُ ذاتِ الرِّقاعِ؛ لأنَّهم تَشقَّقتْ أقدامُهم، وسقطتْ أظفارُهُم، فكانُوا يَعصبونَ أرجلَهُم بالخِرَقِ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذاتِ الرِّقَاعِ.

فلقِيَ النبيُّ ﷺ بنَجدٍ جمعًا عَظيمًا مِن غَطَفَانَ، فتقاربَ النَّاسُ، وتَواقَفُوا، ولمْ يكنْ بينَهم حَربٌ، ولا قتالٌ، وقد خافَ الناسُ بعضُهُم بعضًا، حتى صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ بالناسِ صلاةَ الخوفِ، ثمَّ انصرفَ بالنَّاسِ(2).

وفي مَرجعهم من غزوة ذاتِ الرِّقاعِ أَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ (أي: النوم وقت الظهيرة)، فَأَتَوا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ فَتَرَكُوهَا لِلنَّبِيِّ فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفرَّقَ النَّاسُ فِي العِضَاهِ (العضاه: شجر عظيم له شوك)، يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فنامُوا نَوْمَةً، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَسَيْفُ النَّبِيِّ ﷺ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ، فَسَلَّهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي؟

قَالَ ﷺ: "لَا".

قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟

قال ﷺ: "الله".

فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟"

قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ.

قَالَ ﷺ: "أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟"

---

(1) ممن رجح ذلك البخاري في صحيحه (322/7) باب غزوة ذات الرقاع، وابن حجر في الفتح وابن كثير في البداية (85/4) وابن القيم في زاد المعاد (225/3).

(2) انظر: صحيح البخاري (113/5-114)، وصحيح مسلم (1816)، وسيرة ابن هشام (202/2-203)، زاد المعاد (224/3).

قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَلَّا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ.

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصْحَابَهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ (استلَّ) سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا (مسلولا)، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ".

وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وإنَّما خَلَّى سَبِيلَهُ، فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فقَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ(1).

وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ غالبِ بنِ عبدِ اللهِ الليثيِّ إلى بَني عبدِ بنِ ثَعْلَبَةَ فغنموا وسلموا(2).

وَفِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ إلى نَجدٍ فغنموا وسلموا(3).

وَفِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ إلى هوازن بتُرْبَةَ فلمَّا علموا بقدوم المسلمين فرُّوا وتركوا منازلهم فلم يلقوا حربا(4).

وَفِي شَعْبَانَ أيضًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ بَشيرِ بنِ سعدٍ والدِ النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ الأنصاريِّ إلى بَني مُرَّةَ بِناحيةِ فَدَكَ(5):

بعثَ رسول الله ﷺ بَشيرَ بنَ سعدٍ الأنصاريَّ إلى بَني مُرَّةَ بِفدَكَ في ثلاثينَ رجلًا، فخرَجَ إليهم، فلقيَ رِعاءَ الشاءِ، فسأَلَ: أينَ الناسُ؟

فقالُوا: هُم في بَوَادِيهِمْ.

فاسْتَاقَ بَشيرٌ النَّعَمَ والشَّاءَ، ورجعَ إلى المَدينةِ، فأتى الصَّرِيخُ الْمُرِّيِّنَ، فَأَخْبَرَهُمْ بما فَعلَ بشيرٌ وأصْحابُه، فخرَجوا إليهِ، فأدْرَكُوه عندَ الليلِ، فباتُوا يرمُونَهم بالنَّبلِ حتى فَني

(1) انظر: صحيح البخاري (4135، 4136)، وصحيح مسلم (843)، ومسند أحمد (14929)، من حديث جابر.

(2) تاريخ الطبري (142/2) الكامل (106/2).

(3) تاريخ الطبري (141/2).

(4) تاريخ الطبري (141/2) الكامل (106/2) البداية (219/4) سبل الهدى (130/6).

(5) تاريخ الطبري (141/2) الكامل (106/2) البداية (220/4) سبل الهدى (132/6).



نَبلُ بَشِيرٍ وأصْحابِه، فلمَّا أصْبحُوا حملَ الْمُرِّيُّونَ على أصحابِ بَشيرٍ فَقَتَلُوهم جميعًا، وقاتلَ بَشيرٌ قتالًا شديدًا حتى ضُرِبَ كَعبُهُ، ورجعَ القومُ بِنَعَمِهِم وشائِهِمْ، وتحاملَ بشيرٌ حتَّى انْتَهى إلى فَدك، فأقامَ عندَ يهودَ أيامًا حتى بَرِئَتْ جِرَاحُهُ، ثمَّ رجعَ إلى المَدينةِ(1).

وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ غالبِ بنِ عبدِ اللهِ الليثيِّ إلى بَنِي مُرَّةَ، وَفِيها قَتلَ أسامةُ بنُ زيدٍ رَجلًا بعدَ أنْ نطَقَ بالشَّهَادَةِ فَأنْكَرَ عَلَيهِ النَّبيُّ ﷺ(2):

وأرادَ النَّبيُّ ﷺ تأديبَ الأعرابِ الذين أصابوا سَرِيَّةَ بَشيرِ بنِ سعدٍ، فبعثَ غالبَ بنَ عبدِ اللهِ في مائةٍ وثلاثين رجُلًا إلى بني مُرَّةَ، وَهِيَ الحُرُقاتُ (ديار الحُرقات كانت قريبة من ديار بني مُرة، ولقبوا بالحرقات لأنهم أحرقوا بني مرّة قتلاً بالنبل في حربٍ دارت بينهما)، فهجَمُوا عَليهم جميعًا، وقتلوا مَن خَرجَ لهم، واستاقوا نَعمًا وشَاء إلى المدينة، ولم يَأْسروا أحدا.

وفي هذه السَّريةِ لَحِقَ أُسامَةُ بنُ زيدٍ وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا، فقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصارِيُّ، وَطَعَنَهُ أُسامةُ بِرُمْحِهِ حَتَّى قَتَلَهُ، فَلَمَّا قَدِمُوا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لأُسَامَةَ: "يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟"

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا. (معتصما بها يريد النجاة وليس صادقا)

قَالَ ﷺ: "أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟"

قَالَ أُسَامَةُ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ(2).

في شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ بَشيرِ بنِ سَعدٍ أيضًا إلى يَمَنٍ، وجَبَارٍ فغنموا وسلموا(1).

---

(1) انظر: مغازي الواقدي (723/2)، والطبقات الكبرى (118/2)، وزاد المعاد (319/3).

(2) انظر: صحيح البخاري (4269)، وصحيح مسلم (96)، من حديث أسامة، ومغازي الواقدي (423/2-424)، وسيرة ابن هشام (622/2)، وغزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية، للدكتور بريك العمري، ص (161).

{عمرة القضاء}

في ذِي القَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كانتْ عُمرةُ القَضَاءِ(1):

خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ معتمِرًا عُمرةَ القَضاءِ، مكانَ عُمرتِه التي صدَّهُ عَنها المشركونَ، واسْتَخْلَفَ على المدينةِ عُوَيْفَ بْنَ الْأَضْبَطِ الدِّيلِيَّ.

وخرجَ معَ رسولِ اللهِ ﷺ المُسلمونَ الذينَ صُدُّوا معَه في عمرتِه تلكَ، وتحدثتْ قريشٌ بينَها أنَّ محمدًا وأصحابَه في عُسرةٍ وجَهدٍ وشِدَّةٍ، وقالُوا: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ وَفْدٌ وَهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِب.

ولمَّا قدِمَ رسُولُ اللهِ ﷺ وأصحابُه وقفَ الكفارُ الرِّجالُ والنساءُ والصبيانُ ينظرونَ إلى رسولِ اللهِ وأصحابِه وهُم يَطُوفُون بالبيتِ، وتغيَّبَ رجالٌ منَ المشركينَ كَراهيةَ أنْ ينظُروا إلى رسولِ اللهِ ﷺ غيظًا.

ولمَّا دَخلَ رسولُ اللهِ ﷺ المَسجدَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ، وأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ؛ لِيَرَى الْمُشْرِكُونَ قُوَّتَهُمْ وَصَبْرَهُمْ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمَّى قَدْ وَهَنَتْهُمْ، هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ.

واضطبع النبي بردائه وأخرجَ عَضُدَه اليُمنى، ثم قالَ ﷺ: "رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَرَاهُمْ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً".

ثمَّ استَلَمَ الركنَ، وخرجَ يُهَرْوِلُ، ويُهَرْوِلُ أصحابُه معَه، حتَّى إذَا سَترهُ البيتُ مِنهم، واسْتَلَم الرُّكْنَ اليَمانيَّ، مَشى حتَّى يَستَلِمَ الركنَ الأسودَ، ثم هَرْوَلَ كذلكَ ثلاثةَ أطوافٍ، ومَشَى سائِرَهَا.

وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ يَسْترونه مِنَ المُشْرِكِينَ وَغِلْمَانِهِمْ؛ لِئَلَّا يُؤْذُوهُ(2).

---

(1) تاريخ الطبري (2/142)، الكامل (2/106).

(2) انظر: صحيح البخاري (4251، 4255، 4256)، وصحيح مسلم (1266)، وسيرة ابن هشام (2/370-372)، والبداية والنهاية (6/376-380)، وزاد المعاد (3/327-328).



وسمِّيتْ هذِه العُمرةُ بِعُمرَةِ القَضاءِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قاضَى أهلَ مكةَ عَليها، فالقَضاء هُنا مِنَ المُقَاضاةِ، لا مِن قَضَى قَضاءً، ولذلكَ سُمِّيَتْ أَيضًا بالقصاصِ، وَبِعُمْرَةِ القَضِيَّةِ(1).

وعندمَا أشرفَ رَسولُ اللهِ ﷺ على مَكةَ بَعثَ جعفَرَ بنَ أبي طالبٍ أَمَامَهُ إلى مَيمونَةَ بنتِ الحارثِ العَامِرِيَّةِ، فخطَبها إليهِ، فَجَعلتْ أمْرَها إلى العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ، وكانتْ أختُهَا أمُّ الفَضْلِ زَوْجةَ العبَّاسِ، فزوَّجها العباسُ رسولَ اللهِ ﷺ وأصدَقَها عن رسولِ اللهِ ﷺ أربعَمِائةِ دِرهمٍ(2). (الدرهم يساوي ثلاث جرامات فضة عيار ألف تقريبا)

وأقامَ رسولُ الله ﷺ بِمَكَّة ثلاثًا، فلما أَصبحَ مِنَ اليومِ الرابعِ، أتاهُ سُهَيلُ بنُ عَمرٍو، وحُوَيطبُ بنُ عَبدِ العُزَّى في نفرٍ من قُريشٍ، وكانتْ قريشٌ قد وكَّلتْهُ بإخراجِ رسولِ اللهِ ﷺ من مكَّةَ، وكَانَ رسولُ اللهِ ﷺ في مجلسِ الأنصارِ يتحدَّثُ مع سَعدِ بن عُبادَة، فصَاحَ حُويطبٌ: نُنَاشِدُكَ اللهَ وَالْعَقْدَ لَمَا خَرَجْتَ مِنْ أَرْضِنَا، فَقَدْ مَضَتِ الثَّلَاثُ.

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَا أُمَّ لَكَ، لَيْسَتْ بِأَرْضِكَ وَلَا أَرْضِ آبَائِكَ، وَاللهِ لَا نَخْرُجُ.

ثُمَّ نَادَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حويطبا أَوْ سهيلا، فَقَالَ: "إِنِّي قَدْ نَكَحْتُ مِنْكُمُ امْرَأَةً فَمَا يَضُرُّكُمْ أَنْ أَمْكُثَ حَتَّى أَدْخُلَ بِهَا، وَنَضَعُ الطَّعَامَ فَنَأْكُلُ وَتَأْكُلُونَ مَعَنَا".

فَقَالُوا: نُنَاشِدُكَ اللهَ وَالْعَقْدَ إِلَّا خَرَجْتَ عَنَّا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ أَبَا رافعٍ، فَأَذَّنَ بِالرَّحِيلِ.

وَأبى المُشركُونَ إلا أنْ يخرجَ النبيُّ ﷺ قبلَ أنْ يَبنيَ بِمَيمونَةَ بِمكةَ بعدَ عُمرَتِه، فرَكِبَ رسولُ اللهِ ﷺ حتى نَزَلَ سَرِفَ (موضع قرب التنعيم) فأقامَ بِها، وخلَّفَ أبَا رَافعٍ في مَكَّةَ؛ لِيحملَ ميمونةَ إليهِ حين يُمْسي، فأقامَ حتى قَدِمَتْ ميمونةُ ومنْ مَعَها، وقدْ لَقَوا أذًى وعَناءً مِن سُفهاءِ المُشركينَ وصِبْيانِهِم، فبَنى رسولُ اللهِ ﷺ بها بسَرِفَ، ثمَّ أدْلَجَ (أي: سار من أول الليل)، وانْصرفَ رَسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ في ذِي الحِجَّةِ(2).

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/370)، وزاد المعاد (2/86).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/372)، والبداية والنهاية (6/379-380)، وزاد المعاد (3/327-329).





في ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ ابنِ أَبي العَوجَاءِ السُّلَميِّ إلى بَني سُلَيمٍ(1):

ولمَّا رجعَ رَسولُ الله ﷺ مِن عُمرةِ القَضاءِ بعثَ ابنَ أبي العَوجاءِ السُّلَميَّ في خمسينَ رجُلًا إلى بَني سُلَيمٍ؛ لِيَدْعُوهُم إلى الإسْلَامِ، وكانَ معهُ عينٌ لبني سُليمٍ، فلمَّا خَرَجَ من المَدينةِ ذَهَبَ العينُ إلى قومِهِ فحذَّرَهُم وأخبرَهُم، فجَمَعُوا جمْعًا كثيرًا، فَجاءَهم ابنُ أَبي العَوجاءِ، وبَنُو سُلَيمٍ مُعِدُّونَ لهُ، فلمَّا رآهُم أصْحابُ رسولِ اللهِ ﷺ ورَأَوا جمْعَهُم دَعَوهُم إلى الإسلامِ، فرشَقُوهُم بالنَّبلِ ولم يَسمَعوا قولَهُم، وقالُوا: لا حَاجةَ لنَا إلى مَا دَعَوتُم إليهِ.

فترامَوا بالنَّبلِ ساعةً، وجَعلتِ الأمْدادُ تَأتي بَني سُلَيمٍ حتَّى أحَاطُوا بالمُسلمينَ منْ كلِّ ناحيةٍ، فقاتلَ المُسلمونَ قِتالا شَديدًا حتى قُتِل عامتُهم، وأُصيبَ ابنُ أبي العَوجَاءِ جَريحًا مع القَتلى، ثمَّ تَحاملَ حتى أَتى المَدِينَةَ(2).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: أَسْلمَ عِمْرانُ بنُ حُصَينٍ وأبُوهُ رَضيَ اللهُ عنهما(3).

---

(1) البداية (233/4).

(2) انظر: مغازي الواقدي (741/2)، والطبقات الكبرى (123/2).

(3) سير أعلام النبلاء (508/2).





الفصل العاشر
السنة الثامنة من الهجرة

في صَفرٍ مِنَ السَّنَةِ الثامنة للهجرة: أَسْلمَ عَمرُو بنُ العاصِ، وخَالدُ بنُ الوليدِ وعثمانُ بنُ طَلحةَ، وهَاجَروا إلى المَدِينةِ(1):

أما قِصَّةُ إِسْلامِ عَمْرِو بنِ العَاصِ فيحْكِيها لنَا قائلًا: كُنْتُ لِلْإِسْلَامِ مُجَانِبًا مُعَانِدًا حَضَرْتُ بَدْرًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ فَنَجَوْتُ، ثُمَّ حَضَرْتُ أُحُدًا فَنَجَوْتُ، ثُمَّ حَضَرْتُ الْخَنْدَقَ فَنَجَوْتُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَمْ أُوضِعُ (أي: أسرع في الشر)! وَاللهِ لَيَظْهَرَنَّ مُحَمَّدٌ عَلَى قُرَيْشٍ.

فَلَحِقْتُ بِمَالِي بِالْوَهْطِ (الوهط بستان كان لعمرو بالطائف)، وَأَقْلَلْتُ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ، فَلَمَّا حضَرَ الْحُدَيْبِيَةُ، وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الصُّلْحِ، وَرَجَعَتْ قُرَيْشٌ إِلَى مَكَّةَ، جَعَلْتُ أَقُولُ: يَدْخُلُ مُحَمَّدٌ قَابِلًا مَكَّةَ بِأَصْحَابِهِ، مَا مَكَّةُ بِمَنْزِلٍ وَلَا الطَّائِفُ، وَلَا شَيْءَ خَيْرٌ مِنَ الْخُرُوجِ.

وَأَنَا بَعْدُ بَعِيدٌ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَأَرَى لَوْ أَسْلَمَتْ قُرَيْشٌ كُلُّهَا لَمْ أُسْلِمْ، فَقَدِمْتُ مَكَّةَ وَجَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قَوْمِي، وَكَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، وَيُقَدِّمُونَنِي فِيمَا نَابَهُمْ، فَقُلْتُ لَهُمْ: كَيْفَ أَنَا فِيكُمْ؟

قَالُوا: صَاحِبُ رَأْيِنَا، وَأَشْرَفُنَا.

قُلْتُ: تَعْلَمُونَ أَنِّي وَاللهِ لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ أَمْرًا يَعْلُو الْأُمُورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا.

قَالُوا: وَمَا هُوَ؟

قُلْتُ: نَلْحَقُ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونُ مَعَهُ، فَإِنْ يَظْهَرْ مُحَمَّدٌ كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَنَكُونُ تَحْتَ يَدِ النَّجَاشِيِّ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدِ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ تَظْهَرْ قُرَيْشٌ فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا.

قَالُوا: هَذَا الرَّأْيُ.

قُلْتُ: فَاجْمَعُوا مَا نُهْدِيهِ لَهُ.

وَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمُ (الأدم: الجلد المدبوغ)، فَجَمَعْنَا أَدَمًا كَثِيرًا، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَوَاللهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ بِكِتَابٍ كَتَبَهُ، يُزَوِّجُهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، وَلَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ سَرَرْتُ قُرَيْشًا، وَكُنْتُ قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ.

فَدَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ لِي مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا؟

قُلْتُ: نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَهْدَيْتُ لَكَ أَدَمًا كَثِيرًا.

ثُمَّ قَدَّمْتُهُ فَأَعْجَبَهُ، وَفَرَّقَ مِنْهُ شَيْئًا بَيْنَ بَطَارِقَتِهِ (بطارقته: جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب، وأمورها بلغة الروم)، وَأَمَرَ بِسَائِرِهِ فَأُدْخِلَ فِي مَوْضِعٍ، وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ وَيُحْتَفَظَ بِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ طِيبَ نَفْسِهِ قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وَهُوَ رَسُولُ عَدُوٍّ لَنَا قَدْ وَتَرَنَا (وترنا: أي جنى علينا، وانتقصنا)، وَقَتَلَ أَشْرَافَنَا وَخِيَارَنَا، فَأَعْطِنِيهِ فَأَقْتُلَهُ.

فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ، وَرَفَعَ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفِي ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَسَرَهُ، فَابْتَدَرَ مَنْخَرَايَ، فَجَعَلْتُ أَتَلَقَّى الدَّمَ بِثِيَابِي، فَأَصَابَنِي مِنَ الذُّلِّ مَا لَوِ انْشَقَّتْ بِيَ الْأَرْضُ دَخَلْتُ فِيهَا، فَرَقًا (فرقا أي: خوفا، أو ندما) مِنْهُ.

ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ مَا قُلْتُ مَا سَأَلْتُكَ.

فَاسْتَحْيَا، وَقَالَ: يَا عَمْرُو، تَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ مَنْ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ (يريد جبريل) الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى، وَالَّذِي كَانَ يَأْتِي عِيسَى لِتَقْتُلَهُ؟

قَالَ عَمْرٌو: فَغَيَّرَ اللهُ قَلْبِي عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: عَرَفَ هَذَا الْحَقَّ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ وَتُخَالِفُ أَنْتَ؟



ثُمَّ قُلْتُ: أَتَشْهَدُ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِهَذَا؟

قَالَ: نَعَمْ، أَشْهَدُ بِهِ عِنْدَ اللهِ يَا عَمْرُو، فَأَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ، فَوَاللهِ إِنَّهُ لَعَلَى الْحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ.

قُلْتُ: أَتُبَايِعُنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَنِي عَلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ دَعَا بِطَسْتٍ، فَغَسَلَ عَنِّي الدَّمَ وَكَسَانِي ثِيَابًا، وَكَانَتْ ثِيَابِي قَدِ امْتَلَأَتْ بِالدَّمِ فَأَلْقَيْتُهَا، ثُمَّ خَرَجْتُ عَلَى أَصْحَابِي، فَلَمَّا رَأَوْا كِسْوَةَ النَّجَاشِيِّ سُرُّوا بِذَلِكَ، وَقَالُوا: هَلْ أَدْرَكْتَ مِنْ صَاحِبِكَ مَا أَرَدْتَ؟

فَقُلْتُ لَهُمْ: كَرِهْتُ أَنْ أُكَلِّمَهُ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ، وَقُلْتُ: أَعُودُ إِلَيْهِ.

فَقَالُوا: الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ.

فَفَارَقْتُهُمْ وَكَأَنِّي أَعْمِدُ لِحَاجَةٍ، فَعَمَدْتُ إِلَى مَوْضِعِ السُّفُنِ، فَأَجِدُ سَفِينَةً قَدْ شُحِنَتْ تُدْفَعُ، فَرَكِبْتُ مَعَهُمْ وَدَفَعُوهَا، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الشُّعَيْبَةِ (الشعيبة: هي مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وهو كان مرفأ مكة، ومرسى سفنها قبل جدة)، وَخَرَجْتُ مِنَ السَّفِينَةِ وَمَعِي نَفَقَةٌ، فَابْتَعْتُ بَعِيرًا، وَخَرَجْتُ أُرِيدَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مَرِّ الظَّهْرَانِ، ثُمَّ مَضَيْتُ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْهَدَةِ، فَإِذَا رَجُلَانِ قَدْ سَبَقَانِي بِغَيْرِ كَثِيرٍ يُرِيدَانِ مَنْزِلًا، وَأَحَدُهُمَا دَاخِلٌ فِي الْخَيْمَةِ، وَالْآخَرُ يُمْسِكُ الرَّاحِلَتَيْنِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ،

قُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟

قَالَ: مُحَمَّدًا، دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِهِ طَعْمٌ، وَاللهِ لَوْ أَقَمْتُ لَأُخِذَ بِرِقَابِنَا كَمَا يُؤْخَذُ بِرَقَبَةِ الضَّبُعِ فِي مَغَارَتِهَا.

قُلْتُ: وَأَنَا وَاللهِ قَدْ أَرَدْتُ مُحَمَّدًا، وَأَرَدْتُ الْإِسْلَامَ.

فَخَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ فَرَحَّبَ بِي، فَنَزَلْنَا جَمِيعًا فِي الْمَنْزِلِ، ثُمَّ تَرَافَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْمَدِينَةَ، فَمَا أَنْسَى قَوْلَ رَجُلٍ لَقِينَاهُ بِبِئْرِ أَبِي عِنَبَةَ يَصِيحُ: يَا رَبَاحُ، يَا رَبَاحُ، يَا رَبَاحُ، فَتَفَاءَلْنَا بِقَوْلِهِ وَسُرِرْنَا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: قَدْ أَعْطَتْ مَكَّةُ الْمَقَادَةَ (المقادة: أي الانقياد، والمذلة) بَعْدَ هَذَيْنِ.

فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِينِي، وَيَعْنِي خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَوَلَّى مُدْبِرًا إِلَى الْمَسْجِدِ سَرِيعًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَشَّرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِقُدُومِنَا، فَكَانَ كَمَا ظَنَنْتُ، وَأَنَخْنَا بِالْحَرَّةِ، فَلَبِسْنَا مِنْ صَالِحِ ثِيَابِنَا، ثُمَّ نُودِيَ بِالْعَصْرِ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى اطَّلَعْنَا عَلَيْهِ وَإِنَّ لِوَجْهِهِ تَهَلُّلًا، وَالْمُسْلِمُونَ حَوْلَهُ قَدْ سُرُّوا بِإِسْلَامِنَا، فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَايَعَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ فَبَايَعَ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرْفَعَ طَرْفِي إِلَيْهِ حَيَاءً مِنْهُ.

فَبَايَعْتُهُ عَلَى أَنْ يُغْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلَمْ يَحْضُرْنِي مَا تَأَخَّرَ فَقَالَ ﷺ: "إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَالْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا".

فَوَاللهِ مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَمْرٍ حَزَبَهُ مُنْذُ أَسْلَمْنَا، وَلَقَدْ كُنَّا عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ، وَلَقَدْ كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ بِتِلْكَ الْحَالَةِ، وَكَانَ عُمَرُ عَلَى خَالِدٍ كَالْعَاتِبِ(1).

---

(1) انظر: مسند أحمد (17777)، ومغازي الواقدي (2/741-745)، والبداية والنهاية (6/399-403).



وأمَّا قِصةُ إسلامِ خالدِ بنِ الوَليدِ فيحْكِيهَا لَنَا قائلًا: لَمَّا أَرَادَ اللهُ بِي مَا أَرَادَ مِنَ الْخَيْرِ، قَذَفَ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامَ، وَحضَرَنِي رُشْدِي، فَقُلْتُ: قَدْ شَهِدْتُ هَذِهِ الْمَوَاطِنَ كُلَّهَا عَلَى مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ فِي مَوْطِنٍ أَشْهَدُهُ إِلَّا أَنْصرِفُ وَأَنَا أَرَى فِي نَفْسِي أَنِّي مَوْضِعٌ فِي غَيْرِ شَيْءٍ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيظْهَرُ، فَلَمَّا خَرجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحُدَيْبِيَةِ خَرجْتُ فِي خَيْلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ بِعُسْفَانَ، فَقُمْتُ بِإِزَائِهِ، وَتعَرَّضْتُ لَهُ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ الظُّهْرَ أَمَامَنَا، فَهَمَمْنَا أَنْ نُغِيرَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَخَذَ ذَاتَ الْيَمِينِ، فَلَمَّا صَالَحَ قُرَيْشًا بِالْحُدَيْبِيَةِ، قَلْتُ فِي نَفْسِي: أَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ؟ أَيْنَ الْمَذْهَبُ؟ إِلَى النَّجَاشِيِّ؟ فَقَدِ اتَّبعَ مُحَمَّدًا، وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ آمِنُونَ، فَأَخْرُجُ إِلَى هِرَقْلَ؟ فَأَخْرُجُ مِنْ دِينِي إِلَى نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ، فَأُقِيمُ فِي عَجَمٍ تَابِعًا، فَأُقِيمُ فِي دَارِي فِيمَنْ بَقِيَ؟ فَلَمَّا دَخلَ رَسُولُ اللهِ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ، تَغَيَّبْتُ وَلَمْ أَشْهَدْ دُخُولَهُ، وَكَانَ أَخِي الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَدْ دَخلَ مَعَ النَّبِيِّ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ، فَطَلَبَنِي فَلَمْ يَجِدْنِي، فَكَتَبَ إِلَيَّ كِتَابًا، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَعْجبَ مِنْ ذَهَابِ رَأْيِكَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَقْلُكَ عَقْلُكَ! وَمِثْلُ الْإِسْلَامِ جهِلَهُ أَحَدٌ؟! وَقَدْ سَأَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْكَ، وَقَالَ: "أَيْنَ خَالِدٌ؟"

فَقُلْتُ: يَأْتِي اللهُ بِهِ.

فَقَالَ ﷺ: "مَا مِثْلُهُ جهِلَ الْإِسْلَامَ، وَلَوْ كَانَ جَعلَ نِكَايَتَهُ وَحدَّهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ".

فَاسْتَدْرِكْ يَا أَخِي مَا قَدْ فَاتَكَ، فَقَدْ فَاتَكَ مَوَاطِنُ صَالِحةٌ.

فَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُهُ نَشِطْتُ لِلْخُرُوجِ، وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَسَرَّنِي سُؤَالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنِّي، وَأَرَى فِي النَّوْمِ كَأَنِّي فِي بِلَادٍ ضَيِّقَةٍ مُجْدِبَةٍ، فَخَرجْتُ إِلَى بِلَادٍ خَضْرَاءَ وَاسِعَةٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا، فَلَمَّا أَنْ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ قُلْتُ: لَأَذْكُرَنَّهَا لِأَبِي بَكْرٍ.

فَقَالَ: مَخْرَجُكَ الذى هَدَاكَ اللهُ لِلْإِسْلَامِ، وَالضِّيقُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ.

فَلَمَّا أَجْمَعْتُ الْخُرُوجَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْتُ: مَنْ أُصَاحِبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ؟ فَلَقِيتُ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا وَهْبٍ، أَمَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، إِنَّمَا نَحْنُ أَكَلَةُ رَأْسٍ (إنما نحن أكلة رأس: أي نحن قليل يشبعنا رأس واحد)، وَقَدْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، فَلَوْ قَدِمْنَا عَلَى مُحَمَّدٍ وَاتَّبَعْنَاهُ، فَإِنَّ شَرَفَ مُحَمَّدٍ لَنَا شَرَفٌ.

فَأَبَى أَشَدَّ الْإِبَاءِ، فَقَالَ: لَوْ لَمْ يَبْقَ غَيْرِي مَا اتَّبَعْتُهُ أَبَدًا.

فَافْتَرَقْنَا، وَقُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ قُتِلَ أَخُوهُ، وَأَبُوهُ بِبَدْرٍ.

فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، قَلْتُ: فَاكْتُمْ عَلَيَّ.

قَالَ: لَا أَذْكُرُهُ.

فَخَرَجْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَأَمَرْتُ بِرَاحِلَتِي، فَخَرَجْتُ بِهَا إِلَى أَنْ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا لِي صَدِيقٌ، فَلَوْ ذَكَرْتُ لَهُ مَا أَرْجُو.

ثُمَّ ذَكَرْتُ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُذَكِّرَهُ، ثُمَّ قُلْتُ: وَمَا عَلَيَّ وَأَنَا رَاحِلٌ مِنْ سَاعَتِي، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: إِنَّمَا نَحْنُ بِمَنْزِلَةِ ثَعْلَبٍ فِي جُحْرٍ، لَوْ صُبَّ فِيهِ ذَنُوبٌ مِنْ مَاءٍ لَخَرَجَ.

وَقُلْتُ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قُلْتُ لِصَاحِبِي، فَأَسْرَعَ الْإِجَابَةَ، وَقَالَ: إِنِّي غَدَوْتُ الْيَوْمَ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْدُوَ، وَهَذِهِ رَاحِلَتِي.

فَاتَّعَدْتُ أَنَا وَهُوَ يَأْجَجَ، إِنْ سَبَقَنِي أَقَامَ، وَإِنْ سَبَقْتُهُ أَقَمْتُ عَلَيْهِ، فَأَدْلَجْنَا سَحَرًا، فَلَمْ يَطْلُعِ الْفَجْرُ حَتَّى الْتَقَيْنَا بِيَأْجَجَ، فَغَدَوْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْهَدَةِ، فَنَجِدُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ بِهَا، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ.

فَقُلْنَا: وَبِكَ.

فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ مَسِيرُكُمْ؟

فَقُلْنَا: وَمَا أَخْرَجَكَ.



فَقَالَ: وَمَا أَخْرَجَكُمْ؟

قُلْنَا: الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ وَاتِّبَاعُ مُحَمَّدٍ.

قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْدَمَنِي.

فاصْطَحَبْنَا جَمِيعًا حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ، فَأَنَخْنَا بِظَهْرِ الْحَرَّةِ رِكَابَنَا، فَأُخْبِرَ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسُرَّ بِنَا، فَلَبِسْتُ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِي، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَقِيَنِي أَخِي، فَقَالَ: أَسْرِعْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أُخْبِرَ بِكَ، فَسُرَّ بِقُدُومِكَ، وَهُوَ يَنْتَظِرُكُمْ.

فَأَسْرَعْنَا الْمَشْيَ، فَاطَّلَعْتُ عَلَيْهِ، فَمَا زَالَ يَتَبَسَّمُ إِلَيَّ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. فَقَالَ: "تعَالَ".

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ، قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ عَقْلًا رَجَوْتُ أَنْ لَا يُسْلِمَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ".

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ رَأَيْتَ مَا كُنْتُ أَشْهَدُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ عَلَيْكَ مُعَانِدًا لِلْحَقِّ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَهَا لِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ".

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَى ذَلِكَ (يا رسول الله على ذلك: أي ادع الله أن يغفر لي هذا الشيء بعينه)

قَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ كُلَّ مَا أَوْضَعَ فِيهِ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِكَ".

قَالَ خَالِدٌ: وَتَقَدَّمَ عُثْمَانُ وَعَمْرٌو، فَبَايَعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَوَاللهِ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْدِلُ بِي أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِيمَا حَزَبَهُ(1).

(1) انظر: مغازي الواقدي (2/746-749)، والطبقات الكبرى (4/252)، والبداية والنهاية (6/405-408).



وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ غالبِ بنِ عبد اللهِ الليثيِّ إلى بَني المُلَوَّحِ بالكَدِيدِ، فغَنِمُوا وسلِمُوا(1).

وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ غالبِ بنِ عبدِ اللهِ الليثيِّ أيضًا إلى فدَكَ، فأصابُوا نعَمًا وقَتَلوا وسلِمُوا(2).

وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ شُجاعِ بنِ وَهبٍ الأَسديِّ إلى بَني عامرٍ بالسِّي، نَاحيةَ رُكْبةَ مِن وراءِ المَعْدِنِ فأصابُوا نَعمًا كثيرةً وَشاءً(3).

وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ كَعْبِ بنِ عُمَيرٍ الغِفَارِيِّ إلى ذَاتِ أطْلاحٍ فقُتِلتِ السَّرِيَّةُ إلَّا رَجلًا جَرِيحًا(4):

بعثَ رسولُ الله ﷺ كَعبَ بنَ عُمَيرٍ الغِفَاريَّ في خَمسةَ عَشرَ رجلًا؛ ليدْعُوا إلى الإِسلامِ، فَلَمَّا انتَهَوا إلى ذَاتِ أَطلاحٍ من أرضِ الشامِ، وجدوا جمعًا مِن جمْعهم كثيرا، فدَعُوهُم إلى الإسلامِ فلمْ يَستجِيبُوا لهُمْ، ورَشَقُوهُم بالنَّبلِ.

فلَمَّا رَأى ذلكَ أصحابُ النبيِّ قَاتلُوهُم قِتَالًا شَدِيدًا حتَّى قُتِلَ المُسْلِمُونَ جَميعًا إلَّا رجُلًا أَفلَتَ جَرِيحًا حَتى أَتَى رسولَ اللهِ ﷺ فأخبرَه الخبرَ، فشقَّ ذلكَ على رسولِ اللهِ ﷺ، وهمَّ أَنْ يُرْسِلَ إِليهمْ بَعْثًا آخرَ، وَلكنْ بلغَهُ أنَّهُم قدْ سارُوا إلى موضعٍ آخرَ، فتركَهُم(5).

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ زَيدِ بنِ حارثةَ إلى مَدينَ فَأصابُوا سَبْيًا مِن أَهلِ ميناءَ(6).

---

(1) الطبقات (116/2) عيون الأثر (193/2) الكامل (108/2) سبل الهدى (137/6).

(2) الطبقات (117/2) عيون الأثر (194/2) سبل الهدى (140/6).

(3) الطبقات (118/2) عيون الأثر (195/2) الكامل (109/2) مغازي الذهبي (476) البداية (269/4) سبل الهدى (142/6).

(4) الطبقات (119/2) عيون الأثر (196/2) الكامل (109/2) مغازي الذهبي (447) البداية (270/4) سبل الهدى (143/6).

(5) انظر: مغازي الواقدي (752/2–753)، وسيرة ابن هشام (621/2)، والطبقات الكبرى (127/2).

(6) سبل الهدى (153/6) السيرة في ضوء المصادر (541).

{قصة أمراء المسلمين الثلاثة}

وَفِي جُمَادَى الأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ مُؤتَةَ، فقُتِلَ الأُمراءُ الثلاثةُ ثُمَّ فَتَحَ اللهُ على يدِ خالدِ بنِ الوَليدِ(1):

كانَ سببُ هذه السَّريةِ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعثَ الحارثَ بنَ عُمَيرٍ الأزْدِيَّ بكتابهِ إلى الشَّامِ، إلى مَلكِ الرُّومِ أو بُصْرَى، فعَرَضَ لهُ شُرحبيلُ بنُ عَمرٍو الغَسَّانيُّ، فَقَتَلَهُ، ولم يُقْتلْ لرسولِ اللهِ رَسولٌ غيرُه، فاشتدَّ ذلكَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ حينَ بلغَهُ الخبرُ، فبعثَ هَذِهِ السَّرِيَّةَ، وَأَمَّرَ عَلَيهِمْ زيدَ بنَ حَارِثةَ، وقالَ: "إِنْ أُصِيبَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ"(2).

وتجهَّزَ ثلاثةُ آلافٍ مِنَ المُسْلِمينَ؛ للخُرُوجِ في هَذِهِ السَّرِيَّةِ، فلَمَّا حَضرَ خروجُهم، ودَّعَ الناسُ أمراءَ رسولِ اللهِ ﷺ وسلَّمُوا عليهِمْ، فبَكى عبدُ اللهِ بنُ رَوَاحةَ، فقالُوا: ما يُبكِيكَ؟

فقالَ: أمَا واللهِ ما بي حبُّ الدُّنيا ولا صَبَابةٌ بِكمْ، ولكنِّي سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقرأُ آيةً مِنْ كتابِ اللهِ يَذكرُ فيهَا النَّارَ: "وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا"[مريم: 71]، فَلستُ أدْري كيفَ لي بالصَّدْرِ (الصدر: أي: الرجوع) بعدَ الوُرُودِ؟

ثُمَّ قالَ المُسلمونَ: صَحِبَكُمُ اللهُ بالسَّلامةِ، ودفعَ عَنكمْ، وردَّكُمْ إلينَا صَالحينَ، فأَنْشَدَ عبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ:

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِــــرَةً * وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا(3)
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِــــزَةً * بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِـــدَا(4)
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي * يَا أَرْشَدَ اللهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَـدَا(5)

---

(1) الطبقات (119/2) تاريخ الطبري (149/2) عيون الأثر (196/2) الكامل (112/2) صحيح مسلم (1753) مغازي الذهبي (479) البداية (270/4) سبل الهدى (144/6).

(2) انظر: مغازي الواقدي (755/2–756)، وسيرة ابن هشام (373/2)، وزاد المعاد (326/3–327).

(3) (أي: ضربة واسعة تقذف الدم).

(4) حران: أي ملتهب الجوف. مجهزة: أي سريعة القتل. وتنفذ الأحشاء: أي تخترقها.

(5) والجدث: القبر.

وَأَتى عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ رسولَ اللهِ ﷺ فودَّعَه، ثم خرجُوا، وخرجَ معهُم رَسولُ اللهِ ﷺ يُودِّعُهُم(1).

ومَضَى الجيشُ الإِسْلَاميُّ حتى نَزلَ مَعَانَ (معان: مدينة أردنية تقع في الجهة الجنوبية من البلاد)، **فبلغَ الناسَ أنَّ هِرَقْل بالبَلقاءِ في مائةِ ألفٍ مِنَ الرومِ، وانضمَّ إليهمْ مِنْ لَخْمٍ، وَجُذَامٍ، وَبَلْقَيْنَ، وَبَهْرَاءَ، وَبَلِيٍّ، مِائةُ ألفٍ، فلمَّا بلغَ ذلكَ المُسلِمينَ، أقامُوا على مَعَانَ لَيلتينِ ينظرُونَ في أمْرهِم، وقَالوا: نكتبُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فنُخبرُه بعَددِ عَدوِّنا فإمَّا أنْ يَمُدَّنَا بالرِّجالِ، وإمَّا أنْ يأمُرنَا بأمْرِه فنَمضِي لهُ.**

فشجَّعَ عبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ الناسَ، فقالَ: يا قومِ: واللهِ إنَّ الذِي تَكرهُونَ للذِي خَرجَتُم تَطلبونَ: الشَّهادةُ، وما نُقاتلُ الناسَ بعَدَدٍ ولا قوةٍ ولا كثرةٍ، ما نقاتِلُهم إلا بهذَا الدِّين الذِي أكرمَنا به اللهُ، فانْطلِقوا فإنَّما هي إحدَى الحُسنَيينِ: إما النَّصْرُ، وإما شَهادةٌ(2).

فمضَى المُسلمونَ حتَّى إذَا كانُوا على حدودِ البَلقاءِ (البلقاء: هي إحدى محافظات الأردن في العصر الحديث)، **لَقيتهُم الجُموعُ بقَريةٍ يقالُ لهَا: مَشَارِفُ، فدَنا العَدوُّ، وانحَازَ المُسلِمونَ إلى مُؤْتَة** (مؤتة: تقع في محافظة الكرك في الأردن، وتبعد عن العاصمة الأردنية «عُمَان» 140 كيلو متر)، **فالتَقى النَّاسُ عندها، فتَعبَّأ المُسلِمونَ، ثم اقْتَتَلُوا، والرَّايةُ في يدِ زيدِ بنِ حَارثةَ، فلمْ يزلْ يُقاتِلُ بها حَتى شاطَ في رِماحِ القومِ، وَخرَّ صريعًا.** (شاط: أي سال دمه، ومات)

فَأخذَ الرايةَ جَعفرٌ، فقاتلَ بها حتَّى إذا أرْهقَه القِتالُ نَزَلَ عنْ فَرسِهِ، فَعقَرَهَا (ضرب احدى قوائمها بالسيف، وفعل هذا دلالة على شجاعته كي يحارب ولا يدبر)، **ثم قَاتلَ حتى قُتِل، فكانَ جعفرٌ أولَ مَن عُقِرَ فرسُهُ في الإسلامِ عندَ القِتالِ، فقُطِعتْ يَمِينُه، فأخذَ الرايةَ بيَسارِه، فقُطِعتْ يَسَارُه، فاحتَضَنَ الرَّايةَ حتى قُتِلَ، وله ثَلاثٌ وثلاثونَ سَنةً.**

(1) انظر: مغازي الواقدي (2/756-757)، وسيرة ابن هشام (2/373-375)، وزاد المعاد (3/3273).

(2) انظر: مغازي الواقدي (2/759-760)، وسيرة ابن هشام (2/375)، وزاد المعاد (3/327).

ثمَّ أخَذَها عبدُ اللهِ بنُ رَوَاحةَ وتقدَّم بهَا وهُو على فرسِهِ، فجَعلَ يتردَّدُ بعضَ التَّردُّدِ، ثمَّ نزلَ فأتاهُ ابنُ عمٍّ لهُ بعَرَقٍ منْ لحْمٍ، (عرق: أي عظم عليه بعض اللحم) فقالَ: شُدَّ بها صُلبَك، فإنَّك قَدْ لَقيتَ في أيامِك هذِه ما لَقِيتَ، فأخذَهَا من يدِهِ، فانتَهَسَ منهَا نَهْسَةً، ثمَّ سَمِعَ الحَطْمَةَ (الحطمة: أي زحام الناس، وحطم بعضهم بعضا) في ناحيةِ النَّاسِ، فقالَ: وأنتَ في الدُّنيَا، ثم ألقَاهُ مِن يدِه، ثم أَخذَ سيفَهُ، وتقدَّمَ فَقاتَل حتَّى قُتِلَ.

ثم أخذَ الرايةَ ثابتُ بنُ أَقْرَمَ، فقالَ: يا مَعشرَ المُسلمينَ اصْطلِحُوا على رَجلٍ مِنكُم.

قالُوا: أَنتَ.

قالَ: مَا أنَا بفَاعلٍ، فاصْطَلحَ النَّاسُ على خَالدِ بنِ الوَليدِ(1).

فباتَ خالدُ بنُ الوَليدِ يُفكِّرُ في مَكِيدةٍ ينجُو بها بِالمُسلِمينَ منْ جَحَافلِ الرومِ، فهدَاهُ اللهُ إلى تَغييرِ أوضاعِ جيشِه بجعلِ مَيمَنةِ الجيشِ مكانَ مَيْسَرَتِه، وجَعْلِ ساقةِ الجَيشِ مكانَ مُقَدِّمتِه حتَّى يَظُنَّ العدوُّ أنَّ المُسلمينَ أتاهُم مددٌ، فيخافُوا.

فلَمَّا أصبحَ نفَّذَ مكيدَتَهُ، فَجعلَ مقدِّمَتَهُ سَاقَتَهُ، وساقتَه مقدِّمتَه، وميمنَتَه مَيسرتَه، ومَيسرتَه ميمنَتَه، فلَمَّا رأَى الرومُ ذلكَ أنكَروا ما كانُوا يعْرِفُون منْ رايَاتِ المُسْلِمِينَ وهيأَتِهِم، وقالُوا: قد جاءَهُم مَدَدٌ! فَرُعِبُوا، فهَربُوا مُنْهَزِمينَ، ثمَّ انصرفَ خالدُ بنُ الوليدِ بالمُسلمينَ راجعًا إلى المَدينةِ(2).

وقد قُتلَ منَ المُسلمينَ في هذه السَّرِيَّةِ اثْنا عَشرَ رجُلًا(3).

---

(1) انظر: مغازي الواقدي (2/760-763)، وسيرة ابن هشام (2/377-380)، وزاد المعاد (3/337-338).

(2) انظر: مغازي الواقدي (2/764).

(3) انظر: مغازي الواقدي (2/779)، وسيرة ابن هشام (2/388-389).

وأطلعَ اللهُ تعالى رَسولَهُ ﷺ عَلى ذلكَ من يومِهم ذلكَ قَبلَ أن يأتِيَهُ خبرُهُم، فقَالَ لأصْحَابِه: "أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: "حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ"(1).

لَقَدْ رُفِعُوا إِلَيَّ فِي الْجَنَّةِ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَرَأَيْتُ فِي سَرِيرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ ازْوِرَارًا عَنْ سَرِيرِ صَاحِبَيْهِ، (اعوجاجا) فَقُلْتُ: عَمَّ هَذَا؟، فَقِيلَ لِي: مَضَيَا، وَتَرَدَّدَ عبدُ اللهِ بَعْضَ التَّرَدُّدِ، ثُمَّ مَضَى(2)".

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ في جَعفرٍ: "إِنَّ اللهَ أَبْدَلَهُ بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ(3)".

ولَمَّا دَنا الجيشُ الإِسلَاميُّ مِنَ المدينةِ تلقَّاهُم رسولُ اللهِ ﷺ والمُسلمونَ، وجعلَ الناسُ يحثُونَ على الجَيشِ التُّرابِ، ويَقُولُونَ: يا فُرَّارُ، فَرَرْتُمْ في سَبيلِ اللهِ.

فيقُولُ رَسولُ اللهِ ﷺ: "لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ، وَلَكِنَّهُمُ الْكُرَّارُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعالَى"(4).

وَفِي جُمَادَى الآخرة مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عَمرِو بنِ العاصِ إلى ذاتِ السَّلاسلِ، فنَصَرَهُمُ اللهُ(5).

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: جَاءَ وفدُ سُلَيمٍ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ وهم تسعمائة فأسلموا(6).

وَفِي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ ابنِ أَبي حَدْرَدٍ إلى الغَابَةِ، فَقَتَلُوا رَئيسَ القومِ وغَنِمُوا(7).

---

(1) صحيح: رواه البخاري (4262)، عن أنس.

(2) انظر: سيرة ابن هشام (380/2).

(3) رواه الهيثمي في المجمع (15495)، وانظر: زاد المعاد (339/3).

(4) انظر: مغازي الواقدي (764/2-765)، وسيرة ابن هشام (283/2).

(5) الطبقات (121/2) عيون الأثر (202/2) الكامل (110/2) مغازي الذهبي (513) سبل الهدى (167/6).

(6) الطبقات (265/1).

(7) تاريخ الطبري (147/2) سبل الهدى (287/6).

{الفتح الأكبر}

فِي شَعْبانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: نَقضتْ قريشٌ عَهْدَهَا مَع رسولِ اللهِ ﷺ(1):

كَانتْ بينَ قَبِيلَتَي: بَني بَكْرٍ وخُزَاعَةَ عَدَاوةٌ قُبَيلَ الإِسلامِ، وسبَبُهَا أنَّ رجُلًا مِنْ بَني الحَضْرميِّ خَرجَ تاجِرًا، فلَمَّا تَوسَّطَ أرضَ خُزَاعَةَ، عَدَوا عليهِ فقتَلُوه، وأخذُوا مالَه، وكانَ بين هذا الرجلِ ورَجلٍ من بَني بَكرٍ حِلْفٌ، فعَدَتْ بنُو بكرٍ على رَجلٍ من خُزَاعَةَ فقتَلُوه، فَعَدَتْ خُزَاعَةُ على بَني الأَسودِ الدِّيلي فقتَلُوهُم بعَرَفَةَ بينَ الحِلِّ والحرمِ.

فلَمَّا ظَهرَ الإِسْلامُ تشاغَلُوا به عمَّا كانَ بينهُم من عَداوةٍ حتَّى كانَ صلحُ الحُديبيةِ بينَ رَسولِ اللهِ ﷺ وَبينَ قُريشٍ، وَكانَ من شُروطِ الصُّلحِ: أنَّهُ مَنْ أحبَّ أنْ يَدْخُلَ في عَقدِ رسولِ اللهِ ﷺ وعَهدِهِ فَليَدْخُلْ فيهِ، ومنْ أحَبَّ أنْ يَدخلَ في عقدِ قُريشٍ وعهدِهم فَليَدخُل فيهِ، فدَخلتْ بنُو بكرٍ في عقدِ قريشٍ وعهدِهِم، ودخلتْ خُزاعةُ في عقدِ رسولِ اللهِ ﷺ وعَهْدِهِ.

فلَمَّا كانتِ الهُدْنةُ اغتنَمَهَا بَنُو بكْرٍ وأرادُوا أنْ يُصِيبُوا ثَأْرَهُم مِنْ خُزَاعَة، فَخرَجَ بنو بَكرٍ، فأتَوا خُزَاعةَ ليلًا وهم على ماءٍ لهُم بأسفلِ مكةَ يقالُ لهُ: الوَتيرُ، فقتلُوا منهُم رَجُلًا، واقتتلُوا، وأعانتْ قُريشٌ بني بكرٍ بالسِّلاحِ، وقاتلَ معهُم مِنْ قُريشٍ من قاتَل بالليلِ مُستَخْفِيًا، حتَّى ساقُوا خُزَاعَةَ إلى الحَرمِ، فلَمَّا انتهَوا إليهِ، قَالتْ بنُو بَكرٍ لقائدِهِم: يا نَوفلُ، إنا قدْ دخلنَا الحَرَم، إِلهَكَ إلهَكَ. (أي: اتق إلهك).

فقالَ نوفلٌ كَلمةً عَظِيمةً: لا إِلهَ لي اليومَ، يا بَني بَكْرٍ خُذوا ثأركُم، فلعَمْرِي إنَّكُم لتَسْرِقُونَ في الحرَمِ، أفَلا تُصِيبُونَ ثَأْرَكُم فيهِ.

فلَمَّا دَخلتْ خُزاعَةُ مَكةَ، لجَؤُوا إلى دَارِ بُدَيلِ بنِ وَرْقَاء، ودارِ مولًى لهُمْ يُقالُ لهُ: رافِعٌ.

---

(1) الكامل في التاريخ (116/2) سبل الهدى (200/5).

فلَمَّا انْتصرتْ بَنو بَكْرٍ وقُريشٌ على خُزَاعةَ، وَنَقَضُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ بِمَا اسْتَحَلُّوا مِنْ خُزَاعَةَ، قَدِمَ عمرُو بنُ سَالِمٍ الخُزاعيُّ على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ المَدينةَ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَينَ أصْحابِهِ، فَقَالَ فِيمَا قَالَ:

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّـــــدًا * حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَـدَا (الأتلد: القديم)

فَانْصُرْ هَدَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا * وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا

إنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِـدَا * وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُوَكَّـدَا

هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّـــــدًا * وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّـــــدَا (هجَّدا: أي: نيام)

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "نُصِرْتَ يَا عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ".

ثُمَّ خَرجَ بُدَيلُ بنُ ورْقاءَ في نَفرٍ من خُزاعَةَ حتَّى قَدِمُوا على رسولِ اللهِ ﷺ المَدينةَ، فأخبرُوه بما أُصيبَ مِنهُم، وبمعَاونةِ قُريشٍ بَني بَكرٍ عَليهِم، ثُمَّ انصرفُوا رَاجعينَ إلى مَكَّةَ(1).

وخرجَ أبُو سفيانَ حتَّى قدِمَ على رسولِ اللهِ ﷺ المَدينةَ، فدخَلَ على ابنتِه أمِّ حَبيبةَ بنتِ أبي سُفيانَ زَوجِ رسولِ اللهِ ﷺ فلَمَّا ذَهبَ؛ ليجْلسَ على فراشِ رسولِ اللهِ ﷺ طَوَتْهُ عَنْهُ، فقَال: يَا بُنَيَّةُ، ما أَدري أرغبتِ بي عنْ هذا الفِراشِ، أمْ رَغبتِ به عنِّي؟

قالتْ: بلْ هو فراشُ رسولِ اللهِ ﷺ وأنتَ رَجلٌ مُشركٌ نجَسٌ، ولمْ أُحِبَّ أنْ تجلِسَ على فراشِ رسولِ اللهِ ﷺ.

قالَ: واللهِ لقدْ أصابَكِ يا بُنَيَّةُ بعدِي شَرٌّ.

ثمَّ خَرَجَ حتى أتى رَسولَ اللهِ ﷺ فكلَّمَه، فلمْ يَرُدَّ عليهِ شيئًا، ثم ذهبَ إلى أَبي بَكرٍ، فكلَّمَه أنْ يُكَلِّمَ له رَسولَ اللهِ ﷺ على أن يجدد العهد والصلح، فقالَ: ما أنَا بفَاعِلٍ.

ثم أتى عُمرَ بنَ الخطَّابِ فكلَّمَه، فقالَ: أأنا أَشفعُ لكُم إلى رسولِ اللهِ؟ فَوَاللهِ لوْ لَمْ أجِدْ إلَّا الذَّرَّ لجَاهَدتُكُم بهِ. (الذر: النمل الأحمر الصغير)

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/389-395).

ثم خَرجَ فدخلَ عَلى عليٍّ بنِ أَبي طالبٍ، وعندَه فَاطمَةُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ، وعندَها حَسَنُ بنُ عليٍّ، فقالَ: يا عَليُّ إنَّك أمسُّ القوم بي رَحِمًا، وإني قد جِئتُ في حاجةٍ، فلا أَرْجعنَّ كمَا جِئتُ خائبًا، فاشْفعْ لي إلى رَسولِ اللهِ.

فقالَ: ويحكَ يا أبا سُفيانَ! واللهِ لقد عَزمَ رسولُ اللهِ ﷺ على أمرٍ ما نَستَطِيعُ أنْ نُكلِّمَه فيهِ.

فالتفتَ إلى فَاطِمةَ فَقالَ: يَا بْنَةَ محمَّدٍ، هلْ لكِ أن تأْمُرِي بُنَيَّكِ هذَا فَيُجِيرُ بينَ الناسِ، فيكونَ سَيِّدَ العَربِ إلى آخرِ الدَّهرِ؟

قَالتْ: واللهِ ما بلغَ بُنَيَّ ذاكَ أنْ يُجيرَ بينَ الناسِ، ومَا يُجيرُ أَحدٌ على رسولِ اللهِ ﷺ.

قالَ: يا أبَا الحَسنِ، إني أرَى الأُمُور قدْ اشتَدَّتْ عَليَّ، فانصَحْني.

قالَ: واللهِ مَا أعلمُ لك شيئًا يُغْني عنكَ شيئًا، ولكنَّك سَيِّدُ بَني كِنَانَةَ، فقُمْ فأَجِرْ بينَ الناسِ، ثمَّ الحقْ بأرْضكَ.

قالَ: أوَ تَرَى ذلكَ مُغْنيًا عَنِّي شيئًا؟

قالَ: لا واللهِ، ما أظنُّه، ولكني لا أجدُ لكَ غيرَ ذلكَ.

فقَامَ أبو سُفيانَ في المسجِدِ، فقالَ: أيها الناسُ، إني قَدْ أَجَرْتُ بينَ الناسِ. (أي: ناديت بالأمان بين الناس)

ثم ركِبَ بَعيرَهُ فانْطلقَ، فلَمَّا قدِمَ على قريشٍ، قالوا: ما وراءَكَ؟

قالَ: جِئتُ محمَّدًا فكلَّمتُه، فو اللهِ ما ردَّ عليَّ شيئا، ثم جِئتُ ابنَ أَبي قُحَافَةَ، فلمْ أجِد فيهِ خيرًا، ثم جِئْتُ ابنَ الخطَّاب، فوَجَدتُهُ أعْدَى العَدُوِّ.

ثُمَّ جِئتُ عَليًّا فوجَدْتُه ألينَ القومِ، وقد أشارَ عليَّ بشيءٍ صنعتُهُ، فو اللهِ مَا أَدْري هَل يُغْني ذلكَ شيئا أمْ لا؟

قالوا: وبمَ أمَركَ؟

قَالَ: أَمَرَني أَنْ أُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ فَفَعَلْتُ.

قَالوا: فهَلْ أَجَازَ ذلكَ مُحَمَّدٌ؟

قَالَ: لَا.

قالُوا: ويلكَ! واللهِ ما زادَ الرَّجلُ على أن لَعِبَ بِكَ، فمَا يُغْني عَنكَ ما قُلْتَ.

قال: لا واللهِ، ما وَجَدْتُ غيرَ ذَلكَ(1).

ولَمَّا أجمَعَ رسولُ الله ﷺ المَسيرَ إلى مَكَّةَ، كَتبَ حَاطِبُ بنُ أَبي بَلْتَعَةَ كتابًا إلى قُرَيشٍ يخبرُهُم بِمَسِيرِ النَّبيِّ إليهم، ثمَّ أعطاهُ امْرأةً، وجَعلَ لها جُعْلًا على أن تبلِّغُه قريشًا، فَجَعَلَتْهُ فِي قُرُونٍ فِي رَأْسِهَا، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ، وأتى رَسُولَ الله ﷺ الخبرُ مِنَ السماءِ بِما صَنَع حاطِبٌ، فبعث عليَّ بنَ أبي طَالبٍ، والزُّبيرَ بنَ العَوَّامِ، والمِقْدَادَ فقالَ: "انْطَلِقَا حَتَّى تَأْتِيَا رَوْضَةَ خَاخٍ (مكان بين مكة والمدينة)، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً (أي: امرأة في هودج، وقيل هي المرأة عامَّة) مَعَهَا كِتَابٌ إِلَى قُرَيْشٍ، يُحَذِّرُهُمْ مَا قَدْ أَجْمَعْنَا لَهُ فِي أَمْرِهِمْ، فَخُذُوهُ مِنْهَا".

فَانْطَلَقُوا تَجْري بِهِمْ خَيْلُهُمْ، حَتَّى وَجَدَا الْمَرْأَةَ بِذَلِكَ الْمَكَانِ فَاسْتَنْزَلَاهَا، وَقَالَا: مَعَكِ كِتَابٌ؟

فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ.

فَفَتَّشَا رَحْلَهَا، فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا، فَقَالَ لَهَا علي: أَحْلِفُ بِاللهِ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا كَذَبْنَا، وَاللهِ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ.

فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ مِنْهُ، قَالَتْ: أَعْرِضْ.

فَأَعْرَضَ، فَحَلَّتْ قُرُونَ رَأْسِهَا، فَاسْتَخْرَجَتِ الْكِتَابَ مِنْهَا، فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِمَا فَأَتَيَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى قُرَيْشٍ، يُخْبِرُهُمْ بِمَسِيرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حاطِبًا، فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا حاطب؟"

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/396-397).

فَقَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا ارْتَدَدْتُ وَلَا بَدَّلْتُ وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَءًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ لَسْتُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ،(ملصقا: أي: مضاف إليهم ولست منهم) وَلِي فِيهِمْ أَهْلٌ وَعَشِيرَةٌ وَوَلَدٌ وَلَيْسَ لِي فِيهِمْ قَرَابَةٌ يَحْمُونَهُمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ فَإِنَّهُ قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَقَدْ نَافَقَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ".

وأرادَ النبيُّ ﷺ أنْ يُخفي أَمرَ مَسيرِهِ إلى مَكَّةَ عَنِ المُشرِكينَ؛ حتَّى يُفَاجِئَهُم في ديارِهم، فبَعَثَ أبَا قتادَةَ بنَ رِبْعيٍّ في ثَمانيةِ نَفرٍ إلى إِضَمٍ؛ ليَظنَّ المُشْرِكُونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ توجَّهَ إلى تلكَ النَّاحيةِ، وحتى تَذهبَ بذلكِ الأخبارُ إليهِم.

فلَمَّا أَتَوا إِضَمًا لم يَلقَوا جمْعًا، فرَجَعُوا إلى المَدينةِ، وقَبلَ أنْ يَصلُوا إلى المَدينةِ بلغَهُم أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَدْ توجَّهَ إلى مَكَّةَ، فَسارُوا إليهِ حتَّى لحِقُوا بهِ(1).

وعَزمَ رسولُ اللهِ ﷺ على الخروجِ بكتائبِ الإسلامِ، وجُنودِ الرَّحمنِ للفتحِ الأعظمِ الذي أعزَّ اللهُ به دينَه ورَسُولَه وَجُنْدَهُ وَحِزْبَهُ الْأَمِينَ، وَاسْتَنْقَذَ بِهِ بَلَدَهُ وَبَيْتَهُ الَّذِي جَعَلَهُ هُدًى لِلْعَالَمِينَ، مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ الْفَتْحُ الَّذِي دَخَلَ النَّاسُ بِهِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وَأَشْرَقَ بِهِ وَجْهُ الْأَرْضِ ضِيَاءً وَابْتِهَاجًا.

---

(1) انظر: مغازي الواقدي (2/796–797)، وسيرة ابن هشام (2/626)، والطبقات الكبرى (2/133).

وأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ بِالْجَهَازِ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يُجَهِّزُوهُ، فَدَخَلَ أبو بكر عَلَى ابْنَتِهِ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَهِيَ تُحَرِّكُ بَعْضَ جَهَازِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ أَمَرَكُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَجْهِيزِهِ؟

قَالَتْ: نَعَمْ، فَتَجَهَّزْ.

قَالَ: فَأَيْنَ تَرَيْنَهُ يُرِيدُ؟

قَالَتْ: لَا وَاللهِ مَا أَدْرِي.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى مَكَّةَ، فَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ والتَّهَيُّؤِ، وَقَالَ: "اللهُمَّ خُذِ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغتَهَا فِي بِلَادِهَا".

وخَرجَ رَسولُ الله ﷺ لمَكةَ، وهو صَائمٌ، والناسُ صيامٌ، واستَخْلَفَ على المدينةِ أبَا رُهْمٍ الغِفَارِي(1).

وكانَ العبَّاسُ قد خَرجَ قبل ذلكَ بأهلِه وعيالِه مُسلمًا مهاجرًا، فَلقيَ رَسولَ الله ﷺ بالجُحْفَةِ (قرية على طريق المدينة من مكة)، وقد كانَ قبلَ ذلكَ مُقيمًا بِمَكةَ عَلى سِقايَتِهِ(2).

وكان مِمَّن لقيَ رسولَ اللهِ ﷺ في الطَّريقِ إلى مَكَّةَ مَخْرَمَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، وابنُ عمِّه أبو سفيانَ بنُ الحَارثِ بنِ عبد المطَّلبِ، وعبدُ الله بنُ أبي أميَّة، لقياه بالأبواءِ، وهُما ابنُ عمِّه وابنُ عمَّتِه، فالتَمسا الدخولَ على رسول اللهِ ﷺ، فأعرضَ عنهما؛ لما كان يَلقاه مِنهما مِن شدَّةِ الأذَى والهَجْوِ.

فكلَّمَتْهُ أمُّ سلَمَةَ فيهمَا، فقالتْ: لا يَكُنِ ابنُ عمِّك، وابنُ عمَّتِك أَشْقى الناسِ بكَ.

---

(1) انظر: صحيح البخاري (1944)، وصحيح مسلم (1113)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد المعاد (352/3).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (400/2).



وقالَ عليٌّ لأبي سفيانَ بنِ الحَارثِ: ائْتِ رسولَ اللهِ ﷺ من قِبَلِ وجهِهِ، فقلْ له ما قالَ إخوةُ يوسفَ ليوسفَ: "تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ"[يوسف: 91].

ففعل ذلك أبو سفيان، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ الرَّحِمِينَ"[يوسف: 92].

فأنشدَه أبو سفيانَ أبياتا، فضربَ رسولُ اللهِ ﷺ صدرَه وقال: "أَنْتَ طَرَّدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدٍ".

وحَسُنَ إسلامُهُ بعدَ ذلكَ، ومَا رفعَ رأسَه إلى رسولِ اللهِ ﷺ منذُ أَسلمَ حَياءً منهُ، وكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يحبُّهُ، وقال: "أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَلَفًا مِنْ حمْزَةَ".

ولَمَّا حَضَرتْهُ الوَفاةُ، قالَ: لا تَبكُوا عليَّ، فواللهِ ما نَطَقْتُ بخَطيئةٍ منذُ أسْلَمتُ(1).

ومَضى رسُولُ اللهِ ﷺ حَتى نزَلَ مرَّ الظَّهرانِ (مر الظهران: واد كبير من أودية تهامة، يقع غرب المملكة العربية السعودية، يبعد عن مكة نحو أربعين كيلو متر تقريبا، ويسمى الآن بوادِ فاطمة) عِشاءً، ومعهُ عَشرةُ آلافٍ، ولمْ يتخلَّف عَنهُ أحدٌ مِنَ المُهَاجرينَ والأنْصارِ، وعمَّى اللهُ الأخبارَ عن قُريشٍ، فلمْ يأتِهم خبرٌ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ ولا يَدْرُونَ ما هُو فاعلٌ، فكَانُوا على وَجلٍ، وَخَوفٍ(2).

وكانَ أبو سفيان يخرجُ يتحسَّسُ الأخبارَ، فخرجَ هو وحكيمُ بنُ حِزامٍ، وبُدَيلُ بنُ وَرقاءَ، يَتَحسَّسُونَ الأخبارَ، ويَنظرونَ هلْ يجدونَ خبرًا.

فلَمَّا نَزلَ رسولُ اللهُ ﷺ بِمرَّ الظَّهْرانِ أمرَ الجَيشَ فأوقَدُوا النِّيرانَ، فأُوْقِدَتْ عَشرَةُ آلافِ نَارٍ، وجَعلَ رسولُ اللهِ ﷺ على الحَرسِ عُمرَ بنَ الخطَّابِ(3).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/400–401)، وتاريخ الطبري (3/53)، والكامل في التاريخ (2/118–119)، وزاد المعاد (3/352–353).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (3/400)، وزاد المعاد (3/353).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (3/400)، وزاد المعاد (3/353).



ولَمَّا نَزلَ رَسولُ اللهِ ﷺ بِمَرِّ الظَّهرانِ رَكِبَ العباسُ بَغلةَ رَسولِ اللهِ ﷺ البيضاءَ، وخرَجَ يلتمسُ لعلَّهُ يجدُ بعضَ الحطَّابَةِ، أو أَحدًا يُخبرُ قُريشًا؛ فيُخْبِرُهُم بمكانِ رسولِ اللهِ ﷺ ليَخرجُوا إليهِ فيَستَأْمِنُوه، قبلَ أن يدْخُلَها عليهِم عَنْوةً.

قالَ: فواللهِ إني لأسيرُ عليها وألتمسُ ما خرجتُ له، إذ سمعتُ أبا سفيانَ، وبُديلَ بنَ ورقاءَ يتحدثانِ، وأبو سُفيانَ يقولُ: ما رأيتُ كالليلةِ نيرانًا قطُّ ولا عَسكرًا.

فقالَ بُديلٌ: هذه واللهِ خُزاعةُ حمَشَتْها الحَربُ. (أي: أحرقتها الحرب)

فقالَ أبو سفيان: خُزاعةُ أقلُّ، وأذلُّ من أنْ تكونَ هذه نيرانَهَا، وعَسْكرَها.

فعَرَفتُ صَوتَه، فقلتُ: أَبَا حنْظَلَةَ.

فعَرَفَ صَوتي، فقالَ: أَبُو الفَضْلِ؟

قُلتُ: نعَمْ.

قالَ: مَا لكَ؟ فِدَاكَ أَبي وأُمي.

قلتُ: ويحكَ يَا أبا سُفيانَ، هذا رَسولُ اللهِ ﷺ في الناسِ، وَاصَبَاحَ قريشٍ واللهِ.

قال: فما الحِيلةُ؟ فداكَ أبي وأمي.

قلت: واللهِ لئنْ ظَفَرَ بِكَ لَيضْرِبنَّ عُنُقَكَ، فارْكبْ في عَجُزِ هذِه البَغلةِ (أي في مؤخرة البغلة) حَتى آتي بكَ رسولَ اللهِ ﷺ فأَسْتَأمِنَهُ لكَ.

فركبَ خَلفي، فجئتُ بِه، فكلَّمَا مَررتُ به على نارٍ من نيرانِ المسلمينَ قَالوا: «مَنْ هَذَا؟»، فَإذا رَأَوْا بغلةَ رسولِ اللهِ ﷺ، وأَنا عَليها، قَالوا: عمُّ رسولِ اللهِ ﷺ عَلى بغلتِهِ، حتى مَررتُ بنارِ عُمرَ بنِ الخطَّابِ، فقالَ: مَن هَذا؟، وقَامَ إليَّ، فلمَّا رأَى أبَا سُفيانَ على عَجُزِ الدابةِ، قالَ: أبو سُفيانَ عَدُوُّ اللهِ؟ الحمدُ للهِ الذي أمكَنَ منْك بغيرِ عقدٍ ولا عهدٍ، ثم خرَجَ يُسْرِعُ نحوَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ورَكَضْتُ البغلةَ فَسبَقتُه، فاقْتَحَمتُ عنِ البَغلةِ، فدَخَلتُ على رَسولِ اللهِ ﷺ.

ودخلَ عليهِ عُمرُ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ هذا أبو سُفيانَ فَدَعني أَضربُ عُنُقَه.

قلتُ: يا رسولَ اللهِ إني قدْ أَجرتُه.

ثم جَلستُ إلى رسولِ الله ﷺ فقلتُ: واللهِ لا يُنَاجِيه الليلةَ أحدٌ غَيرِي.

فلَمَّا أكثرَ عُمرُ في شأنِه، قُلتُ: مَهلًا يا عمرُ، فواللهِ لو كانَ مِنْ رجالِ بني عَدِيٍّ بن كَعبٍ ما قلتَ مثلَ هَذا، ولكنَّك قد عَرَفتَ أَنه منْ رجالِ بني عَبدِ مَنافٍ.

قَالَ: مَهْلًا يَا عَباسُ، فواللهِ لإسلامُك كانَ أُحبَّ إليَّ من إسلامِ الخطَّابِ لو أسلمَ، وما بي إلا أنَّي قد عَرَفتُ أنَّ إسْلامَك كانَ أحبَّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ من إسلامِ الخطَّابِ.

فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: "اذْهَبْ بِهِ يَا عباس إِلَى رَحْلِك، فَإِذَا أَصْبَحْتَ، فَأْتِنِي بِهِ".

فذهبتُ به إلى رَحلي، فلَمَّا أصبحتُ غدوتُ به إلى رسولِ الله ﷺ، فلَمَّا رآه رسولُ اللهِ ﷺ قالَ: "وَيْحَكَ يَا أبا سفيان أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟"

قالَ: بِأَبي أنتَ وأمي ما أَحلَمَكَ وأكرَمَكَ وأوصَلَكَ، لقدْ ظَنَنتُ أنْ لَو كانَ معَ اللهِ إلهٌ غيرُه لقدْ أغْنى شيئا بَعدُ.

قال: "وَيْحَكَ يَا أبا سُفيانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟"

قالَ: بِأَبي أنتَ وأُمي ما أحْلَمَكَ وأكرَمَكَ وأوصَلَكَ، أمَّا هذِه واللهِ فَإنَّ في النَّفسِ مِنها حَتى الآنَ شيئًا.

فقالَ لهُ العبَّاسُ: وَيحكَ أَسلمْ، واشْهَدْ أنْ لا إله إلا اللهُ، وأنَّ محمَّدا رسولُ الله، قبل أنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ.

فأسلَمَ، وشهِدَ شهادةَ الحقِّ.

فقال العبَّاسُ: يا رَسولَ الله إنَّ أبا سُفيانَ رجلٌ يحبُّ الفخرَ، فاجعل له شيئا.

قال ﷺ: "نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبي سفيان فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَهُوَ آمِنٌ".

وأَمرَ رسولُ اللهِ ﷺ العبَّاسَ أن يحبس أبا سفيانَ بمضيقِ الوادِي عند خَطْمِ الجَبلِ حتى تمرَّ به جنودُ اللهِ فيراها، (خطم الجبل: أي أنفه البارز منه حيث يضيق الطريق فيرى

الجيش كله ويكثر في عينه، فينبعث في قلبه الشعور بقوتهم وشأنهم فيكف عن عداوة المسلمين والتفكير في حربهم ويتمكن الإسلام في قلبه)؛ **ففعلَ فمرَّتِ القبائلُ على رَاياتِها، كلَّمَا مرَّت به قبيلةٌ قال: يا عباسُ مَن هَذِه؟**

فأقولُ: سُلَيمٌ.

فيقول: ما لي ولسُلَيمٍ.

ثم تَمرُّ بِه القبيلةُ، فيقول: يا عباسُ مَن هؤلاءِ؟

فأقول: مُزَينةُ.

فيقولُ: ما لي ولمُزَينَةَ.

حتى نَفِدَتِ القَبائلُ، ما تَمرُّ به قبيلةٌ إلا سأَلني عنها، فإذا أخبرتُه بهمْ، قال: ما لي ولبَني فلانٍ، حتى مرَّ به رسولُ اللهِ ﷺ في كتيبتِه الخَضراءِ فيها المُهاجِرونَ والأنصارُ، لا يُرَى مِنهم إلا الحَدَقُ مِنَ الحَدِيد. (أي: لا يرى إلا حدقة العين من الدروع)

قال: سُبحانَ اللهِ يا عَباسُ مَنْ هَؤلاءِ؟

قلتُ: هذا رَسولُ الله ﷺ في المُهاجِرينَ والأنصارِ.

قال: ما لأحدٍ بهؤلاءِ قِبَلٌ ولا طاقةٌ، واللهِ يا أبا الفضلِ لقدْ أصبحَ مُلكُ ابنِ أخيكَ اليومَ عظيمًا.

قلتُ: يا أبَا سفيانَ إنها النُّبُوَّةُ.

قال: فنعم إذًا.

وكانت رايةُ الأنصارِ مع سعدِ بن عُبادَة، فلمَّا مرَّ بأبي سفيانَ قال له: اليومَ يومُ الملحمةِ، اليومَ تُستَحَلُّ الحرمةُ (أي: يصبح فيه القتل عند الكعبة حلالا)، **اليومَ أذلَّ اللهُ قريشًا.**

فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟

قَالَ النبي ﷺ: "مَا قَالَ؟"

قال: كذا وكذا.

فقال رسول الله ﷺ: "كَذَبَ (أي: أخطأ) سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الكَعْبَةُ، الْيَوْمَ يَوْمٌ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ قُرَيْشًا".

ثم أَرسلَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى سَعدٍ، فنزَعَ مِنهُ اللِّواءَ، ودفعَهُ إلى ابنِه قَيسٍ(1).

بَعدَ الانتِهَاءِ مِنِ اسْتِعْرَاضِ الجَيشِ أَمَامَ أَبي سُفيَانَ، قالَ العبَّاسُ لأبي سفيانَ: أسرِعْ إلى قومِك.

فَانطلقَ أبُو سُفيانَ سَرِيعًا إلى قَومِهِ يحذِّرُهُم حتى إذا جاء قريشًا، صرخَ بأعلى صوتِه: يا معشرَ قريشٍ هذا محمدٌ قد جاءَكم فيما لا قِبَلَ لَكُم به، فمن دخلَ دارَ أبي سُفيانَ فهو آمِنٌ.

فقامت إليه هندُ بنتُ عُتبةَ فأخذتْ بشَارِبِه، فقالتْ: اقتُلُوا الْحَمِيتَ الدَّسِمَ الْأَحْمَسَ (الحميت الدسم الأحمس: أرادت تشبيه أبا سفيان بزق السمن استعظاما لقوله. الحميت: أي زِقُّ السمن. الدسم: أي الكثير الودك. الأحمس: أي الذي لا خير عنده)، قُبِّحَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ. (أي: رئيس القوم)

قال: ويْلكُم لا تَغرنَّكُم هذِه من أنفُسِكُم، فإنه قد جاءَكم ما لا قِبَلَ لكم بِه، مَن دخلَ دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ.

قالوا: قاتلك الله، وما تغني عنا دَارُك؟

قال: ومَن أَغْلَق عليه بابَه فهو آمِنٌ، ومَن دَخل المسجدَ فَهو آمِنٌ.

فتفرَّق الناسُ إلى دُورِهِم، وإلى المَسجدِ(2).

---

(1) انظر: صحيح البخاري (4280)، وسيرة ابن هشام (2/402-404)، والكامل في التاريخ (2/119-120)، والبداية والنهاية (6/535-539)، وزاد المعاد (3/353-355).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/404-405).

وسارَ رَسولُ اللهِ ﷺ فدَخلَ مَكةَ مِن أَعلاهَا وضُرِبتْ له هُنَالِكَ قُبَّةٌ، وأَمرَ الزُّبيرَ بنُ العَوَّامِ أنْ يَدخلَ في بعضِ الناسِ مِنْ كُدًى (جبل قريب من كَداء، وكَداء جبل بأعلى مكة)، وكان الزُّبيرُ على المُجَنَّبَةِ اليُسرَى، وأمر سَعْدَ بنَ عُبادَةَ أنْ يدخلَ في بعضِ الناسِ مِن كَدَاءَ. (كداء: جبل بأعلى مكة).

وأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ أنْ يَدخلَهَا مِنْ أسفَلِها، وكانَ على المُجَنِّبَةِ اليُمْنى، وفيها قَبائلُ: أسلمُ، وسُلَيمٌ، وغِفَارٌ، ومزينةُ، وجُهَينةُ، وقبائلُ من قبائلِ العربِ.

وكان أبو عُبيدة على الرَّجَّالَةِ والحُسَّرِ، وهمُ الذينَ لا سلاحَ معَهم، وأخذُوا بطنَ الوادِي.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لخالدٍ ومَنْ معَهُ: "إِنْ عَرَضَ لَكُمْ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَاحْصُدُوهُمْ حَصْدًا حَتَّى تُوَافُونِي عَلَى الصَّفَا"(1).

وتجمَّع سُفهاءُ قريشٍ مَع عِكرمةَ بنِ أبي جهلٍ، وصفوانَ بنِ أُميةَ، وسُهَيلِ بنِ عمرٍو بالخَنْدَمَةِ (الخندمة: جبل بمكة)؛ ليقاتِلوا المُسلمينَ.

فلَمَّا لَقِيَهُم المُسلِمونَ من أصحابِ خالدِ بن الوليدِ ناوشوهم شيئًا من قتالٍ، فقُتِل كُرْزُ بنُ جابرٍ الفِهْرِيُّ، وخُنيسُ بنُ خالدٍ منَ المُسلمينَ، وكانا في خيلِ خالِدِ بن الوليدِ فَشذَّا عنه فَسَلَكا طَرِيقًا غيرَ طريقِهِ فقُتِلا، وأُصِيبَ منَ المُشركينَ نحوُ اثني عَشرَ رَجُلًا(2).

وجمعَتْ قريشٌ جموعًا من قبائلَ شَتَّى، فقالُوا: نُقدِّم هَؤلاءِ، فإن كانَ لقُريشٍ شيءٌ كنَّا معهُم، وإن أُصِيبوا أَعْطَينَا الذِي سُئِلنَا.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ".

فَقَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/405-406)، وزاد المعاد (3/356).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/407-408)، وزاد المعاد (3/356-357).

فَقَالَ: "اهْتِفْ لِي بِالْأَنْصَارِ، وَلَا يَأْتِينِي إِلَّا أَنْصَارِيٌّ".

فَهَتَفَ بِهِمْ فَجَاءُوا، فَأَطَافُوا بِرَسُولِ اللهِ فَقَالَ: "أَتَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاشِ (جموع من قبائل شتَّى) قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ.

ثُمَّ أَشَارَ بِيَدَيْهِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى: "احْصُدُوهُمْ حَصْدًا حَتَّى تُوَافُونِي بِالصَّفَا".

قَالَ أَبُو هُرَيرَةَ: فَانْطَلَقْنَا، فَمَا يَشَاءُ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ مِنْهُمْ إِلَّا شَاءَ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ وَجَّهَ إِلَيْنَا شَيْئًا.

ورُكِزَت رَايةُ رسولِ اللهِ ﷺ بالحَجُونِ (الحجون: موضع بمكة، يقال: هو مقبرة أهل مكة) عندَ مَسجدِ الفتحِ.

ثم نَهَضَ رسولُ اللهِ ﷺ والمهاجرونَ والأنصارُ بين يديه وخلْفَه وحَولَه حتى دخلَ المسجدَ، فأقبلَ إلى الحَجَرِ الأسودِ، فاستَلَمَهُ ثم طافَ بالبيتِ، وفي يدِه قوسٌ، وحولَ البيتِ وعَلَيهِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةِ صنمٍ، فجعلَ يَطْعَنُها بالقوسِ ويقولُ: "وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا"[الإسراء: 81]، وقال: "قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ"[سبأ: 49]، والأصنام تَتَساقطُ على وجوهها.

ولمَّا أكمَلَ رسولُ اللهِ ﷺ طوافهُ بالبيتِ، دعَا عُثمانَ بنَ طَلحةَ، فأخذَ منهُ مِفتاحَ الكَعبةِ، فأمرَ بها فَفُتِحتْ فدَخَلَها فرَأَى فيها الصُّورَ، ورأى فيهَا صورةَ إبراهيمَ وإسماعيلَ يَسْتَقْسِمَانِ بالأَزْلَامِ، فقالَ: "قَاتَلَهمُ اللهُ، وَاللهِ مَا اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطُّ".

ورأى في الكَعبةِ حَمامةً من عيدانٍ، فكسَرَها بيدِه، وأمَر بِالصُّوَرِ فَمُحِيَتْ(2).

ثم أَغْلَقَ رَسولُ اللهِ ﷺ عليهِ بابَ الكعبةِ، وعلى أُسامةَ وبِلالٍ، فاسْتقبلَ الجدارَ الذي يقابلُ البابَ، حتى إذا كان بينه وبينه قَدْرُ ثلاثةِ أذرعٍ، وقف وصلى هناكَ، ثم دارَ في البيت، وكبَّر في نواحِيه، ووحَّدَ اللهُ، ثمَّ فَتحَ البابَ.

---

(1) صحيح: رواه مسلم (1780)، عن أبي هريرة.

(2) انظر: صحيح البخاري (4288)، وسيرة ابن هشام (2/411-413)، وزاد المعاد (3/358).

(3) انظر: صحيح البخاري (4288)، وسيرة ابن هشام (2/413)، وزاد المعاد (3/358).

وأَخذَ رسولُ اللهِ ﷺ بِعَضَادَتَي بابِ الكَعبةِ، وقريشٌ تحتَه قد مَلأتِ المَسجدَ صُفُوفًا ينتظِرُونَ ماذَا يَصْنعُ، فقَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ".

"أَلَا كُلُّ مَأْثُرَةٍ (مأثرة: ما أُثر ممَّا كانوا يفعلونه في الجاهليَّة) أَوْ مَالٍ أَوْ دَمٍ يُدَّعَى فَهُوَ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ (أي: باطل) إِلَّا سَدَانَةَ الْبَيْتِ، (أي: خدمة البيت) وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ".

"أَلَا وَقَتِيلُ الْخَطَأِ شِبْهِ الْعَمْدِ بِالسَّوْطِ وَالْعَصَا فَفِيهِ الدِّيَةُ مُغَلَّظَةً، مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا".

"يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ (الكبر والفخر) الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظُّمَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ".

ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[الحجرات: 13].

ثُمَّ قَالَ: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟"

قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ.

قَالَ: "فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: "لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ الرَّحِمِينَ"[يوسف: 92] اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ"(1).

ثمَّ جَلسَ رسولُ اللهِ ﷺ في المسجدِ، فقامَ إليهِ عليٌّ ومِفتاحُ الكعبةِ في يدِه فقالَ: يا رسولَ الله اجمعْ لنَا الحِجَابةَ (الحجابة: أي حجابة الكعبة، وهي سدانتها، وتولي حفظها، وهم الذين بأيديهم مفتاحها) مع السِّقَايةِ (السقاية: أي سقاية الحاج، وهي ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء، وكان يليها العباس بن عبد المطلب في الجاهلية والإسلام) صَلَّى اللهُ عليكَ.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (412/2)، والبداية والنهاية (567/6-568)، وزاد المعاد (358/3-359).

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؟»، فَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: "هَاكَ مِفْتَاحَكَ يَا عُثمان، الْيَوْمُ يَوْمُ بِرٍّ وَوَفَاءٍ، خُذُوهَا يَا بَنِي أَبِي طَلْحَةَ تَالِدَةً خَالِدَةً (أي: إلى الأبد) لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ظَالِمٌ، يَا عثمان إِنَّ اللهَ اسْتَأْمَنَكُمْ عَلَى بَيْتِهِ، فَكُلُوا مِمَّا يَصِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ بِالْمَعْرُوفِ"(1).

وأَمرَ بلالًا أنْ يَصعدَ، فيؤذِّنَ على الكعبةِ، وأبو سفيانَ بنُ حرْبٍ، وعتَّابُ بنُ أَسِيدٍ، والحارثُ بنُ هِشامٍ، وأشرافُ قُريشٍ جُلوسٌ بفِناءِ الكعبةِ، فقالَ: عتَّابُ: لقدْ أكرمَ اللهُ أَسِيدًا ألا يَكونَ سمِعَ هذا، فَيسمعَ مِنه ما يَغِيظُهُ.

فقالَ الحارثُ: أمَا واللهِ لو أعلمُ أنَّه حقٌّ لاتَّبعتُهُ.

فقال أبو سُفيانَ: أمَا واللهِ لا أقولُ شيئا لو تَكلَّمتُ لأَخْبَرَتْ عَني هذِه الحَصى.

فخرجَ عليهم النبيُّ ﷺ فقالَ لهُم: "قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي قُلْتُمْ".

ثم ذكرَ ذلك لهمْ، فقال الحارثُ وعتَّابُ: نشهَدُ أنَّكَ رسولُ اللهِ، واللهِ ما اطَّلَعَ على هذا أحدٌ كان معنَا، فنقولَ: أخبركَ(2).

ثم دخلَ رسولُ اللهِ ﷺ دارَ أمِّ هانِئٍ بنتِ أبي طَالبٍ، فاغْتسلَ وصلَّى ثمَانِ رَكعاتٍ في بيتِها، وكانتْ ضحًى فظنَّهَا البَعْضُ صَلاةَ الضُّحَى، وإنَّمَا هذِه صَلاةُ الفتحِ، وكان أُمراءُ الإسلامِ إذا فَتَحُوا حِصْنًا، أو بلدًا صَلَّوْا عَقِيبَ الفتحِ هذِه الصلاةَ اقتداءً برسولِ اللهِ ﷺ وفي القصةِ ما يَدلُّ على أنَّها بِسببِ الفَتحِ شُكرًا للهِ عليه، فإنَّها قالتْ: ما رَأَيتُه صلَّاهَا قَبْلَها، ولا بَعْدَها.

ولمَّا اسْتقرَّ الفتحُ أَمَّنَ رسولُ اللهِ ﷺ الناسَ، وَأَمَرَ بِقَتلِ جَمَاعَةٍ مِنَ المُشرِكِينَ، وإن وُجِدُوا تحتَ أستارِ الكعبةِ، منهُم: عبدُ اللهِ بنُ أبي سَرْحٍ، وعِكْرمةُ بن أبي جهلٍ، وعبدُ العُزَّى بنُ خَطَلٍ، والحارثُ بنُ نُفيلٍ، ومَقِيسُ بنُ صُبابَة، وهبَّارُ بن الأسودِ، وقَيْنَتَانِ لابنِ خطلٍ، كانتا تُغَنِّيَانِ بهجاءِ رسولِ اللهِ ﷺ، وسارةُ مولاةٌ لبعضِ بني عبدِ المُطَّلِبِ.

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (412/2)، والطبقات الكبرى (137/2)، وزاد المعاد (359/3–360).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (413/2).



فأما ابنُ أَبي سَرْحٍ فأسلمَ، فجاءَ بِه عُثمانُ بنُ عَفانَ فاستَأمَنَ له رَسولَ اللهِ ﷺ، فَقَبِلَ منهُ بعد أنْ لمْ يُجِبْهُ رَجاءَ أنْ يَقومَ إليهِ بَعضُ الصَّحابةِ فيقتُلَهُ، وكانَ قدْ أسلمَ قبلَ ذلكَ وهاجرَ، ثم ارتدَّ، ورجعَ إلى مكةَ.

وأما عِكْرمةُ بنُ أَبي جهلٍ، فاستَأْمَنَتْ لهُ امرأتُه بعدَ أنْ فرَّ، فأمَّنَهُ النبيُّ ﷺ، فقدِم، وأسلمَ وحَسُنَ إسلامُهُ.

وأما ابنُ خطلٍ، والحارثُ، ومَقِيسٌ، وإحدَى القَيْنَتينِ فقُتِلُوا، وكان مَقِيسٌ قد أسلمَ ثمَّ ارتدَّ، وقَتَلَ، ولَحِق بالمُشركينَ.

وأمَّا هبَّارُ بنُ الأسودِ، فهُو الذِي عَرضَ لزينبَ بنتِ رسولِ الله ﷺ حينَ هاجرتْ، فنَخَس بها حتى سَقطتْ على صَخرةٍ وأَسْقَطَتْ جَنِينَها، فَفرَّ ثمَّ أسلَمَ، وحَسُنَ إسلامُهُ.

واسْتُؤمِنَ رَسولُ الله ﷺ لسَارةَ ولإِحدَى القَيْنَتَينِ فأمَّنَهُما فأَسْلمَتا(1).

خطبة الفتح:

ولَمَّا كَانَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا، أَوْ يَعْضُدَ (يقطع) بِهَا شَجَرَةً.

فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ (أي: احتجَّ بقتال الرسول فيها) فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ(2).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/410-411)، وزاد المعاد (3/362).

(2) انظر: صحيح البخاري (104)، وصحيح مسلم (1354)، وزاد المعاد (3/362-363).

ولمَّا فتحَ رَسولُ اللهِ ﷺ مكَّةَ قَامَ عَلَى الصَّفَا يَدْعُو اللهَ، وَقَدْ أحاطَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: لَقَدْ أَخَذَتْ رسولَ اللهِ رَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ، وَرَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، أَتُرَوْنَ رَسُولَ اللهِ إِذْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ يُقِيمُ بِهَا؟

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ، قَالَ ﷺ: "مَاذَا قُلْتُمْ؟"

قَالُوا: لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ اللهِ.

فنزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فأَخبرَهم بِمَا قَالُوا، ثُمَّ قَالَ لهم: "أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ، فَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ".

قَالُوا: وَاللهِ مَا قُلْنَا إِلَّا ضَنًّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ. (أي شحا وخلا بالله ورسوله أن يشاركنا الناس في رسول الله)

قَالَ: "فَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ"(1).

وأَمرَ رسُولُ اللهِ ﷺ تَميمَ الخُزاعيَّ، فَكسَّرَ أصنامَ الحرمِ.

وأرسلَ سراياه إلى الأوثانِ التي كانت حولَ الكعبةِ، فكُسِّرتْ كلُّها، ونادَى مُنادِيهِ بِمَكَّةَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدَعْ فِي بَيْتِهِ صَنَمًا إِلَّا كَسَرَهُ"(2).

تلكَ هيَ غَزْوةُ فَتحِ مَكَّةَ، وهي المعركةُ الفَاصلةُ والفَتحُ الأَعْظمُ الذي قَضَى على كَيَانِ الوثنيةِ قضاءً باتًّا، لم يتركْ لبقائِهَا مجالًا ولا مُبررًا في رُبُوعِ الجَزيرَةِ العَربيةِ، فقد كانتْ عامةُ القبائلِ تَنتظرُ ماذَا يَنتُجُ عنِ العِراكِ والاصطِدامِ الذِي كان دائرًا بين المُسلمينَ والوَثنيينَ، وكانتْ تلكَ القَبائلُ تَعرِفُ جيدًا أنَّ الحرمَ لا يُسيطرُ عليهِ إلا مَنْ كانَ عَلى الحَقِّ، وكانَ قدْ تأكَّدَ لدَيهم هذَا الاعْتِقادُ الجَازمُ قبلَ نصفِ القَرنِ حِينَ قَصدَ أصْحابُ الفِيلِ هذَا البيتَ، فأُهْلِكُوا، وجُعِلوا كعَصْفٍ مأكولٍ(3).

(1) انظر: صحيح مسلم (1780)، وسيرة ابن هشام (416/2).

(2) انظر: الطبقات الكبرى (137/2).

(3) انظر: الرحيق المختوم، صـ (353).

وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ خالدِ بنِ الوليدِ لِهَدْمِ العُزَّى فهُدِمَتْ(1):

وكانتِ العزَّى بِنخلةَ، وكانتْ أعظمَ أصنامِ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ كُلِّهَا.

وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عمرِو بنِ العَاصِ لِهَدمِ سِواعٍ، فَهُدِمَتْ(2):

وسواع صَنَمِ هُذَيلٍ.

وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ سَعدِ بنِ زيدٍ الأَشْهليِّ لِهَدْمِ مَناة فَهَدَمَهَا(3):

وصَنَمِ مَنَاةَ, وكَانَتْ بِالْمُشَلَّلِ (وهو موضع من ناحية البحر، وهو الجبل الذي يُهبط منه إلى قُدَيد)، للأوسِ والخزرجِ وغسَّانَ.

وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ خالدِ بنِ الوليدِ إلى بَني جَذيمَةَ، فَقَتَلَ مِنهم رِجالًا بعدَمَا أَسْلَمُوا فعنَّفَه رسولُ اللهِ ﷺ وأرسلَ عليًّا فَوَدَاهُم وأَرْضَاهُم(4):

لمَّا رجعَ خالدُ بنُ الوليدِ مِن هدْمِ العُزَّى، ورَسولُ اللهِ ﷺ مُقيمٌ بمكَّةَ بعثَه إلى بني جَذِيمَةَ (من قبائل العرب) داعيًا إلى الإسلامِ، ولم يَبعثْه مُقاتِلا فخرَجَ في ثَلاثمائةٍ وخمْسينَ رجلًا من المُهاجرينَ والأنصارِ وبني سُلَيمٍ، فلمَّا انتهى إليهم خالدٌ، دَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا (أي خرجنا من دين إلى دين، وقصدوا الدخول في الإسلام، ولكنَّ خالدا ظن أنهم لم ينقادوا، ولهذا لم يقولوا أسلمنا)، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مَعَهُ أَسِيرَهُ، فلمَّا كانَ في السَّحَرِ نادَى خالدٌ: مَن كانَ معَهُ أسيرٌ فلْيَضْرِبْ عُنُقَهُ بالسيفِ.

فأما بنو سُلَيمٍ فقتَلوا مَن كان في أيديهم، وأما المُهاجرونَ والأنصارُ، فتَرَكُوا أَسَارَاهم.

قالَ ابنُ عُمَرَ: وَاللهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ.

---

(1) الطبقات (135/2) الكامل (128/2) البداية (354/4) سبل الهدى (196/6).
(2) الطبقات (135/2) الكامل (134/2) سبل الهدى (198/6).
(3) الطبقات (136/2) الكامل (134/2) سبل الهدى (199/6).
(4) الطبقات (136/2) مغازي الذهبي (567) البداية (350/4) سبل الهدى (200/6).



فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَروهُ بِمَا فَعَلَ خَالِدٌ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فَقَالَ: "اللهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ" مَرَّتَيْنِ(1).

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: "يَا عَلِيُّ، اُخْرُجْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَانْظُرْ فِي أَمْرِهِمْ، وَاجْعَلْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْكَ".

فخرجَ عليٌّ حتى جاءَهم ومعَه مالٌ قد بعثَ بِه رَسولُ اللهِ ﷺ فودَى لهم الدماءَ (أي: دفع ديات من قتلوا)، وما أُصِيبَ لهم مِن الأموالِ، فلمَّا انْتهى بقيتْ مَعَهُ بقيةٌ مِنَ المالِ، فَقالَ لهم عليٌّ: هل بَقيَ لكم بَقيةٌ مِن دمٍ أو مالٍ لم يُودَ لكُم؟

قالوا: لا.

قَالَ: فإني أُعْطِيكُم هذه البقيةَ مِن هذا المالِ احتياطًا لرسول اللهِ ﷺ.

ثمَّ رَجعَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأخْبَرَهُ الخبرَ: فقالَ: "أَصبتَ، وأَحْسنتَ".

---

(1) انظر: صحيح البخاري (4339)، والطبقات الكبرى (2/147-148).



{غزوة حنين}

وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانتْ غَزْوَةُ حُنَينٍ(1):

لَمَّا مَنَّ اللهُ تعالى عَلَى رسولِهِ ﷺ وعَلَى المُؤمِنينَ بِفتحِ مَكَّةَ، اجْتَمَعت عِدَّةُ قبائلَ مِنهُم: هَوَازِنُ، وَثَقِيفٌ، وَنَصْرٌ، وَسَعْدُ بْنُ بَكْرٍ بِقيادةِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ لِمُحاربةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ والقَضاءِ على الإِسلامِ.

واصْطَحَبوا معَهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، فَلَمَّا نَزَلُوا بِأَوْطَاسٍ أَتَى دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ، وكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، شُجَاعًا مُجَرَّبًا، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا رأْيُهُ وَمَعْرِفَتُهُ بِالْحَرْبِ، فَقَالَ: بِأَيِّ وَادٍ أَنْتُمْ؟

قَالُوا: بِأَوْطَاسٍ.

فامتَدَحَهُ دُرَيدٌ، ثُمَّ قَالَ: مَا لِي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ، وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ، وَبُكَاءَ الصَّغِيرِ، وَيُعَارَ الشَّاءِ.

قَالُوا: سَاقَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ.

قَالَ: أَيْنَ مَالِكٌ؟

قِيلَ: هَذَا مَالِكٌ، وَدُعِيَ لَهُ.

فَقَالَ: يَا مَالِكُ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ، مَا لي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ، وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ، وَبُكَاءَ الصَّغِيرِ، وَيُعَارَ الشَّاءِ؟

قَالَ: سُقْتُ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ، وَأَبْنَاءَهُمْ، وَنِسَاءَهُمْ.

قَالَ: وَلِمَ ذَاكَ؟

قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَهْلَهُ وَمَالَهُ؛ لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ.

---

(1) تاريخ الطبري (2/165) مغازي الذهبي (571) البداية (5/1).

قَالَ: رَاعِي ضَأْنٍ (يريد أن يجهِّله) وَاللهِ! وَهَلْ يَرُدُّ الْمُنْهَزِمَ شَيْءٌ؟ إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ لَكَ لَمْ يَنْفَعْكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرُمْحِهِ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ فُضِحْتَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ.

ثُمَّ قَالَ: إِنْ كَانَتْ لَكَ لَحِقَ بِكَ مَنْ وَرَاءَكَ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ أَلْفَاكَ ذَلِكَ وَقَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ(1).

وكَرِهَ مَالِكٌ أَنْ يَكُونَ لِدُرَيْدٍ فِي هذهِ الحَربِ ذِكْرٌ أَوْ رَأْيٌ، فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ، إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَكَبِرَ عَقْلُكَ.

ثُمَّ قالَ لجِيُوشهِ: وَاللهِ لتُطِيعُنَّنِي يَا مَعْشَرَ هَوَازِنَ، أَو لأَتَّكِئَنَّ عَلَى هَذَا السَّيْفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي.

فَقَالُوا: أَطَعْنَاكَ.

ثُمَّ قَالَ مَالِكٌ لِلنَّاسِ: إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ شُدُّوا عَلَيهِمْ شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ(2).

وَبَعَثَ مَالِكٌ عُيُونًا مِنْ رِجَالِهِ، فَأَتَوْهُ وَقَدْ تقطَّعتْ أَعْضاؤهُم، فقَالَ: وَيْلَكُمْ! مَا شَأْنُكُمْ؟

فَقَالُوا: رَأَيْنَا رِجَالًا بِيضًا عَلَى خَيلٍ بُلْقٍ (جمع أبلق: فرس فيه سواد وبياض)، فو اللهِ مَا تَمَاسَكْنَا أَنْ أَصَابَنَا مَا ترى(3).

ولَمَّا سَمِعَ رَسولُ اللهِ ﷺ بِمسِيرِ المُشركينَ إليهِ بَعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي حَدْرَدٍ؛ لِيَأْتِيَهُ بِخَبَرِهِمْ.

فَانْطَلَقَ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ، فَأَقَامَ فِيهِمْ حَتَّى سَمِعَ وَعَلِمَ مِنْهُمْ مَا قَدْ أَجْمَعُوا لَهُ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ(4).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/437-439).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/437-439).

(3) انظر: مغازي الواقدي (3/892-893)، وسيرة ابن هشام (2/439).

(4) انظر: مغازي الواقدي (3/893)، وسيرة ابن هشام (2/439-440).



ولمَّا عَزَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى السَّيْرِ إلَى هَوَازِنَ، ذُكِرَ لَهُ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ عِنْدَهُ أسْلِحَة، فَأَرْسَلَ إلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ.

فَقَالَ: "يَا أَبَا أُمَيَّةَ، أَعِرْنَا سِلَاحَكَ هَذَا نَلْقَ فِيهِ عَدُوَّنَا غَدًا".

فَقَالَ صَفْوَانُ: أَغَصْبًا يَا مُحَمَّدُ؟

قَالَ ﷺ: "بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ حَتَّى نُؤَدِّيَهَا إلَيْكَ".

قَالَ: لَيسَ بِهَذَا بَأْس.

فَأعْطَاهُ مائَة دِرْعٍ بِمَا يَكْفِيهَا مِنَ السِّلَاحِ(1).

(ولما انتهَتِ الحَرْبُ ضَاعَ بَعْضُهَا، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ أَنْ يَضْمَنَهَا لَهُ، فَقَالَ: أَنَا الْيَوْمَ يَا رَسُولَ اللهِ فِي الْإِسْلَامِ أَرْغَبُ(2).)

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ السَّبْتِ السَّادِسِ منْ شَوَّالٍ، وَمَعَهُ أَلْفَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مَعَ عَشَرَةِ آلَافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ فَتَحَ اللهُ بِهِمْ مَكَّةَ، فَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَتَّابَ بْنَ أَسِيدِ عَلَى مَكَّةَ، أَمِيرًا عَلَى مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنَ النَّاسِ.

فلَمَّا رَأى النَّاسُ كَثْرَةَ الجَيشِ قَالَ بعضُهُم: لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ، وذلك قوله تعالى:

"لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ"[التوبة: 25](**3**).

واقْتَرَبَ الجيشُ الإسْلاميُّ مِنْ حُنَيْنٍ (واد بين مكة والطائف وراء عرفات، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا) **في الظَّلَامِ قبلَ طُلوعِ الصُّبحِ، فَنَزَلُوا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ** (تِهامة: ما انخفض من أرض الحجاز)

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (440/2).

(2) حسن: رواه النسائي في الكبرى (5747)، وأحمد (15302)، عن صفوان بن أمية.

(3) انظر: مغازي الواقدي (889/3)، وسيرة ابن هشام (440/2).

وَكَانَ مُتَّسِعًا مُنْحَدِرًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ جيشُ هَوَازنَ إِلَى وَادِي حُنَيْنٍ، فَكَمَنُوا لَهُمْ فِي شِعَابِهِ، وجَوانبِهِ، وَمَضَايِقِهِ، وَقَدْ تهيَّئُوا وأعَدُّوا للْمُسْلِمِينَ، وبينَمَا المُسلِمونَ يقْتَرِبُونَ إذْ بكتائبِ هوازنَ شَدُّوا عَلَيْهِمْ شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَفرَّ المُسْلِمونَ رَاجِعِينَ، لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ(1).

فلمَّا رأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَالَ المُسلِمينَ انْحَازَ ذَاتَ الْيَمِينِ، ثُمَّ قَالَ: "أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟، هَلُمُّوا إِلَيَّ، أَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَلَا شَيْءَ" (أي: لا شيء عظيم يستحق الفرار) وبقيَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَالْعَبَّاسُ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ، وَابْنُهُ، وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وأَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ(2).

وكَانَ الْعَبَّاسُ عَمُّ النَّبيِّ ﷺ آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْبَيْضَاءِ، وكَانَ شَدِيدَ الصَّوْتِ، فَلَمَّا نادَى رسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟»، لَمْ يرْجِعْ أَحَدٌ، فَقَالَ: "يَا عَبَّاسُ، اصْرُخْ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ السَّمُرَةِ". (أصحاب السمرة: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية)

فَصَرَخَ العبَّاسُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟

فَرَجَعُوا مُسْرِعِينَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وَأَجَابُوا: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ.

فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَكَانَتِ المُنَادَاةُ في بَادِئ الأَمْرِ فِي الْأَنْصَارِ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ.

فَنظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ (كناية على اشتداد الحرب)، اللهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ".

---

(1) انظر: مغازي الواقدي (3/897)، وسيرة ابن هشام (2/442-443).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/442).

وكَانَ يَقولُ:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ * أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، فَقَالَ: "شَاهَتِ الْوُجُوهُ (أي: قبُحت الوجوه)، انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ"، فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ.

وفرَّ الْمُشْرِكُونَ حتَّى أَتَوْا الطَّائِفَ، وَعَسْكَرَ بَعْضُهُمْ بِأَوْطَاسٍ(1).

وانتهت غزوة حنين بنصر الله تعالى للمؤمنين.

وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ أَوطاسٍ بقيادةِ أَبي عامرٍ الأشعريِّ(2):

وقتل فيها دريد، وفاز المسلمون بنصر الله تعالى، واستُشهد فيها أبو عامر الأشعري فدعا له رسول الله ﷺ بالمغفرة.

وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ الطُّفَيلِ بنِ عمرٍو الدَّوسيِّ لِهَدمِ الصَّنَمِ ذِي الكَفَّينِ، فَأشعلَ فِيه النارَ(3).

وهي حين أراد رسول الله ﷺ المسير إلى الطَّائف.

وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَفِي طَرِيقِهِ ﷺ لِحصَارِ الطائفِ مرَّ بِبُحرَةِ الرُّغَاءِ فابْتَنى بِها مَسجِدًا، فَصَلَّى فيه قَبلَ وُصُولِه إِلى الطَّائفِ(3).

وَفِي أَوَاخِرِ شَوَّال مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: رَفعَ رسولُ اللهِ ﷺ الحِصارَ عَنِ الطائفِ، ثُم رجعَ إلى الجِعْرَانَةِ، فقدِمَ عَليهِ وفودُ هَوازنَ قَد أَسلمُوا فردَّ عَليه أَسْرَاهُم(4).

---

(1) انظر: صحيح مسلم (1775، 1776، 1777)، من حديث العباس، وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما، وسيرة ابن هشام (2/444-445).

(2) الطبقات (2/145) عيون الأثر (2/249) سبل الهدى (6/210).

(3) الكامل (2/140) سبل الهدى (5/557).

(4) تاريخ الطبري (2/137) الروض الأنف (7/241) عيون الأثر (2/244) الكامل (2/141).

لمَّا طالَ الانتِظَارُ في حِصَارِ الطَّائِفِ، وَلَمْ يُؤْذَنْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الفَتْحِ، اسْتَشَارَ النبي ﷺ نَوفلَ بنَ مُعَاوِيةَ الدِّيلِيَّ، فَقَالَ: "مَا تَرَى؟"

فَقَالَ: ثَعْلَبٌ فِي جُحْرٍ إِنْ أَقَمْتَ عَلَيْهِ أَخَذْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَضُرَّكَ.

فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ.

ولمَّا فَكَّ رَسُولُ اللهِ وَرَجَعَ إلى الجِعْرَانَةِ (موضع قريب من مكة)، أَمَرَ بِجَمْعِ السَّبْيِ وَالْغَنَائِمِ، فَجُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي الْجِعِرَّانَةِ، وَكَانَ السَّبْيُ سِتَّةَ آلَافِ رَأْسٍ، وَالْإِبِلُ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا، وَالْغَنَمُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ شَاةٍ، وَأَرْبَعَةَ آلَافِ أُوقِيَّةً مِنْ فِضَّةٍ، (أوقية: الأوقية تساوي أربعين درهما فضة، والدرهم يساوي ثلاث جرامات فضة عيار ألف تقريبا) مُنتظرًا حَتَّى تَقْدَمَ عَلَيْهِ هَوَازِنُ مُسْلِمِينَ، فَيَرُدَّ عَلَيْهِمْ أَمْوَالَهُم.

فَاستَجَابَ اللهُ تعالى دَعْوَتَهُ فَأَتَاهُ وَفْدُ هَوَازِنَ بِالْجِعْرَانَةِ، وَقَدْ أَسْلَمُوا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا أَصْلٌ وَعَشِيرَةٌ، وَقَدْ أَصَابَنَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا، مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ.

فردَّ عليهم أبنائهم ونسائهم وكل ما قسم على بني عبد المطلب من مال، وترك الخيرة لبقيَّة المسلمين في المال فمنهم من ردَّ منهم من تمسك بحقه، وأمرهم بردِّ النساء والأطفال(1).

ولمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ رَدِّ سَبَايَا حُنَيْنٍ إِلَى أَهْلِهَا، رَكِبَ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْسِمْ علينا فيئنا مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى شَجَرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ (في الشوك)، فَوَقَفَ، فَقَالَ ﷺ: "أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ (شجرة عظيمة لها شوك) نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلَا كَذُوبًا، وَلَا جَبَانًا".

ثُمَّ قَامَ إِلَى جَنْبِ بَعِيرٍ، فَأَخَذَ وَبَرَةً مِنْ سَنَامِهِ، فَجَعَلَهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَهَا، ثُمَّ قَالَ:

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/488-490).



"أَيُّهَا النَّاس، وَاللهِ مَا لي مِنْ فَيْئِكُمْ وَلَا هَذِهِ الْوَبَرَةُ إِلَّا الْخُمُسُ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، فَأَدُّوا الْخِيَاطَ (الخيط) وَالْمِخْيَطَ (الإبرة)، فَإِنَّ الْغُلُولَ (السرقة من الغنيمة) يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَارًا وَنَارًا وَشَنَارًا (الشنار: القبح والعار) يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثم قسَّم رسول الله ﷺ الغنائم على الناس، بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْسِمُ الغَنَائِمَ، أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ: ذُو الخُوَيْصِرَةِ (اسمه: حرقوص بن زهير)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ.

فَقَالَ: "وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ".

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟

فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ (أي: يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم: أي يجدها قليلة ويظنها أقل ثوابا وقبولا إذا قارنها بصلاتهم)، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ (رأس السهم)، فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ (وهو: العصب الذي يلوى فوق مدخل النصل) فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، – وَهُوَ قِدْحُهُ (هو عود السهم قبل أن يوضع له الريش)–، فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ (القذذ ريش السهم، أي: مؤخرته) فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ (سبق الفرث والدم: أي لم يتعلق به شيء منهما لشدة سرعته)، آيَتُهُمْ (علامتهم) رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ (ما بين الكتف والمرفق) مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ (قطعة اللحم) تَدَرْدَرُ (أي: تضطرب، أي: تتحرك)، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ.

(أي: في الوقت الذي يفترق فيه المسلمون).

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ: فَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ، فَوُجِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ، عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللهِ الَّذِي نَعَتَ(1).

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (3610)، ومسلم (1064)، عن أبي سعيد، وانظر: فتح الباري (291/12).

ولَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ مِن قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا حَزِنُوا فِي أَنْفُسِهِمْ إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ مِن الْعَطَايَا، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ.

قَالَ ﷺ: "فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ". (الحظيرة: مأوى الغنم والإبل)

فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا عَلَيَّ فِي أَنْفُسِكُمْ.

يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي.

وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي.

وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي.

قَالُوا: بَلِ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، وَأَفْضَلُ.

كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ.

قَالَ: "مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللهِ؟"

قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ، وَالْفَضْلُ.

قَالَ: "أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ".

أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ (لعاعة: أي بقلة خضراء ناعمة، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها) مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِير، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ إِلَى رِحَالِكُمْ؟

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ وَادِيًا وَشِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا.

الأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ (الأنصار شعار والناس دثار: أي الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء وألصقُ الناس بي من سائر الناس. والشعار الثوب الذي يلي الجسد، والدثار فوقه)، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً (أثرة: ينفردُ بالمال المشترك ونحوه دونكم، ويفضَّل عليكم بذلك غيركم)، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ.

اللهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ".

فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ (أي: ابتلت لحاهم)، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قَسْمًا وَحَظًّا.

ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا(1).

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ قَيسِ بن سَعدِ بنِ عُبادةَ إلى صُدَاءٍ نَاحِيةَ اليَمَنِ(2):

لَمَّا انْصَرَفَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْجِعْرَانَةِ بَعَثَ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنَ عُبَادَةَ إِلَى نَاحِيَةِ الْيَمَنِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ صُدَاءً، فَعَسْكَرَ بِنَاحِيَةِ قَنَاةَ (واد بالمدينة) فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدِمَ رَجُلٌ مِنْ صُدَاءٍ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ الْبَعْثِ فَأُخْبِرَ بِهِمْ، فَخَرَجَ سَرِيعًا إِلَى المَدِينَةِ يُرِيدُ رسولَ اللهِ ﷺ(2).

ولَمَّا قَدِمَ الرَّجُلُ الصُّدَائِيُّ المَدِينَةَ وَرَدَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: جِئْتُكَ وَافِدًا عَلَى مَنْ وَرَائِي فَارْدُدِ الْجَيْشَ، وَأَنَا لَكَ بِقَوْمِي، فَرَدَّهُمْ رَسُولُ اللهِ، فَقَدِمَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَسْلَمُوا، وَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، فَفَشَا فِيهِمُ الْإِسْلَامُ فَوَافَى النَّبِيَّ مِائَةُ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ(3).

---

(1) صحيح: رواه البخاري (4330)، ومسلم (1061)، وأحمد (11730)، وابن هشام في السيرة (2/498-500)، عن عبد الله بن زيد، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

(2) انظر: الطبقات الكبرى (1/326).

(3) انظر: الطبقات الكبرى (1/326).



وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ عمرَو بنَ العَاصِ إلى جيفَرَ وعمرٍو ابْنَي الجُلَنْدَى مِنَ الأَزْدِ، فأسْلَمَا(1):

بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرِ بْنِ الْجُلَنْدَى، وَعَمْرِو بْنِ الْجُلَنْدَى الأَزْدِيَّيْنِ بِعُمَانَ، وَالْمَلِكُ مِنْهُمَا جَيْفَرُ يَدْعُوهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَيْهِمَا كِتَابًا وَخَتَمَهُ.

فَأَسْلَمَا، وَصَدَّقَا النَّبِيَّ ﷺ وَأَقَرَّا بِمَا جَاءَ بِهِ، وَخَلَّيَا بَيْنَ عمرٍو وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ، وَالْحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَأَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَرَدَّهَا عَلَى فُقَرَائِهِمْ، وَأَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ بَلَدِهِمَا، وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ.

فَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا بَيْنَهُمْ حَتَّى بَلَغَتْهُ وَفَاةُ رَسُولِ اللهِ(2).

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: جَاءَ وفدُ ثَعْلبةَ ووفدُ ثُمَالَةَ، والحُدَّانِ إِلى رَسولِ اللهِ ﷺ فأسلموا(3).

---

(1) تاريخ الطبري (177/2).

(2) انظر: الطبقات الكبرى (258/1)، وتاريخ الطبري (29/3، 95/3)، وزاد المعاد (119/1).

(3) الطبقات (258/1) – (298/1).






الفصل الحادي عشر
السنة التاسعة من الهجرة



في المُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ التاسعة من الهجرة: كَانَتْ سَرِيَّةُ عُيَينَةَ بْنِ حِصْنٍ إِلى بَني تَمِيمٍ، فَسَبَوا مِنْهُم سَبْيًا، فَجَاءَ رُؤَسَاؤهُمْ إِلى النَّبيِّ فنادُوه مِن وَراءِ البَابِ: يَا مُحمَّدُ، فَنزَلَتْ فِيهِمْ سُورةُ الحُجُرَاتِ(1):

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ الْفَزَارِيَّ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ فِي خَمْسِينَ فَارِسًا مِنَ الْعَرَبِ لَيْسَ فِيهِمْ مُهَاجِرِيٌّ وَلَا أَنْصَارِيٌّ، فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ، فَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي صَحْرَاءَ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ وَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَأَسَرُوا مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا، وَإِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً وَثَلَاثِينَ صَبِيًّا، فَجَلَبُوهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَمَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ، فَحُبِسُوا فِي دَارِ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ.

وَقَدِمَ فِيهِمْ عِدَّةٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ بَكَى إِلَيْهِمُ النِّسَاءُ وَالذَّرَارِيُّ، فَعَجِلُوا، فَجَاءُوا إِلَى بَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَادَوْا: يَا مُحَمَّدُ اخْرُجْ إِلَيْنَا، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَقَامَ بِلَالٌ الصَّلَاةَ، وَتَعَلَّقُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ يُكَلِّمُونَهُ، فَوَقَفَ مَعَهُمْ، ثُمَّ مَضَى فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ جَلَسَ فِي صَحْنِ الْمَسْجِدِ، فَقَدَّمُوا خَطِيبَهُمْ عُطَارِدَ بْنَ حَاجِبٍ، فَتَكَلَّمَ وَخَطَبَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، أَنْ يُجِيبَهُ، فَأَجَابَهُ، فَقَامَ الزِّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ، فَقَالَ شِعْرًا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ، أَنْ يُجِيبَهُ، فَأَجَابَهُ.

فَلَمَّا فَرَغَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ قَوْلِهِ، قَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمُؤَتًّى لَهُ (أي: موفَّق)، لَخَطِيبُهُ أَخْطَبُ مِنْ خَطِيبِنَا، وَلَشَاعِرُهُ أَشْعَرُ مِنْ شَاعِرِنَا، وَلَأَصْوَاتُهُمْ أَحْلَى مِنْ أَصْوَاتِنَا.

---

(1) الطبقات (147/2) عيون الأثر (253/2) سبل الهدى (324/6) ط. المجلس الأعلى.



فَلَمَّا فَرَغَ الْقَوْمُ أَسْلَمُوا، وَجَوَّزَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَحْسَنَ جَوَائِزَهُمْ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْأَسْرَى وَالسَّبْيَ.

وَنَزَلَ فِيهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: " إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ "[الحجرات: 4 – 5](1).

وفي نفس السنة بَعَثَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَبدَ اللهِ بنَ عَوْسَجَةَ إلى بَني حَارِثَة بنِ عَمْرٍو يَدعُوهُمْ إِلى الإِسْلامِ:

فَأَخَذُوا الصَّحِيفَةَ، فغَسَلُوهَا، ورَقَّعُوا بها أسْفَلَ دَلْوِهِمْ، وأَبَوا أنْ يُجِيبُوهُ، فَدَعَا عَلَيْهِمِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "مَا لَهُمْ؟ ذَهَبَ اللهُ بِعُقُولِهِم".

فاستَجَابَ اللهُ دُعَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ فَصَارُوا أَهْلَ سَفَهٍ، وَأهلَ رِعْدَةٍ (أي: اضطراب في أجسادهم)، وعَجَلَةٍ فِي كَلَامِهِمْ، وَكَلامٍ مُخْتَلَطٍ لَا يُفْهَمُ(2).

وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ قُطْبَةَ بنِ عَامرٍ إِلى خَثْعَمٍ بِنَاحيَةِ بِيشَةَ، فغَنِمُوا وأَسَرُوا(3).

وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ عُذْرَةَ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وأَسلَمُوا(4).

وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ الضَّحَّاكِ بنِ سُفيانَ الكِلَابيِّ إلى بَني كِلابٍ بالقُرَطَاءِ(5).

وَفِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ بَلِيٍّ، فنزَلُوا عَلى رُوَيفعِ بن ثابتٍ البَلَوِيِّ(6):

وقدم بهم رُوَيْفعُ رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فأسلموا.

---

(1) انظر: الطبقات الكبرى (2/160–161)، وسيرة ابن هشام (2/560–567).

(2) انظر: سبل الهدى (6/326)، و المعارف، لابن قتيبة، صـ (335)، وتاريخ الخميس (2/120).

(3) الطبقات (2/148) عيون الأثر (2/256) سبل الهدى (6/327).

(4) الطبقات (1/286).

(5) الطبقات (2/148) عيون الأثر (2/256) سبل الهدى (6/329).

(6) تاريخ الطبري (2/179) الطبقات (1/285).





وَفِي رَبِيعٍ الآخرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عَلْقَمَةَ بنِ مُجَزِّزٍ المُدْلَجِيِّ إلى الأَحْبَاشِ بجَدَّةَ، فَهَرَبُوا من المسلمين(1).

وَفِي رَبِيعٍ الآخرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عَليِّ بنِ أبي طَالِبٍ إِلى الفُلْسِ صَنَمِ طَيِّئٍ فَهَدَموا، وأسَرُوا، وغَنِموا(2).

وفي نفس الشهر بَعَث رَسُولُ اللهِ ﷺ عُكَّاشَةَ بْنَ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيَّ في سرية إِلَى الْجَنَابِ، أَرْضِ عُذْرَةَ وَبَلِيٍّ، وَهُمَا قَبِيلَتَانِ مِنْ قُضَاعَةَ(3).

---

(1) الطبقات (2/149) عيون الأثر (2/257) سبل الهدى (6/331).

(2) الطبقات (2/150) عيون الأثر (2/257) سبل الهدى (6/334).

(3) انظر: الطبقات الكبرى (2/164)، وسبل الهدى والرشاد (6/220). ولم يذكر أحد من أهل السير والمغازي –ممن وقفت على ذكرهم لهذه السرية– تفصيلات عنها.

{غزوة تبوك}

وَفِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ(1):

كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ فِي زَمَنِ عُسْرَةٍ مِنَ النَّاسِ وَجدْبٍ مِنَ الْبِلَادِ، وَحِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالنَّاسُ يُحِبُّونَ الْمُقَامَ فِي ثِمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ، وَيَكْرَهُونَ خُرُوجَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَلَّمَا يَخْرُجُ فِي غَزْوَةٍ إِلَّا كَنَّى عَنْهَا بِغَيْرِهَا، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ لِبُعْدِ المَسِيرِ، وَشِدَّةِ الزَّمَانِ، وهَذِهِ آخِرُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا(2).

بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ الرُّومَ قَدْ جَمَعَتْ جُمُوعًا كَثِيرَةً بِالشَّامِ، وَأَنَّ هِرَقْلَ قَدْ أَعْطَى جُنْدَهُ رِزْقَ سَنَةٍ، وَجَاءتْ مَعَهُ لَخْمٌ، وَجُذَامٌ، وَعَامِلَةُ، وَغسَّانُ، وَقَدَّمُوا مُقَدِّمَاتِهِمْ إِلَى الْبَلْقَاءِ.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَدَّ فِي سَفَرِهِ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ، وَحَضَّ أَهْلَ الْغِنَى عَلَى النَّفَقَةِ وَالْحِمْلَانِ (مصدر حمل: يراد بها ما يتحمل عليه من الدواب) فِي سَبِيلِ اللهِ، فَحَمَلَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى وَاحْتَسَبُوا، وَأَنْفَقَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي ذَلِكَ نَفَقَةً عَظِيمَةً لَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِثْلَهَا(3).

وقَدْ جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ، فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ"، قَالَهَا مَرَّتَيْنِ(4).

وَجَاءَ أَبُو مُوسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَحْمِلَهُمْ، فَوَجَدُوهُ غَضْبَانَ فقَالَ: "وَاللهِ لَا أَحْمِلُكُمْ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ".

ثُمَّ أُتِيَ رسُولُ اللهِ ﷺ بإِبِلٍ، فَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللهِ لَا يُبَارَكُ لَنَا، أَتَيْنَا النَّبِيَّ نَسْتَحْمِلُهُ فَحَلَفَ أَنْ لَا يَحْمِلَنَا، ثُمَّ حَمَلَنَا، فَارْجِعُوا بِنَا إِلَى النَّبِيِّ فَنُذَكِّرُهُ.

---

(1) الطبقات (2/150) تاريخ الطبري (2/181) البداية (5/3) شذرات (1/24).

(2) انظر: صحيح مسلم (2769)، وسيرة ابن هشام (2/516، 554).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (2/517–518).

(4) حسن: رواه الترمذي (3701)، عن عبد الرحمن بن سمرة.



فَأَتَيْنَاهُ، فَقَالَ ﷺ: "مَا أَنَا حَمَلْتُكُمْ، بَلِ اللهُ حَمَلَكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ – إِنْ شَاءَ اللهُ – لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ"(1).

وَجَاءَ الْبَكَّاءُونَ وَهُمْ سَبْعَةٌ يَسْتَحْمِلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، فَتَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَنْ لَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ"، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: " وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ"[التوبة: 92](2).

وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: " فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ"[التوبة: 81](3).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جِهَازِهِ للجَدِّ بنِ قيسٍ: «يَا جَدُّ هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟ (أي: قتال الروم)

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَتَأْذَنُ لِي وَلَا تَفْتِنِّي؟، فَوَاللهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ بِأَشَدَّ عَجَبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي، وَإِنِّي أَخْشَى إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ.

فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «قَدْ أَذِنْتُ لَكَ»، فَفِيهِ نَزَلَتِ الْآيَةُ: " وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ"[التوبة: 49](4).

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (6623)، ومسلم (1649)، عن أبي موسى الأشعري.

(2) انظر: سيرة ابن هشام (518/2).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (517/2).

(4) انظر: سيرة ابن هشام (516/2).



وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ؛ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ في التَّخلُّفِ، فَلَمْ يَعْذُرْهُمْ، وَهُمُ اثْنَانِ وَثَمَانُونَ رَجُلًا، وَكَانَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ ابنِ سَلولٍ قَدْ عَسْكَرَ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ (موضع في ناحية الشام، يمر به من توجه من المدينة إلى الشام) فِي حُلَفَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ، فَلَمَّا سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَخَلَّفَ عَبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ.

وَتَخَلَّفَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ، مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وهِلالُ بنُ أُمَيَّةَ، ومُرَارَةَ بنُ الرَّبِيعِ، وأبُو خَيثَمَةَ السَّالِمِيُّ، ثُمَّ لَحِقَهُ أبُو خَيثَمَةَ(1).

وَاسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيَّ(2).

وَخَلَّفَ ﷺ عَلِيًّا عَلَى أَهْلِهِ: الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: "أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي"(3).

وخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ثَلاثِينَ أَلْفًا مِنَ النَّاسِ، وَالْخَيْلُ عَشَرَةُ آلَافِ فَرَسٍ(4).

ولَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وهُو في طَرِيقِهِ إلى تَبُوكَ بِالْحِجْرِ بِدِيَارِ ثَمُودَ وَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَاسْتَعْجَلَ رَاحِلَتَهُ فِي المَسِيرِ، ثُمَّ قَالَ: "لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ"(5).

وَنَزَلَ النَّاسُ عَلَى الْحِجْرِ – أَرْضِ ثَمُودَ – فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا، وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ "فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ"(6). (أي ناقة صالح)

---

(1) انظر: زاد المعاد (3/463).

(2) انظر: زاد المعاد (3/463).

(3) متفق عليه: رواه البخاري (4416)، ومسلم (2404)، عن سعد بن أبي وقاص.

(4) انظر: الطبقات الكبرى (2/166)، وزاد المعاد (3/463).

(5) متفق عليه: رواه البخاري (4702)، ومسلم (2980)، وابن هشام في السيرة (2/522)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(6) متفق عليه: رواه البخاري (3379)، ومسلم (2981)، واللفظ له، عن ابن عمر رضي الله عنهما.





وَقَالَ: "لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا، وَلَا تَتَوَضَّئُوا مِنْهُ لِلصَّلَاةِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الْإِبِلَ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ".

فَفَعَلَ النَّاسُ إِلَّا أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ خَرَجَ أَحَدُهُمَا لِحَاجَتِهِ، وَخَرَجَ الْآخَرُ فِي طَلَبِ بَعِيرِهِ، فَأَمَّا الَّذِي خَرَجَ لِحَاجَتِهِ، فَإِنَّهُ صُرِعَ فِي المَوضِعِ الذِي تَغوَّطَ فِيهِ(1).

وَأَمَّا الَّذِي خَرَجَ فِي طَلَبِ بَعِيرِهِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ» فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ(2).

فَأُخْبِرُ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ لَا يَخْرُجَ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبُهُ؟"

ثُمَّ دَعَا لِلَّذِي صُرِعَ فَشُفِيَ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَهْدَتْهُ طَيِّئٌ لِرَسُولِ اللهِ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ(3).

وعَسْكَرَ الجَيشُ الإسلاميُّ بتَبوكَ، وهوَ مُسْتَعِدٌّ للقَاءِ العدوِّ، وقامَ رسولُ اللهِ ﷺ فيهمْ خطيبًا، فخطبَ خُطبةً بَليغةً، وحَضَّ على خيرِ الدُّنْيا والآخرةِ، وبشَّرَ وأَبْشرَ، وحَذَّرَ وأَنْذَرَ، حتَّى رفَع مَعنويَّاتِهِم، وجَبرَ بها ما كانَ فيهم من النَّقْصِ والخللِ من حيثُ قلةُ الزَّادِ والمَادةِ والمُؤنَةِ.

وأما الرُّومَانُ، وحُلَفاؤُهُم لمَّا سمِعُوا بزحفِ رسولِ اللهِ ﷺ أخذَهُم الرُّعبُ، فلمْ يَجْترِئُوا على التَّقدُّمِ واللِّقاءِ، بلْ تفرَّقوا في البِلادِ في داخلِ حُدودِهِم، فكانَ لذلكَ أحسنُ أثرٍ بالنسبةِ إلى سُمْعَةِ المُسلمينَ العَسكَريةِ، في دَاخلِ الجَزيرةِ وأرجائِها النَّائيةِ، وحَصَلَ بذلكَ المُسلِمونَ على مَكاسبَ سياسيةٍ كبيرةٍ خطيرةٍ، بمَا لم يكونُوا يَحصلُونَ عَليها لو وقعَ هُنَاكَ اصطدَامٌ بينَ الجَيشَينِ(4).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/521-522).

(2) صحيح: رواه مسلم (1392)، عن أبي حميد.

(3) انظر: سيرة ابن هشام (2/522).

(4) انظر: الرحيق المختوم، ص (372).



وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى تَبُوكَ، أَتَاهُ يُحَنَّةُ بْنُ رُؤْبَةَ، وَكَانَ مَلِكَ أَيْلَةَ (وهي: بلدة تقع في الأردن حاليا)، فَصَالَحَ رَسُولَ اللهِ وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ.

وأَتَى أَهْلُ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ (جرباء وأذرح: بلدتان تقعان في الأردن حاليا) إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَعْطَوْهُ الْجِزْيَةَ، فَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا، فَظَلَّ عِنْدَهُمْ(1).

وبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إلَى أُكَيْدِرِ دُومَةَ، رَجُلٍ مِنْ كِنْدَةَ كَانَ مَلِكًا عَلَيْهَا، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِخَالِدِ: "إنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ".

فخَرَجَ خَالِدٌ، حَتَّى إذَا كَانَ مِنْ حِصْنِ أُكَيْدِرَ بِمَنْظَرِ الْعَيْنِ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ صَائِفَةٍ، وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ، فَبَاتَتْ الْبَقَرُ تَحُكُّ بِقُرُونِهَا بَابَ الْقَصْرِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ؟

قَالَ: لَا وَاللهِ.

قَالَتْ: فَمَنْ يَتْرُكُ هَذِهِ؟

قَالَ: لَا أَحَدَ.

فَنَزَلَ، فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ، فَأُسْرِجَ لَهُ، وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فِيهِمْ أَخٌ لَهُ، فَرَكِبَ، وَخَرَجُوا مَعَهُ بِمُطَارِدِهِمْ (جمع مطرد، وهو: رمح صغير يُطرد به الوحش)، فَلَمَّا خَرَجُوا تَلَقَّتْهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخَذَتْهُ، وَقَتَلُوا أَخَاهُ.

وقدم خالد بِأُكَيْدِرَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَحَقَنَ لَهُ دَمَهُ، وَصَالَحَهُ عَلَى الْجِزْيَةِ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ، فَرَجَعَ إلَى قَرْيَتِهِ.

وَقَدْ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةً مِنْ سُنْدُسٍ (الحرير الخالص)، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَلْمِسُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا"(2).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (2/525).

(2) انظر: مسند أحمد (12223)، وسيرة ابن هشام (2/526)، وصحيح رواه البخاري (2615، 2616).



وصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ صَلَاةَ الْفَجْرِ خَلْفَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَدْرَكَ مَعَهُ الرَّكْعَةَ الثَّانِيَةَ مِنْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ذَهَبَ يَتَوَضَّأُ وَمَعَهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَأَبْطَأَ عَلَى النَّاسِ، فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَتَقَدَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَلَمَّا سَلَّمَ النَّاسُ أَعْظَمُوا مَا وَقَعَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَحْسَنْتُمْ وَأَصَبْتُمْ"(1).

وأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَبُوكَ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً يُقصر فيها الصلاة، ثُمَّ انْصَرَفَ قَافِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ(2).

ولَمَّا أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المَدِينَةِ قَالَ: "هَذِهِ طَابَةُ (من أسماء المدينة، ومعناه: الطيِّبة)، وَهَذَا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ(3).

واسْتَقْبَلَهُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، وهُمْ يَقُولُونَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْـــــنَا * مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعْ (ثنية الوداع موضع من ناحية الشام)

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا * مَا دَعَـــا للهِ دَاعْ(4).

---

(1) صحيح: رواه مسلم (274)، عن المغيرة بن شعبة.

(2) انظر: سيرة ابن هشام (527/2).

(3) متفق عليه: رواه البخاري (4422)، ومسلم (1392)، عن أبي حميد.

(4) انظر: دلائل النبوة، للبيهقي (226/5).

{قصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم}

يَقُصُّ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ قِصَّةَ تَخَلُّفِهِ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَيَقُولُ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ العَقَبَةِ (هي الليلة التي بايع رسول الله الأنصار فيها على الإسلام وأن يؤووه وينصروه، وهي العقبة التي في طرف منى التي يضاف إليها جمرة العقبة، وكانت بيعة العقبة مرتين في سنتين في السنة الأولى كانوا اثني عشر، وفي الثانية سبعين كلهم من الأنصار، وسبق الكلام على هذا في أول الكتاب)، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلَامِ، (أي: تعاهدنا على الإسلام) وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ (أي: أعظم) فِي النَّاسِ مِنْهَا.

كَانَ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ، فِي تِلْكَ الغَزَاةِ، وَاللهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا (أي: صحراء لا ماء فيها) وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ؛ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ -يُرِيدُ الدِّيوَانَ- (الديوان: أي الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء. وأول من دون الدواوين عمر، وهو فارسي معرب)

فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ

عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الجِدُّ (أي: غاية اجتهادهم للخروج)، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا (أي: خرجوا من المدينة) لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ (أي: فات علي وقت الخروج)، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ.

فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا (مطعونا في دينه بنفاقه) عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ.

وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: "مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟"

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ. (أي منعه من الخروج إعجابه بنفسه ولباسه. وبراده مثنى برد وهو الكساء. وعطفه هو الجانب)

فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ.

فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ.

وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ




وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: "مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟"

فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا (أي: فصاحة)، وَلَكِنِّي وَاللهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، لَا وَاللهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ".

فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ (وهم قومه) فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ، فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟

قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ، قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ.

فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟

قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ.

فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً.



فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟، ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ (حائط: أي: بستان) أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ، فَنَشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ، فَنَشَدْتُهُ.

فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ (أي: فلاح) مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلَاءِ (أي: اختبار)، فَتَيَمَّمْتُ (أي: قصدت) بِهَا التَّنُّورَ (الفرن الذي يُخبز فيه) فَسَجَرْتُهُ بِهَا. (أشعلته بها)

حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ (أي: لا تجامعها)، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟

قَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا.






وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الأَمْرِ.

فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ (لا يستطيع خدمة نفسه)، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟

قَالَ: "لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبْكِ".

قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا.

قال كعب: فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟

فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟

فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ (وهي في قوله تعالى: "وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ")، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ (صعد على حبل سلع، حبل في المدينة) بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ.

فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا،



بِبُشْرَاهُ وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ.

حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: رَسُولُ اللهِ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: "أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ". (أي: بأحسن يوم لك منذ أن ولدتك أمك)

قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟

قَالَ: "لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ".

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِ اللهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ".

قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيتُ.

فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ: "لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ"[التوبة: 117 - 119].

فَوَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ - شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ



إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ"[التوبة: 95 – 96].

وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ – تعالى –: "وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"[التوبة: 118]، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ(1).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ خالدِ بنِ الوليدِإلى خَثْعمٍ(2):

بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَاسٍ مِنْ خَثْعَمٍ، فَاعْتَصَمُوا بِالسُّجُودِ، فَقَتَلَهُمْ، فَوَدَاهُمْ رَسُولُ اللهِ بِنِصْفِ الدِّيَةِ، ثُمَّ قَالَ: "أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ أَقَامَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا". (والظاهر أنه أعطاهم نصف الدية لأنَّهم مقيمون مع المشركين)

وَفِي رَجبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَة: نَعَى النَّبِيُّ النَّجَاشِيَّ، وصَلَّى عليهِ صَلاةَ الغَائبِ، فَصَفَّ بِهِمْ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، وقال: "اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ"(3).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ عروةُ بنُ مَسعودٍ الثَّقَفيُّ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ورجعَ إلى الطائفِ، فَدَعا قومَه إلى الإسلامِ فقتَلُوهُ(4).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ: "إِنَّ مِثْلَهُ فِي قَوْمِهِ لَكَمِثْلِ صَاحِبِ يَاسِينَ فِي قَوْمِهِ"(5).

(1) متفق عليه: رواه البخاري (4418)، ومسلم (2769).

(2) سبل الهدى (376/6).

(3) متفق عليه: رواه البخاري (1333، 3880)، ومسلم (951)، عن أبي هريرة.

(4) تاريخ الطبري (179/2).

(5) انظر: سيرة ابن هشام (537/2–538).



وأَقَامَتْ ثَقِيفٌ بَعْدَ قَتْلِ عُرْوَةَ أَشْهُرًا، ثُمَّ إِنَّهُمْ ائْتَمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَرَأَوْا أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ فبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَسْلَمُوا.

لَمَّا فَرَغَ وَفْدُ ثَقِيفٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى بِلَادِهِمْ رَاجِعِينَ، بَعَثَ رَسُول الله ﷺ مَعَهُمْ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، لِهَدْمِ الطَّاغِيَةِ اللَّاتِ.

لَمَّا أَسْلَمَ أَهْلُ الطَّائِفِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ سِنًّا: "أُمَّ قَوْمَكَ".

وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَحْرَصَهُمْ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ(1).

وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَسُولُ مُلوكِ حِمْيَرَ مُقِرِّينَ بالإسلامِ(2):

والرسول هو: مَالِكُ بْنُ مُرَارَةَ، فسعد رسول الله ﷺ بالخبر وكتب لهم كتابا.

وفي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: مَاتَ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولٍ(3):

لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُول، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يُكَفِّنَ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟

فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟

فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ عُمَرُ، تَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: "إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ، فَقَالَ: "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ"[التوبة: 80].

---

(1) صحيح: رواه مسلم (468)، عن عثمان بن أبي العاص، وانظر: سيرة ابن هشام (2/540).

(2) تاريخ الطبري (2/191) الطبقات (1/306).

(3) تاريخ الطبري (2/190) شذرات الذهب (1/24).



"لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهِ".

قَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ.

فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةٌ: "وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ * وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ[التوبة: 84 – 85](1).

وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: حجَّ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بالناسِ بأمرِ رسولِ اللهِ ﷺ(2):

وَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ أَبَا هُرَيْرَةَ فِي تِلْكَ الحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ، يُؤَذِّنُونَ بِمِنًى: "أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ"(3).

ولَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ ليحج بالناس نَزَلَتْ عَلَيهِ "بَرَآءَة" فِي نَقْضِ مَا بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَهْدِ، الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ: أَنْ لَا يُصَدَّ عَنِ الْبَيْتِ أَحَدٌ جَاءَهُ، وَلَا يَخَافُ أَحَدٌ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ.

فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ بَعَثْتَ بِهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ.

فَقَالَ: "لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي".

وقال له: "اخْرُجْ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةٍ، (أول براءة) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ إِذَا اجْتَمَعُوا بِمِنًى، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ".

ففعل(4).

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (1366)، عن عمر، ومسلم (2400)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(2) تاريخ الطبري (192/2) عيون الأثر (284/2) شذرات الذهب (24/1).

(3) متفق عليه: رواه البخاري (369)، ومسلم (1347)، عن أبي هريرة.

(4) انظر: صحيح البخاري (369)، عن أبي هريرة.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قُتلَ مَلِكُ الفُرسِ، ومَلَّكُوا ابْنَتَه (بُورَانَ) عَليهِم، فَقَال رسولُ اللهِ ﷺ: "لَنْ يُفْلِحَ قَومٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً"(1):

فكان كما قال رسول الله ﷺ، فضَعُفَ سُلْطَانُ فَارسٍ، واضْمَحَلَّ أَمْرُهُمْ، فَسَقَطَ سُلْطَانُهُمْ(2).

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ ضِمَامُ بنُ ثَعْلبَةَ عَلى رَسُولِ اللهِ فأَسْلَمَ، ثمَّ عادَ إلى قومِهِ، فدَعَاهُم إلى الإسلامِ، فمَا أَمْسَى ذلكَ اليومَ في حاضِرِه رَجُلٌ ولا امْرأَةٌ إلَّا مُسلِمًا(3):

بَعَثَ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ.

فدَخَلَ المَسْجِدَ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ فِي المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئٌ بَينَ أَصْحَابِهِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟

فَقَالوا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ المُتَّكِئُ.

فَقَالَ لَهُ ضِمَامٌ: يَا ابْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "قَدْ أَجَبْتُكَ". (أي: قد سمعتك)

فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي المَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟

فَقَالَ ﷺ: "سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ".

فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، اللهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اللهُمَّ نَعَمْ"(4).

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، اللهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟

فَقَالَ ﷺ: "اللهُمَّ نَعَمْ".

---

(1) شذرات الذهب (24/1) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (7099).

(2) انظر: الأخبار الطوال، للدينوري، ص (111).

(3) تاريخ الطبري (192/2) عيون الأثر (288/2).

(4) الجواب حصل بنعم، وإنما ذكر «اللهم» تبركا بها، وكأنه استشهد بالله في ذلك تأكيدا؛ لصدقه. انظر: فتح الباري (151/1).

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، اللهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟

فَقَالَ ﷺ: "اللهُمَّ نَعَمْ".

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، اللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اللهُمَّ نَعَمْ".

فَقَالَ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ.

فانصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ"(1).

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَن قَالَ: بِئْسَتِ اللَّاتُ وَالْعُزَّى.

قَالُوا: مَهْ يَا ضِمَامُ! اتَّقِ الْبَرَصَ، اتَّقِ الْجُذَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ.

قَالَ: وَيْلَكُمْ! إِنَّهُمَا وَاللهِ لَا يَضُرَّانِ وَلَا يَنْفَعَانِ، إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا أَسْتَنْقِذُكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنهُ.

فَمَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي حَيِّهِ رَجُلٌ، وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا سَمِعْنَا بِوَافِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْن ثَعْلَبَةَ(2).

وتوالت الوفود على رسول الله ﷺ يعلنون إسلامهم:

فَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ الدَّارِيِّينَ مِنْ لَخمٍ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ يعلنون إسلامهم(3).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ بَنِي البَكَّاءِ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ يعلنون إسلامهم(4).

---

(1) صحيح: رواه البخاري (46، 63)، عن أنس.

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/573-575).

(3) تاريخ الطبري (2/179) الطبقات (1/296).

(4) تاريخ الطبري (2/191) الطبقات (1/262).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ بَني فَزَارَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مقرّين بالإسلام(1).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ ثَعْلَبَة بنِ مُنْقِذٍ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ يعلنون إسلامهم(2).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ سَعْدِ هُذَيمٍ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ يعلنون إسلامهم(3).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ مُرَّةَ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ يعلنون إسلامهم(4).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ كِلَابٍ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ يعلنون إسلامهم(5).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ تُجِيبَ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ يعلنون إسلامهم(6).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ خَالدِ بنِ سعيدِ بنِ العَاصِ إِلى اليَمنِ(7).

وَجَّهَ رَسُولُ الله ﷺ عليَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَخَالدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ العاصِ إِلَى اليَمَنِ، وقَالَ: "إِذَا اجْتَمَعْتُمَا فَعَلِيٌّ الأَمِيرُ، وَإِذَا افْتَرَقْتُمَا فَكلُّ وَاحِدٍ مِنكُمَا أَمِيرٌ".

فاجْتَمَعَا، وبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرَو بْنَ مَعدِ يَكْرِبَ، فَأَقْبَلَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قومِهِ، فَلمَّا دنَا مِنهم، قَالَ: دَعُوني حَتَّى آتِي هَؤُلَاءِ القَومَ، فَإِنِّي لمْ أُسَمَّ لأَحدٍ قَطْ إلَّا هَابَني، فلمَّا دَنَا مِنْهمَا نَادَى: أَنَا أَبُو ثَورٍ، أَنَا عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يَكْرِبَ.

فَأَسْرَعَ إِلَيهِ عليٌّ وخَالدٌ، وكلُّ وَاحدٍ مِنهُمَا يَقُولُ لصَاحِبِهِ: خَلِّني وَإِيَّاهُ، ويَفْدِيهِ بِأَبِيهِ وأمِّهِ.

فَقَالَ عَمْرٌو لَمَّا سَمِعَ قَولهُمَا: العَربُ تَفْزعُ مِني، وَأُرَاني لِهَؤلَاءِ جَزَرًا (أي: مذبوحا)، فَانْصرَفَ عَنْهُمَا(8).

---

(1) تاريخ الطبري (191/2) الطبقات (257/1).
(2) تاريخ الطبري (191/2).
(3) تاريخ الطبري (191/2) الطبقات (284/1).
(4) الطبقات (257/1).
(5) الطبقات (259/1).
(6) الطبقات (279/1).
(7) أسد الغابة (132/4) الإصابة (5965) سبل الهدى (374/6).
(8) انظر: الاستيعاب (1204/2)، وأُسْد الغابة (771/3)، والإصابة (569/4).




الفصل الثاني عشر
السنة العاشرة من الهجرة





فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ العاشرة من الهجرة: كَانَتْ سَرِيَّةُ خَالدِ بنِ الوليدِ إلى بَني الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بِنَجْرَانَ(1):

فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا دون قتال، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام والكتاب والسنَّة، كما أمره رسول الله(2).

وَفِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ خَوْلَانَ على رسولِ اللهِ ﷺ مُؤمنينَ مصدِّقِينَ(3).

وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ غَامِدٍ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ مقرين بالإسلام(4).

وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: اعْتكفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِشرِينَ يومًا، وعارضَهُ جبريلُ بالقُرآنِ مَرَّتَينِ(5):

وكان النبي ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا، وَكَانَ جِبْرِيلُ علليه السلام يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ القُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا اقْتَرَبَ أَجَلُ النَّبِيِّ ﷺ عَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ(6).

وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ غَسَّانَ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ مقرِّين بالإسلام(7).

وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةُ عليِّ بنِ أَبي طَالبٍ إلى اليَمنِ، فأسْلَمتْ على يدِهِ هَمَدَانُ كلُّها في يومٍ وَاحدٍ(8):

وقد كان خالد بن الوليد بينهم ستَّة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه.

---

(1) الطبقات (154/2) تاريخ الطبري (194/2) عيون الأثر (305/2) الكامل (162/2) مغازي الذهبي (690) سبل الهدى (354/6).

(2) انظر: سيرة ابن هشام (592/2–593).

(3) تاريخ الطبري (200/2) عيون الأثر (316/2) الكامل (166/2).

(4) تاريخ الطبري (196/2) عيون الأثر (322/2).

(5) مسند أحمد (8081) وصحيح البخاري (2044) وابن ماجه (1769).

(6) انظر: صحيح: البخاري (2044)، (4998)، ومسلم (2450).

(7) تاريخ الطبري (196/2) عيون الأثر (321/2) الكامل (163/2).

(8) الطبقات (154/2) تاريخ الطبري (197/2).



وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِم جَرِيرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَليُّ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ فبَعثه إلى ذِي الخَلَصَةِ فهدَمهَا(1):

وذي الخصلة كانَ بَيْتًا تُعظِّمُهُ دَوْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

وَفِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: كَانتْ سَرِيَّةُ عليِّ بنِ أَبي طَالبٍ إلى اليَمنِ المَرة الثَّانِيةَ(2):

فخَرَجَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ، وَكَانتْ أَوَّلَ خَيْلٍ دَخلَتْ بِلَادَ مَذْحِجٍ، ففَرَّقَ أَصْحَابَهُ، فَأَتَوْا بِغنَائِمَ شَتَّى, ثُمَّ لَقِيَ جَمْعَهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَبَوْا ورَمَوْا بِالنَّبْلِ وَالْحِجارَةِ, ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ عَلِيٌّ بِأَصْحابِهِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عِشْرِينَ رَجُلًا، فَتَفرَّقُوا وَانْهَزَمُوا, فَكَفَّ عَنْ طَلَبِهِمْ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَجَابُوهُ، وَبَايَعَهُ نَفَرٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَقَالُوا: هَذِهِ صَدَقَاتُنَا فَخُذْ مِنْهَا حَقَّ اللهِ.

وَفِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ سَلَامَانَ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ مقرين بالإسلام(3).

وَفِي هَذه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ قُشَيرِ بنِ كَعبٍ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ معلنين إسلامهم(4).

وَفِي هَذه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ الرَّهَاوِيِّينَ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ مقرين بالإسلام(5).

---

(1) تاريخ الطبري (2/209) الكامل (2/173) شذرات الذهب (1/25).

(2) سبل الهدى (6/362).

(3) تاريخ الطبري (2/196) عيون الأثر (2/321) الكامل (2/163).

(4) الطبقات (1/262).

(5) الكامل في التاريخ (2/166).



{حجَّة الوداع}

وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: حجَّ النبيُّ ﷺ حَجة الوَدَاعِ(1):

مَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَمَرَ المُنادِي أَنْ يُؤَذِّنَ في النَّاسِ أَنَّهُ حَاجٌّ فِي هَذَا العَامِ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجُوا مَعَهُ فِي الخامسِ والعِشرينَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ، حَتَّى أَتوا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَنَزَلَ بِهَا فَصَلَّى الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا وَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعَشَاءَ وَالصُّبْحَ وَالظُّهْرَ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ زَوْجَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كَيْفَ أَصْنَعُ؟

قَالَ: "اغْتَسِلِي، وَاسْتَثْفِرِي (أي: ضعي خرقة عريضة على محل الدم) بِثَوْبٍ، وَأَحْرِمِي".

فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ فِي مَسْجِدِ ذِي الْحُلَيْفَةِ، ثُمَّ رَكِبَ نَاقَتَهُ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، والنَّاسُ حَوْلَهُ إِلَى مَدِّ البَصَرِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، مِنْ أَمَامِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ يَسَارِهِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ.

فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ (أي: رفع صوته بالتوحيد): «لَبَّيْكَ (أي: إجابة بعد إجابة) اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ»، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ (أي يزيدون وينقصون على ما قال فلم ينكر عليهم)، وَلَزِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَلْبِيَتَهُ.

وَالنَّاسُ لَا يَنْوونَ إِلَّا الْحَجَّ، وَلا يَعْرِفونَ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، حَتَّى إِذَا أَتَوْا الْبَيْتَ مَعَ النَّبيِّ لِأَرْبَعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الحَجَّةِ، فَاسْتَلَمَ الحَجَرَ الأَسْوَدَ، وَقَبَّلَهُ، فَرَمَلَ (مشى بسرعة) ثَلَاثًا، وَمَشَى أَرْبَعًا.

---

(1) صحيح مسلم (1297) الطبقات (157/2) تاريخ الطبري (204/2) الدرر (275) الكامل (170/2) شذرات الذهب (25/1).



ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ فقرأ: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ"[البقرة: 125]، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَقَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى بالإخلاص، وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ بالكافرون.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الحَجَرِ الأَسْوَدِ، فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ بَابِ الصَّفَا إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ"[البقرة: 158]، وَقَالَ: «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ»، فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَصَعِدَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ودَعَا، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْحَدَرَتْ قَدَمَاهُ فِي الْمَسْعَى سَعَى، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَتْ قَدَمَاهُ عَنِ الْمَسْعَى مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ، فَقَالَ ﷺ: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً (أي: لما جعلت علي هديا وأشعرته وقلدته وسقته بين يدي، فإنه إذا ساق الهدي لا يحل حتى ينحر، ولا ينحر إلا يوم النحر، فلا يصح له فسخ الحج بعمرة، بخلاف من لم يسق إذ يجوز له فسخ الحج)، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ وَلْيَجْعَلْهَا (فليحل: أي فليخرج من إحرامه بعد فراغه من أفعال العمرة) عُمْرَةً.

فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِأَبَدٍ؟ (أي الإتيان بالعمرة في أشهر الحج، أو مع الحج يختص هذه السنة؟)

فَشَبَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ: «دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ» مَرَّتَيْنِ "لَا بَلْ لِأَبَدِ أَبَدٍ"(1). (أي تجوز العمرة في أشهر الحج إلى يوم القيامة، والمقصود إبطال ما زعمه أهل الجاهلية من أن العمرة لا تجوز في أشهر الحج)

وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُدْنِ النَّبِيِّ ﷺ (جمع بدنة، وهي الناقة. والمراد هنا: ما يتقرب بذبحه لله تعالى من الإبل) فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِمَّنْ حَلَّ، وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا، وَاكْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا.

قَالَ عَلِيٌّ: فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ (محرشا: التحريش الإغراء، والمراد هنا: أن يذكر له ما يقتضي عتابها) لِلَّذِي صَنَعَتْ، مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا.

فَقَالَ: "صَدَقَتْ صَدَقَتْ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟"

قَالَ: قُلْتُ: اللهُمَّ، إِنِّي أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ.

قَالَ: "فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ، فَلَا تَحِلَّ".

فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ، وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِائَةً.

فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا (شعورهم مع أنَّ الحلق أفضل)، إِلَّا النَّبِيَّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى، فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ.

ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِخَيْمَةٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ (موضع بجنب عرفات، وليست من عرفات)، فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (1545)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (1218)، عن جابر واللفظ له.

الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الخَيْمَةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَنَزَلَ بِهَا، حَتَّى إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ عَنْ كَبَدِ السَّمَاءِ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ، فَوُضِعَ لَهُ عَلَيهَا الرَّحْلُ(1).

فَأَتَى وَادِيَ عُرَنَةَ، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ (أي: باطل)، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا: رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ (أي: بقوله تعالى: "فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ"[النساء: 3])، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ،(أي أن لا يأْذنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلا أجنبيا، أو امرأة، أو أحد من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك) فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي (أي: عن تبليغي رسالة ربي)، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟

قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ.

فَرَفَعَ إِصْبَعَهُ السَّبَّابَةَ إِلَى السَّمَاءِ، وَيُشِيرُ بِهَا إِلَى النَّاسِ «اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

(1) ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام: كانت قريش في الجاهلية تقف بالمشعر الحرام، وهو جبل في المزدلفة، وقيل: إن المشعر الحرام كل المزدلفة، وكان سائر العرب يتجاوزون المزدلفة ويقفون بعرفات، فظنت قريش أن النبي يقف في المشعر الحرام على عادتهم ولا يتجاوزه، فتجاوزه النبي ﷺ إلى عرفات؛ لأن الله تعالى أمره بذلك في قوله تعالى: "ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[البقرة: 199]، أي سائر العرب غير قريش، وإنما كانت قريش تقف بالمزدلفة؛ لأنها من الحرم، وكانوا يقولون: نحن أهل حرم الله، فلا نخرج منه، فأجاز: أي جاوز المزدلفة، ولم يقف بها بل توجه إلى عرفات.



ثُمَّ أَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ (الصخرات: هن حجرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة، وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات)، وَجَعَلَ مُجْتَمَعَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا، حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ(1).

وَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعرَفَاتٍ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمسِ نَزَلَ عَلَيهِ قَولُهُ تَعَالَى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا"[المائدة: 3](2).

ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ ضَيَّقَ وَضَمَّ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ (أي الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل، وهذا لكي لا تسرع)، وَيُشِيرُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى «أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ»، كُلَّمَا أَتَى تَلًّا مِنَ الرِّمَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا، حَتَّى تَصْعَدَ، حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا مِنَ النَّوافِلِ.

ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ.

ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَضَاءَ الفَجْرُ جِدًّا.

فَمَضى قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ، حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ (موضع بين مزدلفة، ومنى)، فَأَسْرَعَ فِيهِ، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى، حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا مِثْلَ حَصَى الْخَذْفِ (أي: الرمي)، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي (رمى من بطن الوادي: أي جمرة العقبة)

(1) متفق عليه: رواه البخاري (1545)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (1218)، عن جابر واللفظ له.

(2) متفق عليه: رواه البخاري (7268)، ومسلم (3017)، عن عمر.

ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ (موضع النحر)، **فَنَحَرَ ﷺ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا، فَنَحَرَ مَا بَقِيَ مِنَ المَائَةِ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِقِطْعَةٍ لَحْمٍ، فَجُعِلَتْ فِي إِنَاءٍ، فَطُبِخَتْ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا، وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا.**

ثُمَّ رَكِبَ ﷺ فأَتى الكَعْبَةَ فَطَافَ طَوَافَ الإِفاضَةِ، ثُمَّ صَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ، فَقَالَ ﷺ: "انْزِعُوا (أي: الماء)**، بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ** (يريد بني العباس بن عبد المطلب)**، فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ"** (فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم: أي لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج، فيزدحمون عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم لكثرة فضيلة هذا الاستقاء)

فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ(1).

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِنًى، فَمَكَثَ بِهَا لَيَالِيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ يَرْمِي الْجَمْرَةَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ كُلُّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِنًى مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ، فَبَاتَ بِهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ انْتَظَرَ زَوَالَ الشَّمْسِ، فَلَمَّا زَالَتْ مَشَى مِنْ رَحْلِهِ إِلَى الْجِمَارِ وَلَمْ يَرْكَبْ، فَبَدَأَ بِالْجَمْرَةِ الْأُولَى الَّتِي تَلِيَ مَسْجِدَ الْخَيْفِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ، يَقُولُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ: "اللهُ أَكْبَرُ".

ثُمَّ تَقَدَّمَ عَلَى الْجَمْرَةِ أَمَامَهَا، فَقَامَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعَا دُعَاءً طَوِيلًا بِقَدْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ أَتَى إِلَى الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى، فَرَمَاهَا كَذَلِكَ، ثُمَّ انْحَدَرَ ذَاتَ الْيَسَارِ مِمَّا يَلِي الْوَادِي، فَوَقَفَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ رَافِعًا يَدَيْهِ يَدْعُو قَرِيبًا مِنْ وُقُوفِهِ الْأَوَّلِ.

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (1545)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (1218)، عن جابر واللفظ له.



ثُمَّ أَتَى الْجَمْرَةَ الثَّالِثَةَ وَهِيَ جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ، فَجَعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ، وَمِنًى عَنْ يَمِينِهِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ كَذَلِكَ، فَلَمَّا أَكْمَلَ الرَّمْيَ رَجَعَ مِنْ فَوْرِهِ، وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَهَا.

وَلَمْ يَتَعَجَّلْ النبي ﷺ فِي يَوْمَيْنِ، بَلْ تَأَخَّرَ حَتَّى أَكْمَلَ رَمْيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ الثَّلَاثَةِ، وَأَفَاضَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ بَعْدَ الظُّهْرِ إِلَى الْمُحَصَّبِ، وَهُوَ الْأَبْطَحُ، وَهُوَ خَيْفُ بَنِي كِنَانَةَ، فَوَجَدَ أبا رافع قَدْ ضَرَبَ لَهُ فِيهِ قُبَّةً هُنَاكَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ، وَرَقَدَ رَقْدَةً، ثُمَّ نَهَضَ إِلَى مَكَّةَ، فَطَافَ لِلْوَدَاعِ لَيْلًا سَحَرًا، وَلَمْ يَرْمُلْ فِي هَذَا الطَّوَافِ. ثُمَّ ارْتَحَلَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ(1).

وَفِي ذِي الحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: ادَّعى مُسَيلِمةُ الكذَّابُ النُّبُوَّةَ، فَرأى رسولُ اللهِ ﷺ رؤْيَا فيهِ وَفِي الأَسْودِ العَنْسِيِّ، فَتحَقَّقَتْ(2):

بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ نَائِمٌ أُتِيَ بِخَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَ فِي كَفَّيهِ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَكَبُرَا وَعَظُمَا عَلَيهِ، وَكَرِهَهُمَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيهِ أَنْ يَنْفُخْهُمَا، فَنَفَخَهُمَا فَذَهَبَا، فَأَوَّلَهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ أَحَدُهُمَا العَنْسِيُّ، وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةُ(3).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ الأزدِ بِقيادةِ صُرَدِ بنِ عبدِ اللهِ الأَزديِّ، وَوَفْدُ زُبَيدٍ، وَوَفْدُ عَبدِ القيسِ القَدْمَةَ الثَّانِيةَ(4).

---

(1) انظر: زاد المعاد (2/263-275).

(2) تاريخ الطبري (2/203) الكامل (2/167).

(3) متفق عليه: رواه البخاري (4374، 4379)، ومسلم (2274)، عن أبي هريرة، وابن عباس.

(4) الطبقات (2/196) الكامل (2/163) مغازي الذهبي (689)، وتاريخ الطبري (2/197) عيون الأثر (2/299) الكامل (2/166) تاريخ الطبري (2/199) عيون الأثر (2/298) الكامل (2/164) مغازي الذهبي (689) تاريخ الطبري (2/199) عيون الأثر (2/290) الكامل (2/166) مغازي الذهبي (682).



وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ بَني حَنِيفَةَ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ وَفِيهِمْ مُسَيلِمَةُ الكَذَّابُ(1):

قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفْدُ كَثِيرٌ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، فِيهِمْ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ.

فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: "لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ القِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ".

وَهَذَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، وَسَيُجِيبُكَ عَنِّي، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ(1).

ثُمَّ رَجَعُوا إِلى بِلَادِهِمْ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيهَا ارْتَدَّ عَدُوُّ اللهِ مُسَيلِمَةُ، وَتَنَبَّأَ وَتَكَذَّبَ لَهُمْ، وَقَالَ: إِنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ فِي النُّبُوَّةِ مَعَهُ.

ثُمَّ جَعَلَ يَسْجَعُ لَهُمْ الْأَسَاجِيعَ، وَيَقُولُ لَهُمْ فِيمَا يَقُولُ مُضَاهَاةً لِلْقُرْآنِ: «لَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَى الْحُبْلَى، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَسْعَى، مِنْ بَيْنَ صِفَاقٍ، وَحَشَى.

وَأَحَلَّ لَهُمْ الْخَمْرَ وَالزِّنَا، وَوَضَعَ عَنْهُمْ الصَّلَاةَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَشْهَدُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ، فاجْتَمَعَتْ مَعَهُ بَنُو حَنِيفَةَ عَلَى ذَلِكَ(2).

وقتلهُ وحشي في معركة اليمامة في السنَّة الثانية عشرة من الهجرة في خلافة أبي بكر في حرب الردَّة، وكان وحشي قد أسلم في حياة رسول الله ﷺ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ الشَّقِيَّانِ: عَامِرُ بنُ الطُّفَيلِ، وأَرْبَدُ بنُ قَيسِ بنِ جَزْءٍ على النَّبيِّ ﷺ للغدرِ بِه، فدَعَا عَلَيهِمَا، فَطُعِنَ أحَدُهُمَا، وصُعِقَ الآخرُ(3).

(1) البخاري (3620، 4378)، ومسلم (2273)، عن ابن عباس.

(2) انظر: سيرة ابن هشام (2/576-577).

(3) انظر: سيرة ابن هشام (2/569) تاريخ الطبري (2/202) الكامل (2/166).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ طَيِّءٍ على رسولِ اللهِ ﷺ وَفيهمْ زَيدُ الخيلِ فأسْلَموا، فسمَّاه الرسول ﷺ زيد الخير(1).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَبَرُ بنُ يُحَنِّس عَلى الأَبْناءِ بِاليَمنِ يدْعُوهُمْ إِلى الإسلامِ، فأسلمَ فَيروزُ الدَّيْلَميُّ، ووهبُ بنُ مُنبِّهٍ، وعطاءُ بنُ مَرْكَبُودٍ وغيرُهُم(2).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: أَسلَم (بَاذَانُ) مَلِكُ اليَمنِ، وبعثَ إلى النَّبيِّ ﷺ بإسلامِهِ، فأقرَّهُ النَّبيُّ ﷺ على اليَمنِ(3).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ كِنْدَةَ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ وَفِيهمْ الأشعثُ بنُ قَيسٍ الكِنْدِيُّ فأسْلَمُوا(4).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ مُحَارِبٍ على رسولِ اللهِ ﷺ فأسلموا(5).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ عَنْسٍ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ فأسلموا(6).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ الصَّدِفِ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ(7).

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: كَانَتْ سَرِيَّةٌ إلى رِعيةَ السُّحيميِّ الَّذي رَقَّعَ بِكِتَابِ النَّبيِّ ﷺ دَلْوَه(8):

فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً، فَلَمْ يَدَعُوا لَهُ رَائِحَةً، وَلَا سَارِحَةً، وَلَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا إِلَّا أَخَذُوهُ، حتى خرج عريانا على فرس لا ثياب عليه.

وَفِي هَذِه السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ بُجَيلَةَ عَلى رسولِ اللهِ ﷺ فأسلموا(9).

---

(1) تاريخ الطبري (2/203) عيون الأثر (2/294) الكامل (2/167) مغازي الذهبي (686).

(2) تاريخ الطبري (2/209).

(3) تاريخ الطبري (2/209) الكامل (2/173).

(4) عيون الأثر (2/301) الكامل (2/166) مغازي الذهبي (689).

(5) عيون الأثر (2/318) الكامل (2/166).

(6) الكامل في التاريخ (2/166).

(7) السابق.

(8) مسند أحمد (22465، 22466) ط. رسالة، وقال الحافظ في الإصابة (3/487):إسناده صالح، وانظر معجم الصحابة لابن قانع (1/215).

(9) الطبقات (1/299).




الفصل الثالث عشر
السنة الحادية عشرة من الهجرة






في المُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ الحادية عشرة من الهجرة: ظَهرَ الأسودُ العَنسيُّ الكَذَّابُ باليَمنِ، فادَّعَى النُّبوَّةَ ﷺ ودَانتْ لهُ نَجرانُ وصَنعاءُ، وعَظُمَتْ فِتْنَتُهُ(1):

ادَّعَى الأَسْوَدُ العَنْسِيُّ النُّبُوَّةَ، وَاجْتَمع مَعَهُ سَبْعُمِائَةِ مُقَاتِلٍ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيهِ مَا أَخَذُوهُ.

ثُمَّ تَوجَّهَ إِلَى نَجْرَانَ، فاسْتَولَى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَصَدَ إِلَى صَنْعَاءَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ شَهْرُ بْنُ بَاذَامَ فَتقَاتَلَا، فَغَلَبَهُ الْأَسْوَدُ وَقَتَلَهُ، وَاحْتَلَّ بَلْدَةَ صَنْعَاءَ.

وَتَزَوَّجَ امْرَأَةَ شَهْرِ بْنِ بَاذَامَ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّ فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ، وَكَانَتْ مُؤْمِنَةً بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمِنَ الصَّالِحَاتِ.

وَلَحِقَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، فَذَهَبَا إِلَى حَضْرَمَوْتَ، وَانْحَازَ عُمَّالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الطَّاهِرِ(2) وَرَجَعَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاسْتَوْثَقَتِ الْيَمَنُ بِكَمَالِهَا لِلْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ، وَجَعَلَ أَمْرُهُ يَسْتَطِيرُ اسْتِطَارَةَ الشَّرَارَةِ، وَكَانَ جَيْشُهُ يَوْمَ لَقِيَ شَهْرًا سَبْعَمِائَةِ فَارِسٍ، وَاشْتَدَّ مُلْكُهُ، وَاسْتَغْلَظَ أَمْرُهُ، وَارْتَدَّ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَعَامَلَهُ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ هُنَاكَ بِالتَّقِيَّةِ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كِتَابَهُ مَعَ وَبَرِ بْنِ يُحَنِّسَ الدَّيْلَمِيِّ حِينَ بَلَغَهُ خَبَرُ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ يَأْمُرُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُنَاكَ بِمُقَاتَلَةِ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ، وَقَامَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِهَذَا الْكِتَابِ أَتَمَّ الْقِيَامِ، وَبَلَّغَ هَذَا الْكِتَابَ إِلَى عُمَّالِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ.

(1) تاريخ الطبري (2/244، 247) البداية (7/94، 95).

(2) (هو ابن أبي هالة، أرسله النبي إلى اليمن مع أبي موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل، وعكاشة بن ثور، وخالد بن سعيد، فكانَ أميرًا على عَكٍّ وَالأَشْعَرِيِّينَ. وأمه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وابن أبي هالة أبوه كان زوجا لخديجةَ رضي الله عنها. انظر: تاريخ الطبري (3/228)، وإمتاع الأسماع (14/225)، والاستيعاب (2/775)).

(3) انظر: البداية والنهاية (9/429-431).

في المُحرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: قَدِمَ وَفْدُ النَّخعِ علَى رَسولِ اللهِ ﷺ مقرين بالإسلام، وَهُمْ آخِرُ الْوُفُودِ قُدُومًا عَلَيْهِ(1).

وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: أَمَّرَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَلى سَرِيةٍ لِغَزْوِ الشَّامِ، فَتوقَّفَ بِالجُرْفِ لِمَرضِ رسولِ اللهِ ﷺ(2).

وَفِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: خَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في جوفِ الليلِ، فَاستَغْفَرَ لأَهلِ البَقيعِ كالمُودِّعِ لَهُمْ(3).

وَفِي أواخِرِ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: بَدَأَ المَرَضُ بِرسولِ اللهِ ﷺ(4).

وَفِي رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: اشْتدَّ وَجعُ رسولِ اللهِ ﷺ وهُو في بيتِ مَيمُونةَ رضي الله عنها، فدَعَا نِسَاءَهُ رضي الله عنهن، فاسْتَأْذَنَهُنَّ أَنْ يُمَرَّضَ في بيتِ عَائشةَ رضي الله عنها فَأَذِنَّ لهُ(5).

وَفِي رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: وَقَبلَ أَنْ يَتوفَّى رسولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسٍ خطبَ في النَّاسِ، فبَينَ فَضْلَ أبي بكرٍ وأَوْصَى بالأنصَارِ خيرًا، وحذَّرَ مِنِ اتِّخَاذِ القُبورِ مَسَاجِدَ(6):

دَخلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ عَائِشَةَ؛ لِيُمَرَّضَ فِيهِ، فَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ المَرَضُ جَعلَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً (أي كساء مربعا أسود له أعلام أي خطوط) لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ كَذَلِكَ «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا(7).

---

(1) الطبقات (1/298).

(2) الطبقات (2/170) تاريخ الطبري (2/224) البداية (7/92).

(3) حسن: أخرجه أحمد (3/489) بسند حسن، وراجع تاريخ الطبري (2/226) البداية (5/327).

(4) تاريخ الطبري (2/224، 226).

(5) صحيح البخاري (4442) صحيح مسلم (418) تاريخ الطبري (2/226) البداية (5/329).

(6) صحيح مسلم (532) البيهقي في الدلائل (7/176).

(7) متفق عليه: رواه البخاري (435)، ومسلم (531)، عن عائشة رضي الله عنها.

وَفي يومِ الأَرْبِعاءِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ فَقَالَ ﷺ: "هَرِيقُوا عَلَيَّ مِن سَبْعِ قِرَبٍ، لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ".

فَأَجْلَسُوهُ فِي مِخْضَبٍ (طست) لِحَفْصَةَ زَوْجِهِ ثُمَّ طَفِقْنَ نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ القِرَبِ، حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ، "أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ"(1).

فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ (حاشية برد: أي طرفه، والبرد: كساء مربع)، فَصَلَّى، وَصَعِدَ المِنْبَرَ، وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْمِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي، وَعَيْبَتِي (أي: بطانتي وخاصتي وموضع سري وأمانتي. والكرش للحيوان بمنزلة المعدة للإنسان، والعيبة مستودع الثياب)، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ(2).

أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ(3).

إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا (أي: نعيمها) مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ".

فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لَهُ، وَقَالُوا: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا، وَأُمَّهَاتِنَا.

فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ المُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَهُمْ بِهِ.

(1) متفق عليه: رواه البخاري (4442، 4450)، ومسلم (2443، 532)، عن عائشة رضي الله عنها.

(2) متفق عليه: رواه البخاري (3799)، ومسلم (2510)، عن أنس.

(3) صحيح: رواه مسلم (532)، عن جندب.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهِ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خُلَّةَ الإِسْلَامِ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ (يريد أبواب المنازل) إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ(1).

وبعدها اشْتَدَّ مَرَضُ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ صَلَاةِ العِشَاءِ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الخُرُوجَ للصَّلَاةِ، فَقَالَ: "أَصَلَّى النَّاسُ؟"

فَقَالُوا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ.

قَالَ ﷺ: "ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ".

فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِيَقُومَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: "أَصَلَّى النَّاسُ؟"

فَقَالُوا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ ﷺ: "ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ".

فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَقُومَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: "أَصَلَّى النَّاسُ؟"

قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: "ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ".

فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِيَقُومَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: "أَصَلَّى النَّاسُ؟"

فَقَالُوا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي المَسْجِدِ، يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ ﷺ لِصَلَاةِ العِشَاءِ الآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ – وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا –: يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ.

فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الأَيَّامَ(2).

---

(1) متفق عليه: رواه البخاري (3904)، ومسلم (2382).

(2) متفق عليه: رواه البخاري (687)، ومسلم (418)، عن عائشة رضي الله عنها.

وفي خضمِّ ذلك استفحلت فِتْنَةُ الأَسوَدِ العَنْسِيِّ فاتَّفقَ المُسلِمُونَ عَلَى قَتلِهِ، فَذَهَبَ فَيْرُوزُ الدَّيْلَميُّ إِلَى امْرأَةِ الأَسْوَدِ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّهِ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الدَّارِ بَيْتٌ إِلَّا وَالْحَرَسُ مُحِيطُونَ بِهِ، غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ، فَإِذَا أَمْسَيْتُمْ فَانْقُبُوا عَلَيْهِ مِنْ دُونِ الْحَرَسِ، وَإِنِّي سَأَضَعُ فِي الْبَيْتِ سِرَاجًا، وَسِلَاحًا.

فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا تَلَقَّاهُ الْأَسْوَدُ، فَقَالَ لَهُ: مَا أَدْخَلَكَ عَلَى أَهْلِي؟ وَوَجَأَ رَأْسَهُ، وَكَانَ الْأَسْوَدُ شَدِيدًا، فَصَاحَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَدْهَشَتْهُ عَنْهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَتَلَهُ، وَقَالَتِ: ابْنُ عَمِّي جَاءَنِي زَائِرًا.

فَقَالَ: اسْكُتِي لَا أَبَا لَكِ، قَدْ وَهَبْتُهُ لَكِ.

فَخَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ، فَحَارُوا مَاذَا يَصْنَعُونَ؟، فَبَعَثَتِ الْمَرْأَةُ إِلَيْهِمْ تَقُولُ لَهُمْ: لَا تَنْثَنُوا عَمَّا كُنْتُمْ عَازِمِينَ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ نَقَبُوا ذَلِكَ الْبَيْتَ، فَدَخَلُوا فَوَجَدُوا فِيهِ سِرَاجًا، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ وَالْأَسْوَدُ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَهُوَ سَكْرَانُ يَغُطُّ، وَالْمَرْأَةُ جَالِسَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ فَيْرُوزُ بِرَأْسِهِ، فَدَقَّ عُنُقَهُ، وَوَضَعَ رُكْبَتَيْهِ فِي ظَهْرِهِ حَتَّى قَتَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ؛ لِيُخْبِرَهُمْ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَاحْتَزُّوا رَأْسَهُ، فَخَارَ كَأَشَدِّ خُوَارِ ثَوْرٍ سُمِعَ قَطُّ، فَابْتَدَرَهُ الْحَرَسُ، فَقَالُوا: مَا هَذَا؟ ! مَا هَذَا؟

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: النَّبِيُّ يُوحَى إِلَيْهِ.

فَرَجَعُوا، وَتَشَاوَرُا كَيْفَ يُعْلِمُونَ أَشْيَاعَهُمْ، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الصَّبَاحُ يُنَادُونَ بِشِعَارِهِمُ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ قَامَ أَحَدُهُمْ عَلَى سُورِ الْحِصْنِ فَنَادَى بِشِعَارِهِمْ، فَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ وَالْكَافِرُونَ حَوْلَ الْحِصْنِ، فَنَادَى قَيْسٌ بِالْأَذَانِ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ عَبْهَلَةَ (اسم الأسود العنسي) كَذَّابٌ.

وَأَلْقَى إِلَيْهِمْ رَأْسَهُ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ، وَتَبِعَهُمُ النَّاسُ يَأْخُذُونَهُمْ وَيَرْصُدُونَهُمْ فِي كُلِّ طَرِيقٍ يَأْسِرُونَهُمْ، وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ، وَتَرَاجَعَ نُوَّابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى أَعْمَالِهِمْ.



ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَكَتَبُوا بِالْخَبَرِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَى الْخَبَرِ مِنْ لَيْلَتِهِ.

وَأَتَى الْخَبَرُ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ السَّمَاءِ اللَّيْلَةَ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْعَنْسِيُّ، فَقَالَ: "قُتِلَ الْعَنْسِيُّ الْبَارِحَةَ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مُبَارَكِينَ".

قِيلَ: وَمَنْ؟

قَالَ: "فَيْرُوزُ، فَازَ فَيْرُوزُ"(1).

وَفِي مُنْتَصَفِ النَّهَارِ مِنْ يَوْمِ الاثْنَينِ الثَّانِيَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ: تُوفِّيَ رَسولُ اللهِ ﷺ بعدَ أَنْ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فِدَاهُ أَبي وَأُمِّي، وَنَفْسِي وَرُوحِي(2):

وبَيْنَمَا المُسْلِمُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِهِمْ، كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلَاةِ، وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ (عبارة عن الجمال والصفاء)، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ؛ لِيَقِفَ فِي الصَّفِّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَهَمَّ المُسْلِمُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ صَلَاتِهِمْ، فَرَحًا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ»، ثُمَّ دَخَلَ الحُجْرَةَ، وَأَرْخَى السِّتْرَ(3).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَائِشَةَ: "يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي (الأبهر العرق المؤدي إلى القلب إذا قطع مات الإنسان) مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ(4).

---

(1) انظر: البداية والنهاية (9/433-436).

(2) تاريخ الطبري (2/232) البداية (5/363) ط. ابن رجب.

(3) متفق عليه: البخاري (4448). ومسلم (419)، عن أنس.

(4) صحيح: رواه البخاري (4428)، عن عائشة رضي الله عنها.

وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ رضي الله عنها، فَقَالَتْ: وَا كَرْبَ أَبَاهُ.

فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ»، وَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَضَحِكَتْ، فَسَأَلُوهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: "سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ يَتْبَعُهُ، فَضَحِكْتُ"(1).

وَأَوصَى المُسْلِمِينَ بِالمُحافَظَةِ عَلَى الصَّلاةِ، فَقَالَ: «الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ(2). (وما ملكت أيمانكم يريد الأموال أي: أخرجوا زكاتها، وقيل هي وصيَّة بالعبيد والإيماء، ويمكن احتمال الأمرين)

ودَخلَ عَلَيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبِيَدِهِ سِوَاكٌ، وَعَائِشَةُ مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَرَأَتْهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفَتْ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقَالَتْ: آخُذُهُ لَكَ؟

فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: "أَنْ نَعَمْ".

فَتَنَاوَلَتْهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الوَجَعُ، وَقَالَتْ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟

فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: "أَنْ نَعَمْ".

فَلَيَّنَتْهُ، فَأَمَرَّهُ (أي: على أسنانه)، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ البَيْتِ، وَرَفَعَ يَدَهُ، وَقَالَ: " مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا"[النساء: 69]، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ، اللهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى»، (أي ألحقني وأدخلني في جملة الرفقاء الذين خصصتهم بالمكانة الرفيعة في أعلى الجنان) فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُبِضَ وَرَأْسُهُ بَينَ حَنَكِ عَائِشَةَ، وَصَدْرِهَا(3).

---

(1) صحيح: رواه البخاري (4433)، عن عائشة رضي الله عنها.

(2) صحيح: رواه ابن ماجه (1625)، والنسائي في الكبرى (7057)، وأحمد (26483).

(3) البخاري (4437، 4438، 4440، 4445، 4449)، عن عائشة رضي الله عنها.



فَلَمَّا مَاتَ ﷺ قَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مِنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ، يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ(1).

ولَمَّا عَلِمَ النَّاسُ بِمَوتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ.

فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ (السنح: موضع في أطراف المدينة) حَتَّى نَزَلَ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَتَيَمَّمَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ (أي مغطى بثوب يماني مخطط)، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: "بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللهِ، لَا يَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ (أي لا تحيا بعد ذلك في الدنيا ثم تموت، قاله ردا على من قال: إنه لم يمت وسيبعث، ويقطع أيدي رجال وأرجلهم)، أَمَّا المَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا".

ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الحَالِفُ (أي أن رسول الله ما مات) عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ"[الزمر: 30].

وقال: " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ"[آل عمران: 144].

فَبَكَى النَّاسُ بُكَاءً شَدِيدًا(2).

---

(1) صحيح: رواه البخاري (4462)، عن أنس، ننعاه: من نعي الميت إذا أذاع موته، وأخبر به.

(2) صحيح: رواه البخاري (1241، 3667، 3668)، عن عائشة رضي الله عنها.



قَالَ عُمَرُ: وَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ (انهارت قواي)، حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلَايَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ"(1).

وقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: "وَاللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا"(2).

وحِينَ تَوَفَّى اللهُ نَبِيَّهُ اجْتَمَعَ الأَنْصَارُ بِأَسْرِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَلَمْ يَحْضُرْ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ، وَاجْتَمَعَ المُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فقَال عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الأَنْصَار.

قَالَ عُمَرُ: فَانْطَلَقْنَا نُرِيدُهُمْ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ، لَقِيَنَا مِنْهُمْ رَجُلَانِ صَالِحَانِ، فَذَكَرَا مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الأَنْصَارُ، فَقَالَا: أَيْنَ تُرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ؟

فَقُلْنَا: نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الأَنْصَارِ.

فَقَالَا: أَمْهِلُوا حَتَّى تَقْضُوا أَمْرَكُمْ.

فَقُلْتُ: وَاللهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ مُزَمَّلٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟

فَقَالُوا: هَذَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ.

فَقُلْتُ: مَا لَهُ؟

قَالُوا: يُوعَكُ.

---

(1) صحيح: رواه البخاري (4454).

(2) السابق.



فَلَمَّا جَلَسْنَا قَلِيلًا تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ وَكَتِيبَةُ الإِسْلَامِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ رَهْطٌ (أي: فأنتم قليل بالنسبة إلى الأنصار)، **وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ**، (أي: سارت رفقة قليلة من مكة إلينا من الفقر) **فَإِذَا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَزِلُونَا مِنْ أَصْلِنَا**، (أي: يقطعونا) **وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنَ الأَمْرِ**.

(أي يخرجونا من الإمارة، ويستأثروا بها علينا)

فَلَمَّا سَكَتَ خَطِيبُهُمْ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، وَكُنْتُ قَدْ زَوَّرْتُ مَقَالَةً أَعْجَبَتْنِي أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ، وَكُنْتُ أُدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الحَدِّ (أي ما يعتريه من الغضب ونحوه)، **فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَى رِسْلِكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ.**

فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي، وَأَوْقَرَ، وَاللهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِي فِي تَزْوِيرِي، إِلَّا قَالَ فِي بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا حَتَّى سَكَتَ، فَقَالَ: مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ، فَنَحْنُ الأُمَرَاءُ، وَأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا عُمَرَ، أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ(1).

فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِي وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ، وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا (أي: أبو بكر)، **فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كَانَ وَاللهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي، لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، اللهُمَّ إِلَّا أَنْ تُسَوِّلَ إِلَيَّ نَفْسِي عِنْدَ المَوْتِ شَيْئًا لَا أَجِدُهُ الآنَ.**

فَقَالَ حُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ: لَا وَاللهِ لَا نَفْعَلُ، مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ.

---

(1) إن قيل: كيف جاز لأبي بكر أن يقول ذلك وقد جعله النبي إمامًا في الصلاة وهي عمدة الإسلام؟

أجيب: بأنه قاله تواضعًا وأدبًا وعلمًا منه أن كلاً منهما لا يرى نفسه أهلاً لذلك مع وجوده، وأنه لا يكون للمسلمين إلا إمام واحد.



فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا، وَلَكِنَّا الْأُمَرَاءُ، وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا، وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا.

فَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ، حَتَّى فَرِقْتُ (أي: خفت) مِنَ الِاخْتِلَافِ.

فَقُلْتُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَخَيْرُنَا، وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ، ثُمَّ بَايَعَتْهُ الْأَنْصَارُ.

وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ (أي: وثبنا على سعد)، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ. (أي: خذلتموه)

فَقُلْتُ: قَتَلَ اللهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ. (أي: أن الله هو من قدر خذلانه)

قَالَ عُمَرُ: وَإِنَّا وَاللهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ، خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا الْقَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ أَنْ يُبَايِعُوا رَجُلًا مِنْهُمْ بَعْدَنَا، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لَا نَرْضَى، وَإِمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيَكُونُ فَسَادٌ(1).

ولَمَّا بُويِعَ أَبُو بَكْرٍ بِالْخِلَافَةِ أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى جَهَازِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَلَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: وَاللهِ مَا نَدْرِي أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللهِ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا، أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟

فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ: «أَنِ اغْسِلُوا النَّبِيَّ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ»، فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ، يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ، وَيُدَلِّكُونَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ(2).

---

(1) صحيح: رواه البخاري (6830، 3668)، عن عائشة، وعمر.

(2) حسن: رواه أبو داود (3141)، وأحمد (26306)، عن عائشة رضي الله عنها، وحسنه الألباني.

وَقَدْ غَسَّلَهُ عَلِيٌّ، وَالعَبَّاسُ، وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَقُثَمُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَشُقْرَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَسْنَدَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إلَى صَدْرِهِ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ وَالْفَضْلُ وَقُثَمُ يُقَلِّبُونَهُ مَعَهُ، وَكَانَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَشُقْرَانُ مَوْلَاهُ هُمَا اللَّذَانِ يَصُبَّانِ الْمَاءَ عَلَيْهِ، وَعَلِيٌّ يُغَسِّلُهُ، وَهُوَ يَقُولُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَطْيَبَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا(1).

لَمَّا فُرِغَ مِنْ غَسْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَةٍ (أي: من صنع اليمن) بِيضٍ، سَحُولِيَّةٍ (أي بيض نسبة إلى السحول، وهو ما تبيض به الثياب) مِنْ كُرْسُفٍ (أي: قطن) لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ، وَلَا عِمَامَةٌ(2).

ولَمَّا فُرِغَ مِنْ جِهَازِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وُضِعَ فِي سَرِيرِهِ فِي بَيْتِهِ، لَمْ يَدْرُوا أَيْنَ يَقْبُرُونَ النَّبِيَّ ﷺ حَتَّى قَالَ أَبُو بَكْرٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ»، فَأَخَّرُوا فِرَاشَهُ، وَحَفَرَ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ تَحْتَ فِرَاشِهِ(3).

ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ جَمَاعَاتٍ، دَخَلَ الرِّجَالُ، حَتَّى إذَا فَرَغُوا أُدْخِلَ النِّسَاءُ، حَتَّى إذَا فَرَغَ النِّسَاءُ أُدْخِلَ الصِّبْيَانُ، وَلَمْ يَؤُمَّ النَّاسَ عَلَى رَسُولِ اللهِ أَحَدٌ(4).

ثُمَّ دُفِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَسَطِ الليلِ مِنْ لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ، وَقَدْ نَزَلَ فِي قَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَقُثَمُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَشُقْرَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ(5).

فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: "يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ التُّرَابَ؟"(6).

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (662/2).

(2) متفق عليه: رواه البخاري (1264)، ومسلم (941)، عن عائشة رضي الله عنها.

(3) صحيح: رواه أحمد (27)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (5201). وانظر: سيرة ابن هشام (663/2).

(4) انظر: سنن ابن ماجه (1628)، وسيرة ابن هشام (663/2).

(5) انظر: سنن ابن ماجه (1628)، ومسند أحمد (24790)، وسيرة ابن هشام (663/2).

(6) صحيح: رواه البخاري (4462)، عن أنس.



وعَاشَتْ فَاطِمَة رضي الله عنها بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيٌّ لَيْلًا، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ، وَصَلَّى عَلَيْهَا(1).

واتَّفَقَ أَهْلُ العِلْمِ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَبِمَكَّةَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي قَدْرِ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ، فَيَكُونُ عُمْرُهُ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ(2).

فطاب رسول الله ﷺ حيًّا وميتا ويوم يُبعث، ما خلق الله تعالى مثله من البشر ولن يَخلق، ونشهد الله تعالى، أنَّه بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله تعالى حقَّ جهاده حتَّى أتاه اليقين، فصلِّ اللهم عليه، واحشرنا تحت لوائه وسلِّم اللهم عليه تسليما كثيرا.

وانتهت حياة رسول الله ﷺ ولم تنتهي قصَّة الإسلام، بل هي باقية بعده حتَّى يرث الله الأرض ومن عليها.

تمَّ مختصر سيرة رسول الله ﷺ المسمَّى بقصة الإسلام من سيرة خير الأنام
وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين

---

(1) صحيح: رواه البخاري (4240)، ومسلم (1759)، عن عائشة رضي الله عنها.

(2) انظر: شرح صحيح مسلم (15/99).



المَصَادِرُ والمَرَاجِعُ

1. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت **840**هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، طبعة: دار الوطن– الرياض، الطبعة: الأولى، **1420** هـ، **1999** م

2. الإجماع، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت **319**هـ)، تحقيق: د. أبي حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، طبعة: دار عالم الكتب– الرياض، الطبعة: الثانية، **1424** هـ، **2003**م.

3. الأخبار الطوال، لأحمد بن داود الدينوري (ت **282**هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، طبعة: دار إحياء الكتب العربي، وعيسى البابي الحلبي وشركاه– القاهرة، الطبعة: الأولى، **1960**م.

4. الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت **256**هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، طبعة: مكتبة المعارف– الرياض، الطبعة: الأولى، **1419** هـ، **1998** م.

5. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت **1420**هـ)، طبعة: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية **1405**هـ، **1985**م.

6. الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت **463**هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، طبعة: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، **1421**، **2000**م.

7. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت **463**هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة: دار الجيل– بيروت، الطبعة:



الأولى، 1412 هـ، 1992م.
8. أُسْد الغابة، لعلي بن أبي الكرم ابن الجزري (ت 630هـ)، طبعة: دار الفكر- بيروت، بدون طبعة، 1409هـ.، 1989م.
9. الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
10. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت 845هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ، 1999م.
11. الأموال، لابن زنجويه (ت 251هـ)، تحقيق: د. شاكر ذيب فياض، طبعة: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- السعودية، الطبعة: الأولى، 1406 هـ، 1986م.
12. الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر، (ت 317 هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، طبعة: دار الفلاح- الفيوم، الطبعة: الأولى، 1430هـ، 2009م.
13. البدء والتاريخ، للمطهر بن طاهر المقدسي (ت نحو 355هـ)، طبعة: مكتبة الثقافة الدينية- بور سعيد، بدون طبعة، وبدون تاريخ.
14. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد بن رشد (ت 595هـ)، تحقيق: بشير بن إسماعيل، طبعة: دار ابن رجب- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1427هـ، 2006م.
15. البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، تحقيق: عبد






الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: دار هجر– القاهرة، الطبعة: الأولى، 1418 هـ، 1997م،

16. بَهْجَة المحَافِل وأجمل الوَسائل بالتعريف برواة الشَّمَائل، لإبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني (ت 1041هـ)، دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، طبعة: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية– اليمن، الطبعة: الأولى، 1432 هـ.، 2011 م.

17. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، لحسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت 966هـ)، طبعة: دار صادر– بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

18. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري)، لمحمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، طبعة: دار التراث– بيروت، الطبعة: الثانية، 1387 هـ.

19. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة– الرياض، الطبعة: الثانية، 1420هـ، 1999م.

20. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ، 2000 م.

21. تهذيب الأسماء واللغات، للنووي أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ)، تحقيق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية– القاهرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

22. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري (ت 370هـ)، تحقيق: محمد






عوض مرعب، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.

23. التوحيد وإثبات صفات الرب Y، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة (ت 311هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، طبعة: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة: الخامسة، 1414هـ، 1994م.

24. حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)، لمحمد بن عبد الهادي السندي (ت 1138هـ)، طبعة: دار الفكر- بيروت، الطبعة: الثانية، بدون تاريخ.

25. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1405 هـ.

26. الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري (ت 1427هـ)، طبعة: دار الوفاء، الطبعة: السابعة عشر، 1426هـ، 2005م.

27. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت 581هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م.

28. زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية- الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون, 1415هـ، 1994م.

29. سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني (ت 1182هـ)، طبعة: دار الحديث- القاهرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

30. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته






وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت 942هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، طبعة: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ ، 1993 م.

31. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، طبعة: مكتبة المعارف– الرياض، الطبعة: الأولى، 1422 هـ، 2002م.

32. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، طبعة: دار المعارف الرياض، الطبعة: الأولى، 1412 هـ، 1992م.

33. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي (ت 1111هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود– علي محمد معوض، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ، 1998م.

34. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء الكتب العربية– مصر.

35. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني (ت 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: المكتبة العصرية– بيروت.

36. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (ت 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5)، طبعة: شركة مكتبة، ومطبعة مصطفى البابي





الحلبي– مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ، 1975م.
37. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ، 2003 م.
38. سنن النسائي الصغرى، لأحمد بن شعيب النسائي (ت 303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، طبعة: مكتب المطبوعات الإسلامية– حلب، الطبعة: الثانية، 1406هـ، 1986م.
39. سنن النسائي الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي (ت 303هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، طبعة: مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ، 2001م.
40. سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ ، 1985م.
41. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار (ت 151هـ)، تحقيق: سهيل زكار، طبعة: دار الفكر– بيروت، الطبعة: الأولى 1398هـ، 1978م.
42. سيرة ابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرين، طبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده– مصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ، 1955م.
43. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي (ت 354هـ)، تحقيق: الحافظ السيد عزيز بك، وآخرين، طبعة: الكتب الثقافية– بيروت، الطبعة: الثالثة، 1417 هـ.





44. السيرة النبوية، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي الندوي (ت 1420هـ)، طبعة: دار ابن كثير– دمشق، الطبعة: الثانية عشرة، 1425 هـ

45. السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم العمري، طبعة: مكتبة العبيكان– الرياض، الطبعة: السابعة، 1428هـ، 2007م.

46. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت 1403هـ)، طبعة: دار القلم– دمشق، الطبعة: الثامنة، 1427 هـ.

47. السيرةُ النّبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، للدكتور علي الصلابي، طبعة: دار المعرفة– بيروت، الطبعة: السابعة، 1429 هـ، 2008 م.

48. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت 1122هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى 1417هـ، 1996م.

49. شرح صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، للنووي أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ)، طبعة: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ.

50. شرح معاني الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت 321هـ)، حققه وقدم له: محمد زهري النجار، محمد سيد جاد الحق، وراجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي، طبعة: عالم الكتب– الرياض، الطبعة: الأولى، 1414 هـ، 1994 م.

51. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى (ت 544هـ)، طبعة: دار الفكر– بيروت، الطبعة: الأولى، 1409 هـ، 1988م.

52. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ (ت 354هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة–





بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ، 1988م.

53. صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة (ت 311هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، بدون طبعة، 1400هـ، 1980م.

54. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت 256 هـ)، ترقيم عبدالباقي، طبعة: دار الشعب- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1407هـ، 1987م.

55. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (ت 261 هـ)، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

56. صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى، 1409هـ.

57. صحيح وضعيف سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى، 1409هـ.

58. صحيح وضعيف سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى، 1409هـ.

59. صحيح وضعيف سنن النسائي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى، 1409هـ.





60. الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع (ت 230هـ)، تحقيق: إحسان عباس، طبعة: دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولى، 1968م.

61. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852)، طبعة: دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ.

62. الفصول في السيرة، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت 774هـ)، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، طبعة: مؤسسة علوم القرآن، الطبعة: الثالثة، 1403 هـ..

63. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، لمحمد سعيد رمضان البوطي، طبعة: دار الفكر- دمشق، الطبعة: الخامسة والعشرون، 1426 هـ.

64. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (مختصر تفسير القرآن العظيم)، لأحمد محمد شاكر، طبعة: دار ابن الجوزي- القاهرة، 1435هـ، 2014م.

65. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني، طبعة: المطبعة المنيرية- مصر، 1343هـ.

66. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس (ت 734هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، طبعة: دار القلم- بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ،1993م.

67. غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية، للدكتور بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري، طبعة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1424هـ، 2004م

68. الكافي، لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت 620 هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: دار هجر- مصر، الطبعة: الاولى، 1417 هـ، 1997م.





69. الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن الأثير (ت 630هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، طبعة: دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ، 1997م

70. كشاف القناع عن الإقناع، لمنصور البُهُوتي (ت 1051هـ)، تحقيق: لجنة متخصصة في وزارة العدل، طبعة: وزارة العدل– المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1429هـ، 2008م.

71. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، طبعة: دار الوطن – الرياض، الطبعة: الأولى، 1418هـ، 1998م.

72. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور (ت 711 هـ)، طبعة: دار صادر– بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414 هـ.

73. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت 795هـ)، طبعة: دار ابن حزم– بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ،2004م

74. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي الهيثمي (ت 807هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، طبعة: مكتبة القدسي– القاهرة،1414 بدون طبعة، هـ، 1994 م

75. مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت 728 هـ)، طبعة: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

76. المختصر في أخبار البشر، لإسماعيل بن علي بن محمود بن محمد الملك المؤيد، صاحب حماة (ت 732هـ)، طبعة: المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة:





الأولى، بدون تاريخ.

77. **المستدرك على الصحيحين**، لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 هـ، 1990م.

78. **مسند أبي يعلى الموصلي**، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى الموصلي (ت 307هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، طبعة: دار المأمون- دمشق، الطبعة: الأولى، 1404هـ، 1984م.

79. **مسند أحمد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ، 1995 م.

80. **مسند أحمد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، إشراف: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ، 2001 م.

81. **مسند البزار**، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت 292هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، طبعة: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1988م، 2009م.

82. **المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي**، لمحمد بن علي بن أحمد ابن حديدة (ت 783هـ)، تحقيق: محمد عظيم الدين، طبعة: عالم الكتب- بيروت ، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

83. **المصنف**، لعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (ت 211هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة: المجلس العلمي- الهند، الطبعة: الثانية،





1403هـ.

84. **المطلع على أبواب المقنع**، لمحمد بن أبي الفتح البعلي (ت 709هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط، وياسين محمود الخطيب، طبعة: مكتبة السوادي، الطبعة: الأولى 1423هـ، 2003م.

85. **المعارف**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، الطبعة: الثانية، 1992م.

86. **معالم السنن**، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، (ت 388هـ)، طبعة: المطبعة العلمية- حلب، الطبعة: الأولى، 1351 هـ، 1932م.

87. **المعجم الكبير**، للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، طبعة: مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة: الثانية.

88. **مغازي الواقدي**، لمحمد بن عمر بن واقد (ت 207هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، طبعة: دار الأعلمي- بيروت، الطبعة: الثالثة، 1409هـ، 1989م.

89. **المغني**، لابن قدامة المقدسي (ت 620 هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود. محمد الحلو، طبعة: عالم الكتب- الرياض، الطبعة: السادسة، 1428هـ، 2007م.

90. **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى، وعبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ، 1992م.

91. **المؤتَلِف والمختَلِف**، لعلي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني (ت 385هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، طبعة: دار الغرب الإسلامي-





بيروت، الطبعة: الأولى، 1406هـ، 1986م

92. نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، لرفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي (ت 1290هـ)، طبعة: دار الذخائر- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1419هـ..

93. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك ابن الأثير (ت 606 هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، طبعة: المكتبة العلمية- بيروت، 1399هـ، 1979م.

94. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد بن عفيفي الخضري (ت 1345هـ)، طبعة: دار الفيحاء- دمشق، الطبعة: الثانية، 1425 هـ.

95 إسعاد البرية بشرح الخلاصة البهيَّة في ترتيب أحداث السيرة النبويَّة، لخالد بن محمود الجهني.